٦

التبيان في علم البيان

المطلع على إعجاز القرآن

al-Zamlakānī, ʿAbd al-Wāḥid ibn ʿAbd al-Karīm.

التبيان في علم البيان

المطلع على إعجاز القرآن

لابن الزملكاني

٦٥١ هـ

/al-Tibyān fī ʿilm al-bayān./

تحقيق

الدكتور أحمد مطلوب الدكتورة خديجة الحديثي

ساعدت وزارة التربية والتعليم على طبعه

مطبعة العاني ــ بغداد

الطبعة الاولى
١٣٨٣ ـ ١٩٦٤

الإهداء

الى استاذنا الجليل الدكتور جميل سعيد ٠

اعترافاً بفضله وتقديراً لجهوده ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

١

تميزت في القـرن السادس الهجري وما بعـده ثلاثة اتجاهـات في البلاغة والنقد • أحدها مذهب المشارقة ، وثانيها مذهب العراق ومصـر والشام ، والثالث مذهب الاندلس وبلاد المغرب • وكان لـكل اتجاه ميزات خاصة ، فمذهب المشـارقة ـ الذي كانت خوارزم والمنـاطق المجاورة لها مركزه ـ « كـان أميل الى الاخذ بالمعـاني والجوهر لا بالصيغة والالفـاظ والبديع[1] » ، وكان اكثر اتجاهاً الى ضبط القـواعد ووضع التقسيمات والتحديدات • وهذا الاتجاه ليس في الواقع الا امتداداً لمدرسة عبدالقاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) الذي رفع لواء تحكيم المقاييس النحوية والعقلية في دراسات البلاغة والنقد ، وكانت نظرية النظم ـ التي لم تكن الا توخي معاني النحو ـ أهم ما تميز به هذا الرجل الذي أرسى أسس البلاغة ، وجعلها علماً له أصوله وقواعده •

وقد أثر عبدالقاهر في البلاغة تأثيراً كبيراً فتبعه خلق كثير ، وكان من أشهر تلاميذه في تلك الاقاليم الشرقية جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ) صاحب « الـكشاف » ذلك التفسير الذي كان تطبيقاً لقواعد البلاغة واصولها ، وأبو عبدالله محمد بن عمر فخرالدين الرازي (٦٠٦ هـ) مؤلف كتاب « نهاية الايجاز في دراية الاعجـاز » وهـو تلخيص لكتابي « أسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » لعبدالقاهر الجرجاني •

---

(١) ضياءالدين بن الاثير وجهوده في النقد ، ص ٣١٢ •

وبقيت البلاغة في هذه الاقاليم تبحث بطريقة عبدالقاهر حتى ظهر أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي الخوارزمي (٦٢٦هـ) فمحصَ زبدتها، وهذّب مسائلها، ورتب أبوابها، وألف كتابه الشهير « مفتاح العلوم » في النحو والصرف والبلاغة والاستدلال والعروض والقوافي، وقسم البلاغة الى أقسامها الثلاثة المعروفة : المعاني والبيان والمحسنات التي أطلق عليها بدرالدين ابن مالك (٦٨٦هـ) فيما بعد مصطلح البديع .

ولم تبق هذه المدرسة في اقليمها الشرقي، فقد عُرفت كتب عبدالقاهر والسكاكي في الاقاليم الاخرى كالعراق والشام ومصر وأثّرَ كتابا « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » بصورة خاصة في دراسة البلاغة والنقد في مطلع القرن السابع فألفت كتب على غرارهما، منها كتاب « التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن » لابن الزملكاني (٦٥١ هـ) .

وكان لمذهب مصر والشام والعراق اتجاه آخر يختلف كل الاختلاف عن مذهب المشارقة الذي اهتم بوضع القواعد المنطقية الجافة لعلوم البلاغة، وابتعد عن الذوق السليم في النقد والموازنة والتحليل . لقد كان أهل العراق والشام ومصر يميلون الى تحكيم الذوق والاهتمام بصور البديع وما توحيه من انفعالات نفسية تتعلق بالاحساس الفني والوجدان، ولعل ابن سنان الخفاجي (٤٦٦ هـ) صاحب « سر الفصاحة » كان الرائد الاول لهذه الدراسات التي اهتمت الى جانب وضع القواعد والاصول بالتحليل وتحكيم الذوق في النقد والموازنة . وجاء من بعده نقاد كبار كانت لهم قيمتهم في عالم النقد العربي، وعلى رأسهم ضياء الدين بن الاثير (٦٣٧ هـ) مؤلف « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » و « الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور » و « الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائية » و « الوشي المرقوم » وغيرها، وقد أثار هذا الاديب الناقد ضجة نقدية واسعة، وكان لكتبه وآرائه دويّ في محافل النقد ومجالس الأدب .

ومن النقاد البلاغيين الذين اشتهروا في القرن السادس الهجرى وما

بعده أسامة بن منقذ (٥٨٤هـ) مؤلف « البديع في نقد الشعر » ، وابن أبي الاصبع المصري (٦٥٤ هـ) الذي خطا بدراسة البديع والنقد خطوات واسعة في كتابيه « بديع القرآن » و « تحرير التحبير » . وكان لابن سنان الخفاجي واسامة بن منقذ وضياء الدين بن الاثير وابن أبي الاصبع المصري وغيرهم تأثير كبير في نشأة مدرسة بلاغية لها ميزاتها ولها خصائصها واهدافها[١] .

أما مذهب أهل المغرب والاندلس فكان يتجه في أكثر أمره الى مذهب المشارقة ، وقد غلب عليه البديع « ولكن علماءه مع ذلك لم يأخذوا بآراء المشارقة ومصر والشام والعراق فحسب دون مناقشة أو تعديل بل أخذوها وعالجوها فظهرت فيها شخصيتهم وطابعهم الخاص الذي اتسم به تفكيرهم وأدبهم عامة ، فكان لهم لونهم في الفلسفة والفقه واللغة والأدب والنقد[٢] » .

ومن أشهر الذين يمثلون هذا الاتجاه حازم القرطاجني (٦٨٤ هـ) في كتابه « منهاج البلغاء وسراج الادباء » وجمال الدين محمد بن احمد الاندلسي في كتابه « المعيار في نقد الاشعار » .

٢

هذه أهم اتجاهات البلاغة والنقد في القرن السادس الهجرى وما بعده، وفي زحمة الأراء الكثيرة التي كان العلماء يعرضونها في كتبهم المختلفة كان ابن الزملكاني أحد علماء الشام وقضاته يعرض آراءه وينشرها بين الناس في كتابه « التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن » الذي كان امتداداً لمدرسة المشارقة وبتعبير أدق ـ كان امتداداً لمدرسة عبدالقاهر الجرجاني .

(١) تنظر مقالة مصر فى تاريخ البلاغة لامين الخولى ، وكتاب ضياءالدين بن الاثير وجهوده فى النقد ص ٣٢٤ وما بعدها ، وكتاب ابن أبى الاصبع المصرى بين علماء البلاغة ص ٣٧٣ وما بعدها والبلاغة عند السكاكى والقزوينى وشروح التلخيص ، ففيها تفصيل لهذه المدرسة وخصائصها واتجاهاتها .

(٢) ضياءالدين بن الاثير وجهوده فى النقد ص ٣٥٤ .

ومؤلف « التبيان » هو : كمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم بن خلف الانصاري السماكي الدمشقي الشافعي الزملكاني[1] نسبة الى « زَمَلْكان[2] » قرية بغوطة دمشق . وقد كان قوي المشاركة في فنون العلم ، خيراً متميزاً ذكياً سرياً ، ولي قضاء صَرْخد[3] ودرَّس مدة في بعلبك .

وهو جد الكمال الزملكاني[4] ، وكان له ولد يقال له أبو الحسن علي وهو امام جليل وافر الحرمة حسن الشكل ، دَرَّس بالامينية ، وتوفي في ربيع الاول سنة ٦٩٠هـ[5] .

وتذكر المصادر ان له نظماً رائقاً ، ولكننا لم نعثر له الا على قصيدة رائية محفوظة في مكتبة ليدن برقم OR. 2478 . وهي :

اطرفك أم هاروت يعقد لي سحرا	أريقك أم طاولت[6] يعصر لي خمرا
وما العيش الا أنْ أرى لك عاشقا	وما الموت الا أنْ تعذبني هجرا
أنام بداء	. . . . السحرا[7]
جمالك يكسو كل حسن ملاحةً	ومنطقك الاسماع يملأها درا
عذارك لام كل صدغك صاده	ولا غرو أن تضحي العيون به سهرى
وفي فيك أم عقد اللآلي مُنَظَّمٌ	كأنَّ ظلام الليل في ضوئه ظهرا
أليس ببدع أنْ تصيد قلوبنا	وأنْ تكثر القتلى وان ترخص الاسرى

---

(١) ينظر الدارس فى تاريخ المدارس ج ١ ص ١٩٣ والبداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٢٥ .

(٢) زملكان بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح اللام وآخره نون . قال السمعانى أبو سعد : هما قريتان احداهما ببلخ والاخرى بدمشق ونسب اليها ، وأما أهل الشام فانهم يقولون (زملكا) ـ بفتح أوله وثانيه وضم لامه والقصر لا يلحقون به النون قرية بغوطة دمشق . منها جماهير بن أحمد بن محمد بن حمزة أبو الازهر الزملكانى الدمشقى ، ومحمد بن أحمد بن عثمان بن محمد أبو الفتح الزملكانى الامام . (ينظر معجم البلدان مادة زملكان) .

(٣) صرخد بالفتح ثم السكون والخاء معجمة والدال مهملة بلد ملاصق لبلاد حوران من اعمال دمشق ، وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة ينسب اليها الخمر ، قال الشاعر :

ولذ كطعم الصرخدى تركته ... بارض العدى من خشية الحدثان

اللذ : هاهنا النوم . (ينظر معجم البلدان مادة صرخد) .

(٤) تنظر ترجمته فى طبقات الشافعية ج ٥ ص ٢٥١ وما بعدها ، والدرر الكامنة ج ٤ ص ٧٤ وما بعدها .

(٥) ينظر كتاب شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٥٤ ، والدارس فى تاريخ المدارس ج ١ ص ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٦) لم نتبين البيت فى المخطوطة .

(٧) كذا فى الاصل .

بنفسي أيام مضت لي بجلق | بأرض زملكا يا أخي وفي مُقْرى
وربوتها تربي السرور وتحتهـا | يزيد يزيد الشوق فيه وفي الشقرا
وفي بردى سلسال ماء مصفق | وثورى له ثغر تبسم في ثغرا
ولا تنس داريّا فان نسيمها | يضُوِّعُه مِسْكاً تحمّله عطرا
وما الشيح والقيصوم في ابرق الحمى | اذا سطر المنثور والورد عن سطرا(١)

وقد ذكر ابن الزملكاني أربعة أبيات من هذه القصيدة في كتابه التبيان واضاف اليها بيتين لم يذكرا في القصيدة المخطوطة وهما :

ديار لها وقت الربيع مباسم | واسحارها فيه كسندسة خضرا
وآها لايام الخريف فانها | شبيهة عشّاق ببذلتها الصفرا

وعلى أبيات ذكرها في التبيان ، وهي في مدح وزير الشام أبى الحسن علي الامين ، يقول :

بَحْرٌ فانْ غرقت سفينة آمنٍ | فبسيبه وبجوده ونواله
أسد فريسته اغاثة مُدْنَفٍ | أخنى عليه الدهرُ في تجواله
جبل على الابطال عند نزالهم | يا ويح من يدعى ليوم نزاله
السَّعدُ في نظراته والموت في | سطواته والفضل من افضاله
عجباً أبا الحسن الوزير غضنفر | والخائفون أمانهم بظلاله
أبت المكارم أنْ تجود لدهرها | بمثاله ولغيره بخصاله
الصاحب الندب الجواد ومن له | شرف بمحتده وحسن فعاله
يعطي الجزيل من النوال وعنده | انّ الجزيل القلّ في اقلاله
فاق الأنامَ مآثراً ومفاخرا | فلذاك لفظي باهر بجلاله
يجد الحياة تفضلاً من مجتدٍ | ويرى له الانعام عند سؤاله
فالله كالؤك الذي لا غيره | بمحمد وبصحبه وبآله

أما اسلوبه في النثر فيغلب عليه السجع والصنعة البديعية التي سيطرت على أساليب الكتّاب ، ولعل مقدمة هذا الكتاب والرسالة التي ذكرها في خاتمة بحث التخليص خير مثال لاسلوبه وطريقته في الكتابة ٠

(١) فى القصيدة اضطراب واضح ، وليس في الكتب الاخرى ما يقومها ٠

ومات ابن الزملكاني بدمشق في المحرم سنة ٦٥١ هـ (١٢٥٣ م) ودفن بمقابر الصوفية[١] •

هذا كل ما ذكرته المصادر القديمة عن هذا الرجل ، وقد أغفلت ذكره كثير منها واهتمت بحفيده كمال الدين محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبدالكريم ، وأطالت الكلام فيه وفي فتاويه واعماله وآرائه الفقهية واللغوية • أما الجد صاحب « التبيان » فلم نعثر على ترجمة مطولة له مع انه كان كاتباً وشاعرا ومؤلفا ، وانه تولى قضاء صرخد ودرّس في بعلبك •

ولا نعرف اكثر من هذا عن حياته ودراسته ، ولم يشر ابن الزملكاني نفسه الى اساتذته الا الى أبي عمرو بن الحاجب حيث قال عنه : « شيخي أبو عمرو بن الحاجب[٢] » •

وترك ابن الزملكاني كتباً ذكرت المصادر منها :

١ ـ التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن •

٢ ـ المفيد في اعراب القرآن المجيد ، وهو مختصر من كتابه « التبيان » • ومنه نسخة في دار الكتب بالقاهرة برقم (٣٦٤ بلاغة ـ التيمورية) في ٦٠ صفحة ١٥ × ٢٠سم ، نسخت سنة ٧٨١ هـ وفي معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة مصورة عنها برقم ٥٦ بلاغة[٣] •

٣ ـ عجالة الراكب في ذكر أشرف المناقب •

٤ ـ رسالة في الخصائص النبوية[٤] •

٥ ـ المفضل على المفصل •

٦ ـ المنهج المفيد في أحكام التوحيد •

٧ ـ نهاية التأميل في اسرار التنزيل في تفسير القرآن ، وقد نسب هذا

---

(١) تنظر ترجمته فى طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٣٣ ، وبغية الوعاة ص ٣١٦ ، وتراجم رجال القرنين السادس والسابع ص ١٨٧ ، وشذرات الذهب ج ٥ ص ٢٥٤ ، وهدية العارفين ج ١ ص ٦٣٥ والاعلام ج ٤ ص ٣٢٥ وتاريخ الادب العربى لكارل بروكلمان (الطبعة الالمانية) ج ١ ص ٥٢٨ •

(٢) وهو صاحب الكافية والشافية •

(٣) ينظر فهرس المخطوطات بجامعة الدول العربية ج ١ ص ٤١١ •

(٤) الاعلام ج ٤ ص ٣٢٥ •

الـكتاب الى آخر[1] .

٨ ـ البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن . ولم نجد هذا الكتاب في قائمة كتب الزملكاني ولكننا عثرنا على نسخة منه في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وهي مصورة عن مكـــتبة أحمد الثالث في ٢٧٦ ورقة ١٣٥ × ٢٠سم . وقد كتب على الصفحة الاولى منه : « البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ، تأليف الامام العلامة .كمـال الدين أبي المكارم عبدالواحد بن الخطيب عبدالكريم بن خلف بـن نبهان الانصاري السماكي عرف بابن خطيب زملكا رحمه الله تعالى » . وجاء في اوله : « بسم الله الرحمن الرحيم ، رب يسر . بك اللهـم الواحد الازلي الباقي السرمدي ، بديع السماوات والارض ، مالك أزمة الامور ومتولي كل مقدور ..... » ثم يقول : « وقد سميته بالبرهان الكاشف عن اعجـاز القـرآن ورتبته على تمهيـد وثـلاثة أقسام » . اما التمهيد ففيه ثلاثة فصول : الاول في حقيقة علم البيان ، والثاني في حصر مواقع الغلط في اللفظ ، والثالث في شرح ألفاظ تداولها أئمة هذا الشأن وهي الفصاحة والبيان . اما القسم الاول من الـكتاب فقد كان في اعجاز القرآن وفيه تحدث عن الآراء في ذلك ، والقسم الثاني فيما يتعلق بالدلالات الافرادية وفيه مقـدمة وبحوث ، والقسم الثالث فيمـا يتعلق بمراعاة أحـوال التأليف . والنسخة مكتوبة في سنة ٧١٤هـ بخط نسخ جميل واضح .

٣

وأهم كتب ابن الزملكاني البلاغية كتاب « التبيان في علم البيان المطلع على اعجـاز القرآن » الذي ألفه بعـد أن رأى كتاب « دلائل الاعجاز »

---

(١) ينظر هدية العارفين ج ١ ص ٦٣٥ ، وفهرس الخزانة التيمورية ج ٣ .

لعبدالقاهر الجرجاني واسع الخطو ، فقيد التبويب ، فاراد أن يهذبه ويجمع مسائله ليكون قريب التناول ، سهل التداول . يقول وهو يتحدث عن الفصاحة : « وعلم البيان آخذ بزمامها مدعو بامامها يريك البدائع والغرائب ويهديك المناقب والعجائب ، ولغموضه ودقة رموزه استولت عليه يد النسيان ، والحقه قصور الهمم بخبر كان . ولم أجد من المصنفات فيه الا القليل مع انها مشحونة بالقال والقيل ، وأجمعها كتاب « دلائل الاعجاز » للامام العالم الحبر النحرير علم المحققين عبدالقاهر الجرجاني ـ رحمه الله ـ فانه جمع فاوعى وقال فاوعى ، فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد وهدم سور المعضلات بالتسوير المشيد حتى عاد أسهل من النفس وأصحب للفهم من الضوء لشهاب القبس في الغلس . فجزاه الله خير الجزاء وجعل نصيبه من أوفر الاجزاء . غير انه واسع الخطو ، كثيراً ما يكرر الضبط ، فقيد للتبويب ، طريد من الترتيب ، يمل الناظر ، ويعشي الناظر . وقد سهل الله تعالى جمع مقاصده وقواعده وضبط جوامحه وشوارده مع فرائد سمح بها الخاطر ، وزوائد نقلت من الكتب والدفاتر » .

وقد ألفه في أيام قلائل مع كثرة العوائق والشواغل ، وقدمه لوزير الشام أبي الحسن ، يقول : « ولما رأيته وحيداً في فنه قصدت به وحيداً في مستنسه مولانا وسيدنا وزير الشام أبا الحسن علياً الامين ليحصل من سعده على اسعاد ، ومن مجده على انجاد ، ويحظى بشرف الانتساب وعلو الاسناد . فان المضاف أبداً يكتسي أحكام المضاف اليه ويعول في مراتب التعريف عليه . أناله الله الدارين من الخير بغيته كما رقى في شناخيب المعروف همته . ولا برح لاهل الفضل حرزا كما لم يزل للعافين كنزا وعزاً ما تألق بارق في المشارق والمغارب بمحمد وآله الطيبين الطاهرين » .

ورتب ابن الزملكاني كتابه هذا على سوابق ومقاصد ولواحق ، وجعل من السوابق ثلاث مقدمات : أولها في فضل علم البيان ، والثانية في حصر مواقع الغلط في اللفظ ، والثالثة في طريق تحصيله .

والمقاصد ثلاثة أركان : الركن الاول في الدلالات الافرادية ويشمل

الكلام في الحقيقة والمجاز واقسامه من كناية واستعارة وتمثيل وغيرها ، والفرق بين الاثبات بالاسم والفعل ، والمعرفة والنكرة ، وفي مفردات شذت عن الضوابط .

والركن الثاني في مراعاة أحوال التأليف وقد قسمه الى فنون : الاول في تقديم الاسم على الفعل وتأخيره ، والثاني : في خبر المبتدأ ، والثالث : في تقديم بعض الاسماء على بعض ، والرابع : في المجاز الاسنادي ، والخامس : في التشبيه ، والسادس : في الايجاز ، والسابع : في التأكيد ، والثامن : في الحذف ، والتاسع : في المنصوبات ، والعاشر : في معرفة الفصل والوصل ، والحادي عشر : في معرفة أسباب التقديم والتأخير ، والثاني عشر : في قوانين كلية .

والركن الثالث في معرفة أحوال اللفظ واسماء اصنافه في علم البديع ، وفيه مقدمة وأصناف ، أما المقدمة فتشتمل على بحث كلي يتعلق بمخارج الحروف ، وأما الاصناف فتشتمل على ستة وعشرين صنفاً من فنون البديع هى : التجنيس ، الترصيع ، الاشتقاق ، التطبيق ، لزوم ما لا يلزم ، التضمين المزدوج ، الالتفات ، الاعتراض ، التفسير ، اللف والنشر ، التعديد ، التخييل ، التسجيع ، رد العجز على الصدر ، المساواة ، العكس والتبديل الاستدراك والرجوع ، الاستطراد ، الاستهلال ، التخليص ، الترديد ، التتميم ، التفويف ، التجاهل ، الهزل الذي يراد به الجد ، التنبيه ، وأهمل أنواعاً كثيرة من فنون البديع التي ذكرها المتقدمون كاسامة بن منقذ وغيره ، يقول : « وما أهمل ذكره في هذا الركن فمعلوم مما ذكر فيه او مستغنى عن ذكره لاشتمال الركنين السابقين عليه وانه ليس متعلق غرضنا في هذا العلم » .

أما اللواحق فتكلم فيها على بيان الجهة التي تحصل بها البلاغة والاعجاز في القرآن ، وعرض خمسة آراء للاعجاز فند أربعة منها واعتبرها باطلة ، وتمسك برأي واحد رآه الصواب الذي لا يأتيه الباطل ، وهو ان يكون الاعجاز راجعاً الى توخي معاني النحو وأحكامه في النظم .

ويغلب على كتاب ابن الزملكاني الاتجاه النحوي ، ولا عجب في ذلك

فالرجل مؤمن بالنحو وبالنظم الذي شرحه عبدالقاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز .

وكتاب « التبيان » وان كان عرضاً لاراء عبدالقاهر وترديداً لامثلته ، الا انه يمتاز عنه بالتبويب ، والتنسيق ، وجمع المسائل المتفرقة في أبـواب وفصول ، وقد أشار ابن الزملكاني الى ذلك في مقدمة كتابه وحدد هدفه ومنهجه وغايته في تأليفه . ولم يقف ابن الزملكاني عند ما جاء في « دلائل الاعجاز » وانما تجاوزه الى كتب بلاغية أخرى لم يشر اليها ، واستفاد منها في بحث فنون البديع التي لم يتكلم عليها عبدالقاهر الا قليلاً ، ولم يذكرها الا عرضاً في « أسرار البلاغة » . وأغلب الظن ان صاحب « التبيان » استفاد من كتاب « نهاية الايجاز في دراية الاعجاز » للرازي وكتاب « مفتـاح العلوم » للسكاكي ، ومما كتب في البديع ككتاب « البديع في نقد الشعر » لابن منقذ وكتب ضياء الدين بن الاثير وغيرها .

ولم يبق كتاب « التبيان » في البيئة الشامية وانما سار ذكره في الاقاليم العربية الاخرى كمصر واليمن والمغرب ، وكان من المصادر الاربعة التي اعتمد عليها أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني (٧٤٩ هـ) في تأليف كتابه الضخم « الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز » ، يقول : « ولم اطالع من الدواوين المؤلفة فيه مع قلتها ونزورها الا أكتبة أربعة : أولها كتاب المثل السائر للشيخ أبي الفتح نصر ابن عبدالكريم المعروف بابن الاثير ، وثانيها كتاب التبيان للشيخ عبدالكريم ، وثالثها كتاب النهاية لابن الخطيب الرازي ، ورابعها كتاب المصباح لابن سراج المالكي [١] » .

وكان كتاب « التبيان » وكتاب « نهاية الايجاز » عمدته في عرض آراء عبدالقاهر لأنه لم يطلع على كتبه ، يقول وهو يتحدث عن عبدالقاهر : « وأول من أسس من هذا العلم قواعده ، وأوضح براهينه ، وأظهر فوائده ، ورتب أفانينه ، العالم النحرير علم المحققين عبدالقاهر الجرجاني ..... وله

---

(١) الطراز ج ١ ص ٣ ـ ٤ .

من المصنفات فيه كتابان أحدهما لقبه بدلائل الاعجاز ، والآخر لقبه باسرار البلاغة ، ولم أقف على شيء منهما مع شغفي بحبهما وشدة اعجابي بهما الا ما نقله العلماء في تعاليقهم منهما[1] » •

وسار العلوي على خطى ابن الزملكاني في كثير من تفريعاته وتقسيماته واكثاره من الاشارات والتنبيهات ، وان كان العلوي اكثر تأثراً بتلخيص مفتاح العلوم لبدر الدين بن مالك المسمى بالمصباح ، في تقسيم البلاغة الى فنونها الثلاثة ، وفي الحصر والتحديد ، ويمكن القول ان الطراز صورة مكبرة للتبيان •

وتأثر بهاء الدين السبكي (٧٧٣ هـ) بالتبيان ، وكان أحد الكتب التي رجع اليها حين وضع كتابه « عروس الافراح[2] » •

ونقل عبدالرحمن جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) عن التبيان في كتابيه « الاشباه والنظائر » و « همع الهوامع » • وألف أبو المطرف بن عميرة أحمد بن عبدالله بن عميرة المخزومي (٦٥٨هـ - ١٢٦٠م) كتابا رد فيه على كمال الدين الانصاري الزملكاني في كتابه « التبيان » سماه : « التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات[3] » • ولم نعثر على الكتاب لنطلع على مادته وموقف أبي المطرف من الزملكاني •

٤

أما نسخ التبيان فهي :

١ - نسخة كتبت سنة ٧٢٢هـ بخط ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم الغزي الشافعي وهى محفوظة في المكتبة التيمورية بدار الكتب في القاهرة ،

---

(١) الطراز ج ١ ص ٤ •

(٢) عروس الافراح ج ١ ص ٣١ •

(٣) ينظر نفح الطيب ج ١ ص ٢٩٣ ، وكشف الظنون ج ١ ص ٣٤١ ، وتاريخ الادب العربى لبروكلمان (الطبعة الالمانية) ج ١ ص ٥٢٨ •

وفي معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة مصورة منها • وهي في ١٦٩ صفحة في كل صفحة ١٦ سطراً تقريباً وقد كتبت بخط جميل • وجاء في الصفحة الاولى منها : « كتاب التبيان في علم البيان للعلامة ابن الزملكاني رحمه الله » وكتب الى جانب العنوان : « هذا الكتاب من الذخائر النفيسة ، وهو عزيز الوجود جدا ، فينبغي بل يجب أن لا يفرط فيه أصلاً ، ويحتفظ به ابداً ، وما اشتريناه الا بتعب شديد ومشاق عظيمة •••••• » • واولها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، رب يسر واعن • الحمد لله الذي انطق ألسنة الاقلام باحكام الاحكام •••• » وآخرها : « فرغ من نسخه لنفسه ومن هيأ الله من بعده ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم الغزي الشافعي في العشر الاخير من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ، أحسن الله خاتمتها وعقباها ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه ، والحمد لله رب العالمين » •

ولما كانت هذه النسخة أقدم ما عثرنا عليه اتخذناها أصلاً واعتمدنا عليها اعتماداً كبيراً •

٢ ـ نسخة كتبت سنة ٧٨٩ هـ محفوظة في مكتبة شهيد علي (٢١٦٨/١) في ٩١ صفحة (٢٥ × ١٦سم) ، وقد صورها معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية ، وهي محفوظة فيه برقم (٢٣ بلاغة) ، وأولها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، رب يسر ولا تعسر ياكريم • الحمد لله الذي انطق ألسنة الاقلام باحكام الاحكام •••• » • وآخرها : « والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم • هذا ما علقه لنفسه ثم لمن ينتقل اليه أقل العبيد وأحقرهم علي بن اليأس بن محمد الحموي بلداً الشافعي مذهباً الرفاعي قدوة والزولي تربية والقادري والشاذلي طريقة ومحبة ، غفر الله له ولوالديه ولمن دعا له بالمغفرة والرحمة ولجميع المسلمين ، وكان الفراغ من نسخه صبيحة يوم الاثنين تاسع شوال الحرام بمدينة تعز المحروسة بالمؤيدية سنة تسع وثمانين وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحيات والاكرام

والحمد لله رب العالمين » .

٣ ـ نسخة كتبت سنة ١٣٢٨ هـ محفوظة بدار الكتب بالقاهرة (٥١٥٤٥ عمومية ـ ٣٩٥ خصوصية بلاغة » . وهي في ١٤٧ صفحة ، عدد سطورها وكلماتها في الصفحة الواحدة أقل من النسخة السابقة . خطها جميل واضح ، أولها : « بسم الله الرحمن الرحيم . رب يسر واعن . الحمد لله الذي انطق ألسنة الاقلام باحكام الاحكام .... » . وآخرها : « فرغ من نسخه الفقير لربه ابراهيم بن حسين بن مصطفى بن أبي الشوارب رضوان بمصر المعزية نقلاً من مكتبة السيد احمد تيمور بك العلامة عماد آل تيمور الى مكتبة الحكومة المصرية بخط ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم الغزي الشافعي . نقلت هذه منها في أوائل جمادى الاولى سنة ١٣٢٨ هـ ، والحمد لله أولاً وآخراً » .

وهذه النسخة منقولة عن النسخة الاولى وهي مضبوطة مثلها وليس فيها اختلاف كبير عنها . وكان اعتمادنا في اخراج الكتاب على النسخة الاولى التي اتخذناها أصلاً لقدمها ووضوحها ، وعلى النسخة الثالثة المنقولة عنها ، أما النسخة الثانية فقد اعتمدنا عليها كذلك وان كان فيها نقص أشرنا اليه في أثناء التحقيق ، ولم يكن بمقدورنا أن نهملها لقدمها وجودة خطها وضبطها ، وبذلك نكون قد رجعنا الى هذه النسخ الثلاث في عملنا واتخذناها أساساً . ويمكن القول ان في هذه النسخ الثلاث ما يغني عن كل نسخة أخرى لقدمها ودقتها ووضوحها وقد حاول النساخ أن ينقلوا لنا الكتاب نقلاً دقيقاً ليس فيه تحريف وتصحيف وان كانت النسخة الاولى والنسخة الثالثة المنقولة عنها أكثر دقة من الثانية التي سقط منها الكثير في بعض المواضع .

٤ ـ نسخة كتبت سنة ٧٣٤ هـ ، محفوظة في مكتبة حسين چلبي (٣٣ أدبيات) في ٥٠ ورقة حجم متوسط ، وقد صورها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية وهي محفوظة فيه برقم (٢٤ بلاغة)[1] . وقد طلبناها من المعهد ولكن زميلنا الاستاذ رشاد عبدالمطلب ذكر انها غير صالحة

(١) ينظر فهرس المخطوطات ج ١ ص ٤٠٧ .

للتصوير ، وبذلك تركناها بعد أن اعتمدنا على النسخ الثلاث الأُوَل .

٥ ـ نسخة محفوظة في خزانة المشهد الرضوي برقم (٤ معان وبيان) ، أولها : « الحمد لله الذي أشرقت بسناء محامده في سماء المعاني من شموس البيان أنجم وبدور ..... » وآخرها « ختم الكتاب ختام مسك بختام النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم وعلى آله الطيبين الطاهرين » . وهي بخط نسخ في ١٦٠ صفحة في كل صفحة ١٧ سطراً ، وقد وقفها ابن خاتون سنة ١٠٦٧ هـ .

٦ ـ نسخة أخرى محفوظة في خزانة المشهد الرضوي برقم (٥ معان وبيان) ، وهي ناقصة ، أول الموجود منها : « الرابع والعشرون في الانشاء » ، وآخر الموجود : « ذلك تقدير العزيز العليم » . وهي بخط نسخ في ١٣٢ صفحة ، في كل صفحة ٢٧ سطراً[١] .

ولا ندري هل ان هاتين النسختين هما التبيان للزملكاني أو غيره ؟

٧ ـ وذكر الاستاذ كوركيس عواد ان في مكتبة جامعة ييل في الولايات المتحدة الأمريكية ، نسخة من كتاب « التبيان » لابن الزملكاني برقم (٢٢٥)[٢] ، كتبت سنة ٦٤١هـ .

وقد كتبنا الى ايران وامريكا في عام ١٩٦٠ م طالبين تصوير نسخ الكتاب الأخرى ، وانتظرنا عامين كاملين ولم نتلق جواباً ، واكدنا طلبنا ولكن بلا جدوى ، وحينذاك عزمنا على اخراج الكتاب معتمدين على ثلاث نسخ :

الاولى : نسخة المكتبة التيمورية بالقاهرة ، وقد اتخذناها أصلاً لقدمها ودقتها .

الثانية : نسخة دار الكتب بالقاهرة المنقولة عن النسخة الاولى ، وهي مثلها في الدقة والضبط ، وقد رمزنا لها بـ « د » .

الثالثة : نسخة شهيد علي ، وهي أقدم من الثانية إلا ان فيها نقصا في

---

(١) ينظر فهرس مكتبة المشهد الرضوى المجلد الثالث ص ٥٤ ، ومقالة نفائس المخطوطات العربية فى المشهد الرضوى للدكتور أسعد طلس المنشورة فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق مجلد ٢٤ ص ٢٧٢ .

(٢) ينظر جولة فى دور الكتب الامريكية ص ٧٦ .

بعض المواضيع أشرنا اليه في اثناء التحقيق ، وقد رمزنا لها بـ « ش » .

وبالرجوع الى هذه النسخ الثلاث استطعنا أن نخرج نسخة كاملة من « التبيان » بعد أن استعنا بكتب عبدالقاهر والسكاكي والعلوي والقزويني والسبكي وغيرها من كتب البلاغة واللغة والأدب ودواوين الشعراء .

وبعـد :

فهذا كتاب « التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن » لابن الزملكاني المتوفى سنة ٦٥١ هـ نقدمه للقراء بعد أن قضينا في تحقيقه ومراجعته زمناً طويلاً . ولعلنا نكون قد قمنا ببعض الواجب في خدمة تراث أمتنا الخالدة فان وفقنا فذلك من فضل الله وان اخطأنا فما الكمال الا لله وحده عليه توكلنا وبه نستعين .

بغداد ــ الاربعاء

٢٩ رمضان ١٣٨٣هـ

١٢ شباط ١٩٦٤م

المحققان

التبيان في علم البيان

المطلع على إعجاز القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن[1]

الحمد لله الذي انطق ألسنة الاقلام باحكام الاحكام وفتق أغشية الافئدة لافهام[2] الافهام ، وأودع خزائن الصدور جواهر الكلام ، وذللها للالسن[3] اللسنة ، فانتظمت أي انتظام فأسفرت الفصاحة عن وجه كالبدر في التمام ، وأشرف تناسبها على الشرف[4] فحلت منه في ذروة السنام ، وأشرقت شموسها فخنست نجوم العلوم الخالبة[5] منها اذ كانت في الظلام ، وعظمت حتى عدت معدن دلائل الرسالة بالهدى ودين الاسلام على ممر[6] الشهور وتطاول الاعوام • ومن بديع[7] فضلها قد كستها القلوب خلع القبول وتظافر على فضلها براهين المنقول والمعقول[8] ، وسعى في طلابها اقدام الهمم من الفاضل والمفضول لعلمهم أنها في العلوم كالانسان في السواد ، وانه لا يظفر بنيل منها الا الافراد • وقد دل على تعظيمها قوله عليه السلام : « أنا أفصح من نطق بالضاد » • فهي المحل الاول والسماك الاعزل والطريق الامثل ، فالمنكّب عنها خليق بالتكبيرات الاربع ، والمكب عليها حقيق من المحامد بالمقام الارفع ، يرعف أنف قلمه[9] ببيان بنانه ، ويشرف نفث كلمه بتبيان لسانه ، تخفق عليه رايات المحامد ، وتطرق لديه [٢] رؤوس الافاضل اجلالاً للفوائد والفرائد • وعلم البيان آخذ بزمامها مدعو بامامها ،

---

(١) كذا في الاصل ود ، أما في ش : رب يسر ولا تعسر يا كريم •

(٢) كذا في الاصل ود ، أما في ش : بافهام •

(٣) كذا في الاصل ود ، أما في ش : للالسنة •

(٤) كذا في الاصل ود ، اما في ش : الشرق •

(٥) كذا في الاصل ود ، أما في ش : الخالية •

(٦) كذا في الاصل ود ، أما في ش : مر •

(٧) كذا في ش ، أما في الاصل ود : يدفع •

(٨) كذا في الاصل ود ، أما في ش : المعقول والمنقول •

(٩) كذا في الاصل ود ، أما في ش : يرعف قلمه •

يريك البدائع والغرائب ويهديك المناقب والعجائب[١]، ولغموضه ودقة رموزه استولت عليه يد النسيان وألحقه قصور الهمم بخبر كان، ولم أجد فيه من المصنفات[٢] الا القليل مع انها مشحونة بالقال والقيل، ومن أجمعها[٣] كتاب «دلائل الاعجاز» للامام العالم، الحبر النحرير علم[٤] المحققين عبدالقاهر الجرجاني[٥] رحمه الله، فانه جمع فأوعى وقال فأوعى[٦]، فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد، وهدم سور المعضلات بالتسوير المشيد حتى عاد أسهل من النفس وأصحب للفهم من الضوء لشهاب القبس في الغلس، فجزاه الله خير الجزاء، وجعل نصيبه من أوفر الاجزاء. غير انه واسع الخطو كثيراً ما يكرر الضبط، فقيد للتبويب، طريد من الترتيب، يمل الناظر ويعشي الناظر. وقد سهل الله [تعالى][٧] جمع مقاصده وقواعده وضبط جوامحه وطوارده[٨] مع فرائد سمح بها الخاطر، وزوائد نقلت من الكتب والدفاتر هذا وان تأليفه وقع[٩] في أيام قلائل مع كثرة العوائق والشواغل، فالحمد لله على ما أنعم وأولى فهو أحق بالحمد وأولى[١٠] حمداً يملأ الآخرة والاولى، وأصلي على سيدنا محمد ختم أنبيائه ومبلغ أنبائه، وعلى آله (وأصحابه)[١١] [٣] أعلام الهدى ومصابيح الدجى وأئمة التقى صلى الله عليه وعليهم أجمعين صلاة تبلغ قائلها أعلى عليين، وتسعفه بدرجات المقربين[١٢].

---

(١) كذا في ش: اما في الاصل ود: المناقب العجائب.
(٢) كذا في الاصل ود، أما في ش: ولم أجد من المصنفات فيه.
(٣) كذا في الاصل ود، اما في ش: وأجمعها.
(٤) كذا في ش: أما في الأصل ود: عالم.
(٥) هو عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني واضع أصول البلاغة، كان من ائمة اللغة من أهل جرجان وله شعر رقيق. أشهر كتبه «أسرار البلاغة» و «دلائل الاعجاز» و «الجمل في النحو» و «العوامل المائة» وغيرها. توفي سنة ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ.
(٦) كذا في الاصل ود، أما في ش: فادعى.
(٧) الزيادة من ش.
(٨) كذا في الاصل ود، أما في ش: وشوارده.
(٩) كذا في الاصل ود، أما في ش: كان.
(١٠) كذا في الاصل ود، أما في ش: فالحمد لله على ما أنعم وأولى.
(١١) سقطت في ش.
(١٢) كذا في الاصل ود، أما في ش: المتقين.

وقد رتبته على سوابق ومقاصد ولواحق • أما السوابق فهي المقدمات (وهي ثلاث)[1] •

المقدمة الاولى في فضل علم البيان :

غير خاف على لب الفطن أن العلوم وان تشعبت أساليبها وتفرقت أعاجيبها منتظمة في سلك الشرف مودعة في خزائن العقول ايداع الدر الصدف[2] ، ولولا العلم لم يفضل الانسان على غيره من الحيوان ولما كان حظه (الا)[3] الصورة المجردة والبنية المشيدة ، ومن ثم دخلت الضنة[4] وعظم في تعليمه المنة حتى فضل المعلمون على الآباء وادخل المتعلمون في زمرة الابناء ، ولله القائل [من البسيط] :

من علَّمَ الناس ذاك خيرُ أبٍ   ذاك أبو الروحِ لا أبو النُّطَفِ

وفضل بعض الناس على كل علم علمه[5] ، وتألى[6] انه مسدد في التحقيق سهمه حتى آل أرباب العلوم الى رفع وخفض ، وإبرام ونقض بين مغمور بالهوى مطرود عن محجة الهدى ، ومظهر خلاف معتقده ، متكلف في مباحثه واظهار مستنده دفعاً لعار الجهل عن نفسه ، موهماً أنه قد نال الفضل بفضله وجنسه • وقلما [٤] يقع انصاف ويظهر من ناقص اعتراف ، وماذاك الا لفرط محبة العلم واتسام النفس بسمات الظلم • وأما من صفت طينته وطهرت قرينته فهو مذعن لكل علم بفضله غير جاحد لما يستحقه من خصله •

والعلوم وان شردت عن يد الاحصاء ، وفاق تنويعها وتفصيلها عديد الحصباء ورمال الدهناء[7] ، لا تكاد تخرج عن قسمين : احدهما علم الالفاظ

---

(١) سقطت فى ش •
(٢) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : الدر فى الصدف •
(٣) سقطت فى ش •
(٤) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : الظنة •
(٥) كذا فى ش : أما فى الاصل ود : وفضل بعض الفضائل على كل علم علم •
(٦) آلى يؤلي ايلاء : حلف ، وتألى واتلى مثله •
(٧) الدهناء : الفلاة •

و (الآخر)[1] علم المعاني • وعلم البيان متوقل[2] في ذرى سنامها ، متوسط عقد نظامها ، إذ « لولاه لم تر لساناً يحوك الوشي ويصوغ الحلي ، وينظم الدر ، وينفث السحر ، ويريك بدائع الزهر ، ويجنبك اليانع من الثمر »[3] ، فبه تنعقد معاقد النثر والنظم[4] ولديه تقصر المعضلات عن النزاع في الحكم • ومن ثم لا تجد علماً لقي من الظلم ما لقيه ، وغشيه من يم الحيف ما غشيه[5] ، لا يقوم به إلا الآحاد ، ولا يعظمه الا الافراد • شعر [من الكامل] :

حسدوه حين رأوه أحسن منهم والبدرُ تحسده النجومُ اذا بدا

المقدمة الثانية في بيان حصر مواقع[6] الغلط في اللفظ :

اعلم أن مدار ذلك على ثلاثة أمور : الجهل بالدلالة الافرادية والاعرابية ، أو مواقع التركيب ، لانه اذا عرف موضوع [٥] اللفظ المفرد وموضوع ما عرض له من علم الاعراب وما عرض له من التركيب ، عرف اللفظ من جميع وجوهه فاستحال الغلط اذ ذاك • وعلم البيان هو الثالث الذي ينتهي اليه سياق القسمين الاولين فانه عبارة عن توخي معاني النحو في التركيب ، فالجاهل بذلك منكب عن المقصد الاسنى والطريقة الحسنى • (ولما رأيته وحيداً في فنه قصدت به وحيداً في مستسنه مولانا وسيدنا وزير الشام أبا الحسن علياً الأمين ليحصل من سعده على اسعاد ومن مجده على إنجاد ويحظى بشرف الانتساب وعلو الاسناد ، فان المضاف أبداً يكتسي أحكام المضاف اليه ويعول في مراتب التعريف عليه ، أناله الله في الدارين

(١) سقطت فى ش •
(٢) توقل فى الجبل : صعد فيه •
(٣) هذه عبارة عبدالقاهر فى دلائل الاعجاز ص ٤ •
(٤) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : النظم والنثر •
(٥) قال عبدالقاهر فى دلائل الاعجاز ص ٥ : « الا انك لن ترى على ذلك نوعا من العلم قد لقى من الضيم ما لقيه ، ومنى بالحيف بما منى به •••• » •
(٦) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : فى حصر مواقع •

من الخير بغيته ، كما رقى في شناخيب[1] المعروف همته ، ولا برح لاهل الفضل حرزاً كما لم يزل للعافين كنزاً وعزاً ما تألق بارق في المغـــارب والمشارق[2] بمحمد وآله الطيبين الطاهرين)[3] .

المقدمة الثالثة في طريق تحصيله :

وذلك باتقـــان جمل من علمي اللغــة والاعراب فانهمـــا مرقاة اليه ومقدمات بين يديه ، ولبعد شأوه يقصر عنه الفهم ويدق ان يتخيله الوهم . وهذا الكتاب يتضمن قوانينه التي منها اقتباسه وعليها بني أساسه [٦] ، وسأوضح ذلك بالامثلة وأشير الى دقائقه المشكلة حتى تظهر للاعيان ظهور المرئي في العيـــان ، والله سبحـــانه ولي الاســـعاد والتوفيق والارشاد بمنّه وكرمه ، وقد سميته « كتاب التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن »، وأما المقاصد فتجمعها ثلاثة أركان :

(١) الشنخاب والشنخوب والشنخوبة : رأس الجبل وأعلاه ، والجمع شناخيب .
(٢) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : المشارق والمغارب .
(٣) سقط ما بين القوسين فى ش .
(٤) كذا فى ش : أما فى الاصل ود : باتفاق .

الرُّكْنُ الأَوَّل

فى الدَّلالاتِ الإِفْرادِيَّة

الركن الاول
في الدلالات الافرادية

المقصود منها في هذا الركن[1] بيان ما يتعلق الغرض فيه في هذا الفن ، وفيه أبواب ثلاثة :

الباب الاول
في الحقيقة والمجاز

فنقول : اللفظ اما ان يراد به ظاهره في ذلك الاصطلاح وهو كالاسد اذا أريد به الحيوان المفترس ، أو غير ظاهره وهو المجاز . ثم المجاز مداره الأعم على أقسام ثلاثة : الكناية والاستعارة والتمثيل :

القسم الاول الكناية :

وهي أن تريد اثبات معنى فتترك اللفظ الموضوع له وتأتي بتاليه وجوداً لتومي به اليه وتجعله شاهداً ودليلاً عليه . مثاله « فلانٌ كثيرُ رمادِ القِدْرِ » والمراد كثرة القرى[2] ، و « طويل النجاد » والمراد طول قامته . والكناية أبلغ من التصريح ، وسره ان ذكر الحكم بدليله وشاهده أوقع منه مجرداً عن الشاهد . فاذا ذكرت كثرة رماد القدر فقد ذكرت دليل الكرم ، واذا ذكرت [٧] طول الحمائل فقد ذكرت ما لا يكون الا مع طول القامة .

اشـــارة :

ليست الكناية منحصرة في هذا الضرب ، بل قد تجيء على وجـه

---

(١) كذا في الاصل ود ، أما في ش : القسم .
(٢) كذا في الاصل ود ، اما في ش : كثير .

آخر ، وهو أن يأتوا بالمراد منسوباً الى أمر يشتمل عليه من هي له حقيقة[1] كقول زياد الاعجم[2] [من الكامل] :

إِنَّ السَّماحَةَ والمروءة والنـدى
في قُبَّةٍ ضُربتْ على ابنِ الحشْرَجِ[3]

أراد أن يقول : ان السماحة والمروءة والندى مجموعة في ابن الحشرج أو مقصورة عليه أو مختصة به ، فجعل كونها في القبة المضروبة عليه كناية عن كونها فيه ، فهو من الصنعة[4] نظير النوع الاول المتقدم[5] ، ومثله [من الوافر] :

وما يَكُ فيَّ من عيْبٍ فاني
جبانُ الكَلْبِ مَهْزولُ الفصيلِ[6]

كنى عن كرم نفسه وعن كثرة القرى والضيافة بجبن الكلب وهزال الفصيل ، ولو صرح لقال : لقد عرف ان جنابي مألوف وكلبي لا يهرّ في وجه من يغشاني من الاضياف ، واني انحر النوق وأدع فصالها[7] هزلى .

ونظير قول الاعجم ، قول يزيد بن الحكم يمدح (به)[8] يزيد بن المهلب[9] وهو في حبس الحجاج [من المنسرح] :

---

(١) هذا هو الكناية المطلوب بها نسبة .

(٢) هو زياد بن سليمان أو سليم الاعجم أبو أمامة مولى بنى عبدالقيس . من شعراء الدولة الاموية ، جزل الشعر فصيح الالفاظ . وقد كانت فى لسانه عجمة فلقب بالاعجم . ولد ونشأ فى اصفهان وانتقل الى خراسان ، وتوفى . سنة ١٠٠هـ .

(٣) ينظر دلائل الاعجاز ص ٢٣٧ ، ومفتاح العلوم ص ١٩٢ ، والايضاح ص ٣٢٤ . وابن الحشرج من ولاة الدولة الاموية ، واسمه عبدالله .

(٤) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : الصيغة .

(٥) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : النوع المتقدم .

(٦) كذا فى الاصل ود ، والدلائل ص ٢٣٧ ، ومفتاح العلوم ص ١٩١ ، والايضاح ص ٣٢١ ، اما فى ش : أتعلم . والبيت لابن هرمة شاعر من مخضرمى الدولتين توفى سنة ١٤٥ . مهزول : ضعيف نحيل ، الفصيل : ولد الناقة اذا فصل عن أمه .

(٧) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : فصلانها .

(٨) سقطت فى ش .

(٩) يزيد بن الحكم : شاعر عالى الطبقة من أعيان العصر الاموى من أهل الطائف ، سكن البصرة وولاه الحجاج كورة فارس ثم عزله قبل ان يذهب اليها فانصرف الى سليمان بن عبدالملك . كان أبى النفس شريفها من حكماء الشعراء . توفى سنة ١٠٥هـ . يزيد بن المهلب بن أبى صفرة الازدى ، أمير من القادة الشجعان الاجواد . ولى خراسان بعد وفاة ابيه ، وتوفى سنة ١٠٢هـ .

أصبح في قيدِك السَّماحةُ والمَجْـ ـدُ وفَضْلُ الصَّلاحِ والحسب[1]

ونظير الثاني قول نصيب[2] [من المتقارب] :

لعبدِ العزيزِ على قَـومِهِ وغـيرِهم مِنَنٌ ظاهـره[3]

[8]

فبـابُك أسْهَـلُ أبوابِهـم ودارُكَ مأهـولةٌ عامـره

وكلبُـك آنَسُ بالزائـرينَ من الأُمِّ بالابنـةِ الزائـره

وهذا قريب من قول الآخر [من الطويل] :

يكادُ إذا ما أبصرَ الضَّيفَ مقبلاً

يكلّمُه من حُبِّـهِ وهـو أَعْجَمُ[4]

ويقرب من الطراز الاول قولهم : « المجد بين ثوبيه والكرم في[5] برديه » ، ومنه قول أبي نواس[6] [من الطويل] :

فمـا جازَه جُودٌ ولا حَلَّ دونهُ

ولكنْ يصيرُ الجودُ حيْثُ يصيرُ

توصل الى اثبات الصفة للمدوح باثباتها في مكانه والى لزومها لـه بلزومها الموضع الذي يحله . ومما هو في حكم المناسب لبيت زياد وان كانت قوائمه في الغرابة أرسخ قول حسان[7] [من الطويل] :

---

(١) ينظر دلائل الاعجاز ص ٢٣٨ .

(٢) هو نصيب بن رباح أبو محجن مولى عبدالعزيز بن مروان ، شاعر فحل مقدم فى النسيب والمدائح . توفى سنة ١٠٨هـ .

(٣) كذا فى الاصل ود والدلائل ص ٢٣٨ ، ومفتاح العلوم ص ١٩١ والايضاح ص ٣٢٢ ، اما فى ش : نعم . وعبدالعزيز هو ابن مروان .

(٤) كذا فى الاصل وفى د وش ، والدلائل ص ٢٣٩ والايضاح ص ٣٢٢ ، اما فى مفتاح العلوم ص ١٩١ : تراه اذا ... ويروى البيت لابن هرمة أو للنابغة الجعدى .

(٥) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : بين .

(٦) هو أبو نواس الشاعر العباسى المشهور ، ولد سنة ١٤٩هـ فى الاهواز ونشأ بالبصرة ورحل الى بغداد فاتصل بالخلفاء العباسيين ومدح بعضهم . توفى سنة ١٩٨هـ .

والبيت من قصيدة له مطلعها (ديوانه ص ٤٨٠) :

أجارة بيتينا أبوك غيور وميسور ما يرجى لديك عسير

وينظر الدلائل ص ٢٣٩ والايضاح ص ٣٢٥ . جـازه : تعداه وجاوزه ، حـل دونه : نزل بعيدا عنه .

(٧) هو حسان بن ثابت شاعر الرسول الاعظم توفى سنة ٥٤هـ .

بنى المجدُ بيتاً فاستقرتْ عمادُه
علينا ، فأعيى الناسَ أنْ يتحوَّلا[1]

وقول البحتري[2] [من الكامل] :

أوَما رأيتَ المجدَ ألقى رَحْلَه
في آلِ طَلْحَةَ ثمَّ لَمْ يتحولِ[3]

وأما قول البحتري ايضا [من الطويل] :

طلبنا نَعودُ المجدَ من وَعْكك الذي
وجدتَ ، وقلنا اعتلَّ عضوٌ من المجدِ[4]

فليس بنظير لبيت زياد وان كانا من باب الكناية جميعاً ، كما أن « جبان الكلب » ليس نظير « مهزول الفصيل » وان كانا من بيت واحد [٩] • ومن نادر ذلك قول أبي تمام[5] [من الوافر] :

أبَيْنَ فما يَزُرْنَ سوى كريمٍ
وحَسْبُكَ أنْ يَزُرْنَ أبا سعيدِ[6]

ودونه قول الآخر [من الوافر] :

متى تخلوْ تميمٌ من كريمٍ   ومَسلمةُ بنُ عَمْروٍ من تَميمِ[7]

وقد جاء منه فن غريب ، مثاله قول بعضهم في البرامكة [من الطويل] :

---

(١) ينظر الطراز ج ١ ص ٤٢٣ •

(٢) هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائى أبو عبادة ، شاعر كبير يقال لشعره سلاسل الذهب • ولد سنة ٢٠٦هـ بمنبج ورحل الى العراق واتصل بالمتوكل العباسي وغيره • توفى سنة ٢٨٤هـ •

(٣) البيت من قصيدة يمدح البحترى بها محمد بن على بن عيسى القمى الكاتب • ينظر ديوانه ج ٢ ص ٣٦٨ والدلائل ص ٢٤٠ ومفتاح العلوم ص ١٩٤ والايضاح ص ٣٢٨ •

(٤) البيت من قصيدة يمدح بها ابراهيم بن المدبر ، ينظر ديوانه ج ١ ص ٢٤٤ ودلائل الاعجاز ص ٢٤٠ •

(٥) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائى أبو تمام الشاعر الاديب • ولد فى قرية جاسم سنة ١٨٨هـ ، ورحل الى مصر واستقدمه المعتصم الى بغداد • كان شاعرا كبيرا ، وتوفى سنة ٢٣١هـ •

(٦) الضمير فى (أبين) و (يزرن) يرجع الى الابل التى يصفها • ينظر ديوانه ص ٨٢ ، والدلائل ص ٢٤١ ، والمفتاح ص ١٩٤ ، والايضاح ص ٣٢٨ ، والطراز ج ١ ص ٤٢٤ •

(٧) ينظر الدلائل ص ٢٤١ ومفتاح العلوم ص ١٩٤ والايضاح ص ٣٢٨ ، والطراز ج ١ ص ٤٢٤ •

سألتُ النّدى والجُودَ مالي أراكما
تبدلتمــا ذُلاً بعــزٍ مؤبــدِ
وما بالُ رُكن المجدِ أمسى مُهَدَّماً
فقــالا : أُصِبْنا بابن يحيى محمــدِ
فقلت : فهلاّ مُتّما عنــد مــوتــه
وقــد كنتما عَبْديه في كــلِ مشــهد
فقالا : أقمنا كــي نُعَزّى بفقــده
مســافة يوم ، ثم نتلوه في غــدِ[1]

(ونظيره قوله [من الطويل] :

سألتُ النّدى هل أنت حُرٌ فقال لا
ولكننــي عَبْدٌ ليحيى بنِ خالــد
فقلت : شراءً ؟ قال : لا ، بل وراثةً
توارثهــا عــن والــدٍ بعــد والــد)[2]

وليس لشعب هذا الاصل غاية ينتهى اليها ، فعليك أن تعمل في كل مثال فكرك[3] لتظهر لك كنوز المطالب •

القسم الثاني : الاستعارة :

وهي ضربان :

الضرب الاول : ان تطلق اسم المشبه به على المشبه من غير أداة التشبيه كقولك : « رأيت أسداً » وأنت تريد انساناً كالاسد في شجاعته ، فقد جعلت الشيء للشيء وليس به [٦١٠] •

الضرب الثاني : أَنْ تجعل الشيء للشيء وليس له نحو قوله [من الكامل] :

---

(١) ينظر دلائل الاعجاز ص ٢٤٢ ، ومفتاح العلوم ص ١٩٤ •
(٢) سقطت فى ش •
(٣) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : فكرك فى كل مثال ؛

[وغداةِ ريحٍ قد كشفتُ وقِرّةٍ]
إذْ أصبحت بيد الشمال زمامُها[1]

فهذا مدع أن للشمال يداً وان للسحاب زماما . فان قلت : أقولك « رأيت أسداً » كقولك : زيد أسد ؟ قلت : لا ، ألا ترى ان الاول قد نزل منزلة الشيء الثابت الذي لم تبقَ له حاجة الى الاخذ في اثباته وان الثاني عكسه ، وظهر[2] ان الاول أقْعَدُ في المعنى لاشعاره من أول وهلة أن المرئي ذات الاسد بخلاف الثاني فانه افهمك حقيقة انسان ادعى انها حقيقة أسد . فان قلت : أينحصر الثاني في اجرائه خبراً ؟ قلت : لا ، بل قولك « ان لقيته لقيت به أسداً أو لقيك منه الاسد » مثل قولك : « زيد أسدٌ » من حيث أنك فهمت حقيقة انسان ادعى انها حقيقة أسد . والمختار[3] عند فرسان علم البيان ان يسمى الضرب الثاني تشبيهاً على وجه المبالغة لا استعارة لتردده بين قولك : « زيد أسد » و « زيد كالاسد » .

اشـــارة :

اعلم ان الاستعارة فائدتها أن توجب حصول ما سيقت له ايجاباً ذاتياً يستحيل مع ما ذكرته أن يعرّى عنها ، ألا ترى أن الاسد لذاته يجب ان يكون شجاعاً ولم ينشأ له ذلك بسبب ذات أخرى[4] .

ومن بليغ الاستعارة [١١] [من البسيط] :

اليوم يومان مُذْ غُيِّبْتَ عن بصري
نفسي فداؤك ما ذنبي فاعتذرُ
أمسي وأُصْبِحُ لا ألقاك وآحَربا
لقد تأنَقَ في مكروهيَ القَدَرُ

(١) البيت للبيد وهو من معلقته . ينظر المعلقات السبع ص ١٤١ والايضاح ص ٣٠٩ . كشفت : هزمت وأزالت وتغلبت عليها ، القرة : البرد ، الشمال : الريح الهابة من جهة الشمال وهي أبرد الرياح ، زمامها : قيادها .
(٢) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : فظهر .
(٣) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : فالمجاز .
(٤) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : ولم تنشأ له ذلك ...

ومنه قول أبن المعتز[1] [من الطويل] :

يناجيني الاخلافُ من تَجْتِ مَطْله
وتختصم الآمالَ واليأْسَ في صَدْري[2]

ومما أنشده الجاحظ[3] [من الطويل] :

لقد كنت في قوم عليك أَشحَّةٍ بنفسك الا أنّ ما طاحَ طائحُ
يودون لو خاطوا عليك جلوَدهم
ولا يَدْفَعِ الموتَ النفوسُ الشحائح[4]

تنبيــه :

اذا حققت النظر في قولك « فلان أسد » رأيت التجوز في المعنى دون اللفظ حيث اعتقدت أو توهمت أن ذات الرجل ذات الاسد ، ولذلك قالوا : المجاز قد يكون أبلغ من الحقيقة . والبلاغة والزيادة انما[5] تقع في المعنى ومن ثم قيل جعله أسداً أو بحراً أو بدراً كما تقول : جعلته[6] أميرا . فان قلت : لعل (جعل) بمعنى (سمى) كقوله تعالى : « وجعلوا الملائكة الذين هم عبادُ الرحمن إناثاً[7] » أي : سموا ، والمفعول الثاني من (سمى) أبداً يكون المراد به اللفظ دون المعنى كقولك : « سميت ولدي عبدالله » أي : سميته بهذا اللفظ . قلت : بل المراد انهم اثبتوا للملائكة صفة الانوثـة واعتقدوا وجودها فيهم . وعن هذا الاعتقاد [١٢] صدر عنهم اطلاق اسـم البنات ، لا انهم ذموا لاطلاق لفظ البنات على الملائكة من غير اعتقاد معنى

---

(١) هو عبدالله بن محمد المعتز بالله ، الشاعر المبدع . ولد سنة ٢٤٧هـ فى بغداد وأولع بالادب ، وقد تولى الخلافة يوما وليلة وخنق فى سنة ٢٩٦هـ .

(٢) كذا فى الاصل ود وش ودلائل الاعجاز ص ٦١ ، والايضاح ص ٢٩٣ ، اما فى ديوانه ص ٢٢٦ :

تجاذبنى الاطراف بالوصل والقلى فتختصم الآمال واليأس فى الصدر

(٣) هو عمرو بن بحر بن محبوب ، كبير ائمة الادب ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة . ولد فى البصرة سنة ١٦٣هـ ومات فيها سنة ٢٥٥هـ . له (الحيوان) و (البيان والتبيين) و (البخلاء) وغيرها .

(٤) البيتان للاغر الشاعر . ينظر البيان والتبيين ج ١ ص ٥٠ ودلائل الاعجاز ص ٦١ - ٦٢ .

(٥) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : اما .

(٦) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : جعله .

(٧) سورة الزخرف ، الآية ١٩ .

الانوثة[1] فيهم ، ولذلك قال تعالى : « أَشَهِدوا خلقَهُم[2] » .

كلما ازداد التشبيه خفاء ازدادت الاستعارة حسناً حتى انك لتراها أغرب ما يكون اذا كان الكلام قد الف تأليفاً لو اردت أن تفصح فيه بالتشبيه خرجت الى ما يلفظه السمع وتعافه النفس ، ومثاله قول ابن المعتز [من المديد] :

أَثْمَرَتْ أغْصَانُ راحتِهِ لجُنَاةِ الحُسْنِ عُنَّابا[3]

ولو قلت : أثمرت أصابع يده التي هي كالاغصان لطالبي الحسن شبيه العناب من أطرافها المخضوبة ، لم تخف عليك غثاثته .

القسم الثالث التمثيل :

وهذا[4] انما يكون مجازاً اذا جاء على حد الاستعارة مثاله قولك للمتحير : « فلانٌ يُقدّمُ رجلاً ويؤخرُ أخرى » ولو قلت : انه في تحيره كمن يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ، لم يكن من باب المجاز . وكذلك (قولك)[5] من أخذ في عمل لا يحصل البغية : « أراك تنفخ في غير ضرم » و « تخط على الماء » ، والمراد : أنت كمن يفعل هذا . ومنه : « ما زال يفتل الذروة والغارب[6] حتى بلغ منه مراده » والمعنى : انه لم يزل يرفق بصاحبه رفقاً يشبه حاله فيه حال الرجل يجيء الى البعير الصعب [١٣] فيحكه ويفتل الشعر في ذروته وغاربه حتى يستأنس[7] .

---

(١) كذا في الاصل ود ، أما في ش : معنى للانوثة .

(٢) سورة الزخرف ، الآية ١٩ .

(٣) ينظر ديوانه ص ١٤ والطراز ج ١ ص ١٧٢ . العناب بضم العين : شجر حبه كحب الزيتون أحمر حلو ، والواحدة عنابة .

(٤) كذا في الاصل ود ، أما في ش : هذا .

(٥) سقطت في ش .

(٦) الغارب : الكاهل وقيل ما بين السنام والعنق ، وهو الذى يلقى عليه خطام البعير اذا ارسل ليرعى .

(٧) ينظر دلائل الاعجاز ص ٥٤ ـ ٥٥ .

تنبيــه :

ينبغي أن تعلم أنه يعرض لامثلة هذه المراتب تفاوت شديد لا يدخل تحت الضبط لما يعرض في بعضها دون بعض مع اندراجها تحت قسم واحد كما تراه في قوله [من الطويل] :

أَخَذْنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا   وسالت بأعناق المطيِ الأَباطِحُ[(1)]

وقوله [من البسيط] :

سالت عليه شِعابُ الحي حينَ دعا   أنصـــارَهُ بوجـوهٍ كالدنانيرِ[(2)]

فالاول مراده : انهـا سارت سيراً شديداً في غـاية سرعةٍ مع لين وسلاسة[(3)] حتى صارت كأنها سيول وقعت في الاباطح فجرت • وهـذه اللفظة وان كانت بعينها في البيت الثانى وان مراده اسراعهم الى نصرته وانه اذا دعاهم ازدحموا[(4)] حتى صاروا كسيول تجيء من كل جانب ، فلست أراها الا دون الاولى وذلك لما عرض من نسبة السيول الى الاعناق الممتدة الآخذة في الطول الملحق بصورة ماءٍ جارٍ ، وفيها من الاضطراب بحركة السير ما يقربها من الماء المضطرب ، فحسن لهذا التشبيه الواضح ان ينسب السيل اليها بخلاف الثاني فانه نسب (فيه)[(5)] السيل الى الوجوه التي ان اشبهت الماء ففي صفائه الذي ليس بلازم له • كيف وقد شبهها [١٤] بالدنانير لشدة حمرتها واشراقها واستدارتها ، وكل ذلك لا يلائم الماء ، وليست الرقة في تحقيق الاسراع الذي يشبه سرعة السيل لكن في خصوصية

---

(١) ينظر الشعر والشعراء ص ٨ ودلائل الاعجاز ص ٥٩ ــ ٦٠ والايضاح ص ١٨٠ ــ ١٨٢ وينسب البيت لـكثير عزة وليزيد بن الطثرية وكلاهما شاعر أموى • وقبله :

ولمـا قضينا من منى كل حاجـة   ومسح بالاركان من هو ماسـح

وشدت على دهم المهاري رحالنا   ولم ينظر الغادى الذى هو رائح

أخـذنا باطراف الاحاديث بيننا   وسـالت باعنـاق المطى الاباطـح

ونسبها اسامة بن منقذ فى كتابه البديع فى نقد الشعر ص ١٥٤ الى نصيب وقيل لغيره •

(٢) البيت لابن المعتز • الشعاب : جمـع شعب وهـو الطريق فى الجبل • وجـوه كالدنانير : مشرقة • ينظر دلائل الاعجاز ص ٥٩ و٧٨ ، والايضاح ص ٢٩٤ •

(٣) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : أين وسلامة •

(٤) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : حواليه •

(٥) سقطت فى ش •

أفادها بان جعل الفعل للاباطح ثم عداه بالباء بذكر الاعناق المستطيلة ولم يقل : بالمطي ، ولو (قال)[1] سالت المطي في الاباطح لم يكن شيئاً .
والغرابة في الثاني تعديته بـ (على) والباء وبان جعل الفعل لشعاب الحي .

ومن غريب الاستعارة وشريفها ان تجمع بين عدة استعارات وقصدك أن تلحق الشكل بشكله ، وان يتم المعنى والشبه المراد كقول امريء القيس[2] [من الطويل] :

فقلْتُ لـه لما تمطّى بصلبه   واردف أعجازاً وناءَ بكلكلِ[3]

فأنظر كيف جعل لليل[4] صلباً قد تمطى به ، وثَنّى بذكر الاعجاز التي هي ردف الصلب وثلث بالكلكل الذي عليه يعتمد البعير اذا برك[5] فاستوفى لليل جملة أركان البعير حتى خيل انه على صورته[6] ، ومراده تناهي الليل في الطول .

تنبيــه :

لا يعزب عن فهمك انك اذا البست المستعار حرف التشبيه فقد خلعت عنه ثوب الاستعارة كقولك : « فلان كالاسد » فان قلت : فايهما ابلغ معنى ؟ قلت : الاستعارة ؛ لادعائك ان ذاته يجب ان [١٥] تكون الشجاعة لها غير منفكة عنها لا ان الشجاعة حصلت لمعنى عارض لمفرد هذا الجنس .

ومن الفائق الرائق ان يقع لك تشبيه شيئين بشيئين كبيت امريء القيس

---

(١) سقطت فى ش .

(٢) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندى ، اشهر شعراء العرب فى الجاهلية . ولد سنة ١٣٠ وتوفى سنة ٨٠ قبل الهجرة .

(٣) البيت من معلقته الشهيرة ، ينظر ديوانه ص ١٨ وشرح المعلقات السبع ص ٢٩ . ناء : مقلوب نأى بمعنى بعد ، الكلكل : الصدر .

(٤) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : الليل .

(٥) كذا فى ش : اما فى الاصل ود : نزل .

(٦) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : مثور به .

[من الطويل] :

كأنّ قلوبَ الطير رَطباً ويابسا

لدى وكرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالي[1]

وكبيت الفرزدق[2] [من الكامل] :

والشّيْبُ ينهضُ في الشّباب كأنه

ليلٌ يَصيح بجانبيه نهارُ[3]

وأحسن التئاما منه قول بشار[4] [من الطويل] :

كأنّ مثارَ النّقْعِ فوق رؤوسنا

واسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكُبه[5]

فما أحسن ما مزج ظلمة الغبار في الجو بالسيوف حتى صار كأنه ليل تتكدر[6] الكواكب في سمائه ٠

ومما وقع فيه المزج بين شيئين ثم شبه بشيئين بعد مزجهما ايضاً قوله تعالى : « مَثَلُ الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كَمَثَلِ الحمار يَحْمِلُ أسفاراً[7] » شبهوا في حفظهم التوراة ودرسهم لها مع تَركهم[8] العمل باحكامها بحمار حمل كتباً لا يجد من حملها نفعاً إلا الثقل ، ويقرب من ذلك قول القائل [من الطويل] :

---

(١) ينظر ديوانه ص ٣٨ ٠

(٢) هو همام بن غالب الشهير بالفرزدق ، شاعر من النبلاء من أهل البصرة كان عظيم الاثر فى اللغة ، وهو من أكبر شعراء الدولة الاموية توفى سنة ١١٠هـ ٠

(٣) فى الاصل : ينهض والشباب ، وفى ديوانه ج ٢ ص ٤٦٦ : فى السواد ٠

(٤) هو بشار بن برد أشعر المولدين ، أصله من طخارستان ٠ ولد سنة ٩٥هـ ونشأ بالبصرة ٠ توفى سنة ١٦٧هـ ٠

(٥) كذا فى الاصل ود وش ، اما فى ديوانه ج ١ ص ٣١٨ : فوق رؤوسهم ٠

(٦) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : تنكدر ٠

(٧) سورة الجمعة ، الآية ٥ ٠

(٨) كذا فى ش اما فى الاصل ود : مع ترك ٠

زوامِلُ للاشعارِ لا عِلْمَ عندهم
بجيّدِها إلا كعلمِ الاباعرِ (١)
لَعَمْرُكَ ما يدري البعيرُ إذا غدا
بأثقالِه أو راح ما في الغرائرِ (٢)

---

(١) كذا فى الاصل ود وأسرار البلاغة ص ١٣١ ودلائل الاعجاز ص ١٩٦ ، أما فى ش : لا علم عنده ٠

(٢) كذا فى الاصل ود ، اما فى الاسرار ص ١٣١ والدلائل ص ١٩٦ : بأوساقه ٠ الزوامل : جمع زاملة وهى ما يحمل عليها من الابل وغيرها ٠ الوسق : بالفتح والكسر : حمل البعير وجمعه أوساق ٠ الغرائر : جمع غرارة وهى أكياس التبن ٠ والبيتان لمروان بن سليمان ابن يحيى بن أبى حفصة يهجو قوما من رواة الشعر بانهم لا يعلمون ما هو على استكثارهم من روايته ٠

الباب الثاني
في الفرق بين الاثبات بالاسم والفعل والمعرفة والنكرة

وفيه فصلان :

الفصل الاول في الفرق بين الاثبات بالاسم والفعل :

اياك أن تتوهم في قول أئمة العربية ان « ينطلق » في قولك « زيد ينطلق » بمنزلة « منطلق » ، ان ذلك حكم على المعنى على وجه التحقيق اذ يلزم ان يكون الفعل اسماً وان يتحد جدهما بل غرضهم بيان ما هو الاصل في الخبر وان يوضحوا ذلك بنوع من التقريب . واذا أنعمت النظر وجدت الاسم موضوعاً على ان تثبت به المعنى للشيء من غير اشعار بتجدده شيئاً فشيئاً ، بل جعل الانطلاق مثلاً صفة له ثابتة ثبوت[1] الطول والقصر في (قولك)[2] : « زيد طويل أو قصير » ، بخلاف ما اذا اخبرت بالفعل فانه يشعر بالتجدد وانه يقع جزءاً فجزءاً . وان اردت شاهداً على ذلك فتأمل هذا البيت [من البسيط] :

لا يألَفُ الدرهمُ المضروبُ خرقَتَنا
لكنْ يَمُرُّ عليها وهو مُنْطَلِقُ[3]

فجاء بالاسم ولو أتى بالفعل لم يحسن هذا الحسن . ومما يتضح فيه امتناع الفعل قوله تعالى : « وكلبُهم باسطٌ ذراعيه بالوَصيد[4] » فان « يبسط ذراعيه » لا يؤدي هذا الغرض فانه يؤذن بمزاولة الكلب البسط ، وانه يحدث له شيئاً بعد شيء ، و « باسط » أشعر بثبوت الوصف [١٧] ،

---

(١) كذا في الاصل ود ، أما في ش : ثانية بثبوت .
(٢) سقطت في ش .
(٣) كذا في الاصل ود وش ، أما في الايضاح ص ٨٧ : صرتنا . والبيت للنضر بن جؤية . المضروب : المطبوع المعد للتعامل .
(٤) سورة الكهف ، الآية ١٨ .

كما يشعر به قولك : « كلبهم واحد » • ولو وضعت موضع « فلان طويل أو قصير » يطول أو يقصر ، لماصح ، وانما يجيء ذلك في شيء تلحقه الزيادة تارة والنقصان أخرى كالثبات[1] مثلاً • ومنه قوله تعالى : « هل من خالقٍ غيرُ الله ، يرزُقُكم من السَّماء والارْضِ[2] » • لو قيل « رازق لكم » لزال المعنى المراد من تجدد الرزق ، ومن ثم قال المحصلون : انّ سلام ابراهيم عليه السلام أبلغ من سلام الملائكة حين قالوا : « سلاماً ، قال سلام»[3] » من جهة أن نصب « سلاماً » انما يتجه على ارادة الفعل الناصب ، وان التقرير : « سلمنا سلاما » • وهذه العبارة مؤذنة بحدوث التسليم منهم ، اذ الفعل يجب أن يكون وجوده متأخراً عن وجود الفاعل فاستلزم نسبة الفعل الى الفاعل على الاشعار[4] بذلك بخلاف سلام ابراهيم فانه مستغن عن تقدير الفعل لارتفاعه بالابتداء فلم يكن مستلزماً لما يشعر بحدوث التسليم وتجدده فأقتضى الثبوت على الاطلاق ، وما هو ثابت مطلقاً أبلغ مما يعرض له الثبوت في بعض الاحوال •

الفصل الثاني في الفرق بين المعرفة والنكرة :

المعرفة ما دل على شيء بعينه ، والنكرة ما دل على شيء لا بعينه[5] • ثم المعرفة خمسة أقسام واعرفها المضمر ، ثم العلم ، ثم اسم الاشارة ، والموصول ، ثم المعرف بالالف واللام ، ثم المضاف الى واحد منها اضافة معنوية لا تحقيقية [١٨] •

اشـارة :

كما ان المعارف متفاوتة في مراتب التعريف فكذلك النكرات متفاوتة في مراتب التنكير ، فكل نكرة هي أعم من غيرها فهي أبهم منه في الوضع ،

---

(١) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : النبات •
(٢) سورة فاطر ، الآية ٣ •
(٣) سورة هود ، الآية ٦٩ •
(٤) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : الاشعار •
(٥) ينظر الطراز ج ٢ ص ١٤ ، ١٥ •

ولذلك قضي بان قولنا « موجود » أبهم من قولنا « حيوان » • واختلف في لفظ (شيء)[1] بناء على ان المعدوم شيء أو ليس بشيء ، فمن قال بأن المعدوم شيء (بمعنى)[2] ان له تحققاً في ذاته ، قال انه بانه أعم من موجود ، ومن أنكر ذلك منع من اطلاق اسم الشيء عليه بطريق الحقيقة وسوّغه بطريق المجاز • ومما يدل على ذلك قوله تعالى : « وقد خلقتُكَ من قبْلُ ولم تَكُ شيئاً[3] » ، وقوله تعالى : « إنّ زَلزلةَ الساعة شيءٌ عظيم[4] » • فنفى الشيئية في الآية الاولى وأثبتها في الثانية •

تنبيـــه :

الاسم قد تكون له دلالة على أمرين فصاعداً فيذكر لقصد الدلالة على أحدهما ويرجع المدلول (الآخر)[5] مسوقاً[6] على وجه التبع • بيانه ان قولك « رجل » فيه دلالة على الجنس[7] والوحدة ، فتارة تطلقه ومرادك به الدلالة على الجنسية نحو قولك : « أرجل في الدار » ، وتارة تطلقه ومرادك به الدلالة على الوحدة كقولك : « أرجل أتاك أم رجلان » ، فان سؤالك عن الوحدة دون كونه رجلاً ، ومن هاهنا ظهر ذهول الفخـــر الرازي[8] في حده المطلق [١٩] بانه الدال على الحقيقة من حيث هي هي من غير ان تكون فيه دلالة على شيء من قيود تلك الحقيقة سلباً كان ذلك القيد أو ايجابا • وان الصواب ما اعتقده خطأ من حد القدماء له بانه الدال على واحد لا بعينه محتجاً بان الوحدة والتعيّن قيدان زائدان على الماهية •

---

(١) سقطت فى ش •
(٢) سقطت فى ش •
(٣) سورة مريم ، الآية ٩ •
(٤) سورة الحج ، الآية ١ •
(٥) سقطت فى ش •
(٦) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : مسبوقا •
(٧) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : الجنسية •
(٨) هو محمد بن عمر ، الامام المفسر • ولد فى الرى سنة ٥٤٤هـ ويقال له ابن خطيب الرى • رحل الى خوارزم وما وراء النهر وخراسان وتوفى فى هراة سنة ٦٠٦هـ • من كتبه تفسيره المسمى مفاتيح الغيب ، ونهاية الايجاز فى دراية الاعجاز ، ومعالم أصول الدين وغيرها •

وهذا صحيح ولكن لا في حد المطلق ، ولو صح ما قاله لم يتجه فرق بين قولنا : « أسد أسامة » و « ثعلب ثعالة » الى غير ذلك من أعلام الاجناس ، ولعسر الفرق صار الى هذا المقال . والذي يتجه فرقاً ان اللفظ ان قصد به الحقيقة من حيث هي هي كان معرفة كأسامة فانه وضع للحيوان المفترس من حيث هو هو وان قصد باللفظ واحد من (تلك)[1] الحقيقة فهو النكرة كأسد . ولولا هذا لوجب أن يقضى بان جميع النكرات معارف ، وهو خلاف المعلوم بالقطع في مجاري كلام العرب .

اشـــارة :

قد يقفك التنكير والابهام على تعريف وافهام يعجز عنه تعريف العلم ويقصر عن صنيعه بيان القلم ، وذلك كما في قوله تعالى : « وَلَتَجِدَنَّهُمْ أحرصَ النَّاسِ على حَياةٍ[2] » فتنكير « حياة » أحسن من تعريفها ، والذي أوجب ذلك انه لا يحرص الا الحي ولا يستقيم حرصه على أصل الحياة بل علي الازدياد منها [٢٠] والمعنى على انه أحرص الناس ولو عاشوا ما عاشوا على ان يزدادوا حياة الى حياتهم . ونظيره قوله تعالى : « ولكم في القِصاصِ حَياةٌ[3] » ؛ لان الانسان اذا علم أنه اذا قَتَل قُتِل ارتدع عن القتل فسلم هو وصاحبه فتصير حياة هذا المهموم بقتله في المستقبل مضمونة الى الحياة الاصلية امتنع التعريف لئلا يفضي الى ايهام ان الحياة من أصلها مستفادة بالقصاص . ومنه قوله تعالى : « فيه شِفاءٌ للناس[4] » لانه لا يكون شفاء لجميعهم[5] .

وهم وتنبيه :

لعلك تقول قد تعرضت لسر التنكير في الآيتين فما سره في قوله تعالى :

---

(١) سقطت فى ش .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٩٦ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٧٩ .

(٤) سورة النحل ، الآية ٦٩ .

(٥) كذا فى ش ، أما فى الاصل ود : ولئلا يكون شفاء لجميعهم .

« سلامٌ على ابراهيم[1] » ، « وسلامٌ عليه يوم وُلِدَ[2] » ، و « سَلامٌ على نُوحٍ في العالمين »[3] . قلت : السلام في المواطن الثلاثة تحية من الله تعالى وسلام ما كان منه مغنٍ عن كل تحية :

قليلك لا يقـال لــه قليـل

وليس كذلك سلام عيسى عليه السلام في قوله : « والسلامُ عليَّ يَومَ وُلِدْتُ ويومَ أموتُ ويومَ أُبْعَثُ حياً[4] » ، فانه أتى بلام التعريف ليكون فيه اشعار بذكر الله تعالى ، فان السلام المعرف اسم من اسماء الله تعالى ، وفيه تعريض لطلب السلامة . وهكذا كل اسم من اسمائه سبحانه ناديته به فانت متعرض لما اشتق منه ذلك الاسم [٢١] نحو : « ياكريم » ، « يا رحيم » ، « يا غفور » . ألا تراك لا تقول ذلك الا وانت طالب الرزق والرحمة والمغفرة ، وليشعر أيضاً بعموم التحية واطلاقها فانها غير مقصور على المتكلم صدورها ، اذ التقدير في قولك : « سلام عليك » : سلام مني عليك ، فظهر أن قولك « سلام عليك » ليس بمنزلة « السلام عليك » في افادة هذه المعاني الثلاثة . ومن ثم كان اختتام الصلاة بالسلام المعرف لكونه اسماً من اسماء الله تعالى ، كما كان افتتاحها باسم من اسمائه تعالى . ومن سوّغ حذف اللام من « السلام » في الخروج من الصلاة فمعرض عن هذه المقاصد . ومما يقوى به اثبات لام التعريف في سلام عيسى عليه السلام انه لا يستقيم ان يطلب السلامة من نفسه بنفسه اذ قد ثبت ان المنكر في تقدير « سلام مني عليك » ، وفيه ايضاً اعراض عن ذكر مولاه وابطال لطلبه منه معنى السلامة وهي من أهم مقاصده ، ومن ثم بالغ في طلبها بالعطف فقال : « يَوْمَ وُلِدتُ وَيوْمَ أموتُ وَيوْمَ أُبْعَثُ حيّا » . فان قلت : لم حذفت في ابتداء التسليم واثبتت في جوابه ؟ قلت : لان التحية شرعت لرفع الوحشة وتحصيل الانس بين المتلاقين ، فكانت البغية العظمى اعلام المخاطب بحصول السلامة منه [٢٢] والمجيب في حكم الداعي للمسلم على ذلك والراد

(١) سورة الصافات ، الآية ١٠٩ .
(٢) سورة مريم ، الآية ١٥ .
(٣) سورة الصافات ، الآية ٧٩ .
(٤) سورة مريم ، الآية ٣٣ .

لمثل تحيته عليه ، فتعين الاتيان باللام ليشعر[1] بعهدية التحية السابقة ويومىء الى القصد بارادة اسم الله تعالى . وليس يبعد ان يكون اللفظ مقصوداً به معنى ويومى به الى معنى آخر ولذلك قال جهابذة الصنعة ان « لا » في الدعاء لا يكاد يقع بعدها الفعل الماضي الا اذا أريد به الدعاء كقولهم : « لا خيّبه الله ولا غفر لفلان » ، ليجمعوا بين التفاؤل بالاجابة حتى كانها تحققت في الوجود وصارت من[2] قبيل ما يخبر بوقوعه ، والدعاء في لفظ واحد ليعلم الداعي السامع انه مخبر ، ومن ثم لا تقول : « أَعزَّكَ اللهُ وابقاك » الا اذا كنت بحضرة من يسمع[3] ذلك .

اشــارة :

اسماء الاجناس تتنوع بالصفة فيصير كل نوع كالجنس المستقل عن الآخر كقولك : « رجل ظريف أو طويل أو شاعر » ، وكذلك المصادر كالعلم والضرب والقيام وكسير سريع أو بطيء والاضافة كالصفة في ذلك ، فالضرب بالسيف غير الضرب بالسوط فهما نوعان مخصوصان . ومنه قول المتنبي[4] [من الكامل] :

وتوهموا اللعب الوغى ، والطعنُ في الهيجاء غيرُ الطعن في الميدان[5]

فلو لم يتنوع المصدر لما قال : « والطعن في الهيجاء غير الطعن في [٢٣] الميدان » لينزل ذلك منزلة قولك : « الطعن غير الطعن » . وكل ما يتعدى اليه المصدر ينوعه كقولك : « ليس إعطاؤك الكثير كاعطائك القليل ، واعطاؤك موسراً كاعطائك معسرا » . والاسم المشتق يحذو حذوه في ذلك نحو : « أنت الوفي حين لا يفي أحد » و « الواهبُ المائةَ المصطفاة[6] » ، وكقوله « وحاتم الطائي وهاب المنى » أي الذي من شأنه أن يهب ذلك .

---

(١) كذا في الاصل ود ، اما في ش : ليستغني .
(٢) كذا في الاصل ود ، اما في ش : في .
(٣) كذا في الاصل ود ، أما في ش : يستمع .
(٤) هو أحمد بن الحسين الشاعر الحكيم وأحد مفاخر الادب العربي . ولد سنة ٣٠٣هـ بالكوفة وقتل سنة ٣٥٤هـ .
(٥) ينظر ديوانه ج ٤ ص ١٧٦ .
(٦) البيت :
هو الواهب المائة المصطفاة   اما مخاضا واما عشارا
وهو للأعشى .

الباب الثالث
في مفرادت شذت عن الضوابط

وهي تنقسم ثلاثة أقسام بانقسام الكلمة • فمن أقسام الكلمة لفظ « كل » ووضعه لشمول المنسوب اليه كقولك : « جاءني القوم كلهم » فانه دفع ان يكون متجوزاً في نسبة المجيء الى جميع القوم مع أَنَّ الجائي بعضهم لكون المتخلف عنهم واحداً أو اثنين أو لكون المتخلفين لا يعتد بهم في رأي أو رياسة أو شجاعة أو نحو ذلك وان كثر عددهم ، أو انك نسبت المجيء الى جميعهم لصدوره من بعضهم وان كان واحداً كما في قوله تعالى : « فعقروا النَّاقَةَ[1] » والعاقر لها من قوم صالح « قذار » وذلك لتنزيلهم منزلة الشخص الواحد في الرضا بالفعل الذي فعله أو في اتباع الفاعل او ملابسته وان كان في بعد كما في قوله تعالى : « ثم اتخذتم العِجْلَ[2] » ، « واذ قلتم يا موسى[3] » لمن هو من نسل قوم قال بعضهم ذلك ، وان كان منهم المخاطب في غاية البعد [٢٤] •

اشـــارة :

لـ « كل » مع النفي حال لا يكون مع الاثبات وذلك لان النفي اذا دخل على كلام فيه تقييد بوجه توجه ذلك النفي الى ذلك التقييد ، كما اذا قلت : « جاءني القوم مجتمعين » ، وقال المخاطب : « لم يأتوك مجتمعين » كان نفيه متوجها الى الاجتماع دون الاتيان حتى لو اراد ان ينفي الاتيان من أصله كان من شأنه ان يقول : « انهم لم يأتوك أصلاً » اذا ثبت ذلك فالتأكيد ضرب من التقييد فيكون النفي متوجهاً نحوه كما اذا قلت « لم يأتني القوم كلهم » أو « لم أرَ كلَّ القوم » • واذا كان النفـــي يقع على « كل »

---

(١) سورة الاعراف ، الآية ٧٧ •
(٢) سورة البقرة ، الآية ٥١ • أو الآية ٩٢ •
(٣) سورة البقرة ، الآية ٥٥ •

خصوصاً فواجب اذا قلت : « لم يأتني القوم كلهم » أو « لم يأتني كل القوم » أن يكون قد أتاك بعضهم كما يجب اذا قلت : « لم يأتني القوم مجتمعين » ان يكونوا[1] قد أتوك أشتاتاً . ولقائل ان يقول : الاثبات في ذلك كالنفي ، فانك اذا قلت : « جاءني القوم كلهم » كان فائدة خبرك شمول المجيء لهم لا الاخبار بوجود المجيء ، وكان ذلك كالثابت الذي لا تعترضه يد النزاع ، وكذلك كل كلام كان فيه أمر زائد على مجرد اثبات المعنى لشيء فهو الغرض الخاص من ذلك كقولك : « جاءني زيد راكباً » فأن الغرض الخاص اثبات المجيء له راكباً لا اثبات المجيء له مطلقاً .

تنبيـه :

كما فهمت في النفي انك اذا قلت : « لم أرَ القوم كلهم » على معنى ان النفي ليس [٢٥] بشامل افهم مثله في النفي اذا قلت : « لا تضرب القوم كلهم » و « لا تضرب الرجلين كليهما » ، ومن ثم قالوا : « لا تضربهما معاً ولكن اضرب احدهما » و « لا تأخذهما جميعاً ولكن خُذْ واحداً منهما » . وليس قول[2] أبي النجم[3] [من الرجز]

قد أصْبَحَتْ أمُّ الخيارِ تدعي
عليّ ذنباً كله لم أصنع[4]

مما نحن بصدده . وليس بشاذ لم يضطره اليه تصحيح المعنى ، فان النصب يمنعه من المعنى الذي اراده . وذلك انه اذا اراد انها تدعي عليه ذنباً لم يصنع منه شيئاً البتة فالرفع يعطيه ذلك والنصب يؤذن بانه قد صنع بعضه على ما تقدم من الأمثلة . ويشهد للرفع قوله [من الطويل] :

---

(١) كذا في الاصل ود ، أما في ش : يكون .
(٢) كذا في الاصل ود ، أما في ش : على قول .
(٣) من رجاز العرب المشهورين .
(٤) وبعده :
من أن رأت رأسي كرأس الاصلع ميز عنه قنزعا عن قنزع
جذب الليالي ابطئي أو اسرعي
ينظر الايضاح ص ٢٣ .

فكيف وكلٌ ليس يعـــدو حمامَه
وما لإمريءٍ عمّا قضى الله مَزْحَلُ[(١)]

ولو قلت : « كيف وليس يعدو كل حمامه » لافسدت المعنى بتأخيرك « كلاً » وكنت مؤذنا ان بعض الناس يسلم من الحمام ، ومنه[(٢)] قول دعبل[(٣)] [من الطويل] :

فوالله لا أدري بـــأيّ سهامهـــا
رمتني وكُلٌّ عندها ليس بالمكدي[(٤)]
أبالجيـــد أم مجـــري الوشـــاح وانني
لاتـهْمُ عينيها مع الفاحـم الجَعْدِ[(٥)]

المعنى على نفي ان يكون سهامها مكدٍ بوجه اصلاً • ومن البين في ذلك ما جاء في حديث ذي اليدين حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم : « أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ » فقال عليه السلام : « كل ذلك لم يكن » ، فقال ذو اليدين : « بعض ذلك قد كان » • المعنى على ان النبي صلى الله عليه [٢٦] وسلم نفي ان يكون واحد منهما ، ولو قال : « لم يكن كل ذلك » لكان المعنى على انه قد كان بعضه • ومن أجل ذلك امتنع ان يقول : « كلهم لم يأتني ولكن أتاني بعضهم » • وكل ذلك لم يكن ولكن كان بعض ذلك لافضائه الى التناقض •

---

(١) في الطراز ج ٢ ص ١٩٦ : « فالنفى متصل بالفعل فلهذا كان عاما ، ولو قلت : وليس كل يعدو حمامه لافسدت المعنى ، لانه يوهم ان بعض الناس يسلم من ملاقاة الحمام ، وهو محال » •

زحل عن مكانه : تنحى وتباعد •

(٢) كذا في الاصل ود ، أما في ش : ونحوه •

(٣) هو دعبل الخزاعي شاعر آل البيت ، أصله من الكوفة ، ولد سنة ١٤٨هـ واقام ببغداد وتوفى سنة ٢٤٦هـ • طبع ديوانه في بغداد وبيروت •

(٤) في الطراز ج ٢ ص ١٩٦ :

فوالله مـــا أدرى بأى سهامهـــا رمتنى وكل عنـدنا ليس بالمكدى
أبا لجيد أم مجرى الوشاح وانني لأتهم عينيها مع الفاحم الجعـد

يقول العلوى في ص ١٩٧ : « أراد ان سهامها كلها قاتلة لا يوجد فيها مكد بكل حال • وأكداه اذا نقصه ، وأكداه اذا منعه » •

(٥) كذا في الاصل ود ، أما في ش : أبا لجيد أم هي بالوشاح •

اشـــارة :

ليس التأثير لاعمال الفعل وتركه في الحقيقة وانما هو لدخول « كل » في حيز النفي وان لا يدخل فيه وانما علق الحكم[1] فيما مضى على اعمال الفعل وترك اعماله من حيث كان اعماله فيه يقتضي دخوله في حيز النفي ، وترك اعماله يوجب خروجه منه ومن حيث كان الحرف النافي[2] في البيت حرفاً لا ينفصل عن الفعل وهو « لم » • وتحقق ذلك انك لو جئت بحرف نفي يتصور انفصاله عن الفعل لرأيت المعنى في « كل » مع ترك اعمال الفعل مثله مع اعماله • ومثال ذلك قوله [من البسيط] :

مـا كُلُّ ما يتمنى المرءُ يُدْرِكُهُ
[تجري الرياحُ بما لَا تشتهي السُّفُنُ][3]

وقول الآخر [من البسيط] :

ماكُلُّ رأي الفتى يدعو الى رشد
[فان بدا لك رأيٌ مُشْكِلٌ فقف][4]

« كل » كما ترى غير معمل فيها الفعل ومرفوعة بالابتداء أو بـ « ما »، ثم المعنى على ما اذا أعملت الفعل سواء فقلت : « ما يدرك المرء ما يتمناه » و « ما يدعو كل رأي الفتى الى الرشد » ولو قدمت « كلاً » فقلت : « كل ما يتمنى المرء لا يدركه » لتغير المعنى وصار بمنزلة أن المرء لا يدرك شيئاً مما يتمناه [٢٧] ، وذلك ان حرف النفي اذا تقدم على « كل » لفظاً أو تقديراً فالمعنى على نفي الشمول دون نفي الفعل • واذا لم يكن حرف النفي داخلاً على « كل » كان المعنى على تسلط النفي على الفعل عـن « كل » ؛ لانك اذا بدأت بـ « كل » كنت قد بنيت عليه النفي وسلطت

---

(١) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : وانما علق الفعل الحكم •

(٢) كذا فى الاصل وش ، أما فى د : الثانى •

(٣) البيت للمتنبى وهو من قصيدة مطلعها :

بم التعلل ؟ لا أهـــل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا ســـكن

(ديوانه ج ٤ ص ٢٣٣) •

(٤) كذا فى الايضاح ص ٦٦ ، اما فى الاصل ود وش : الرشد ، والبيت لابى العتاهية اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان الشاعر العباسى المتوفى سنة ٢١١هـ •

الـكلية على النفي واعملتها فيه • واعمال الـكلية في النفي[1] يقتضي أن لا يشذ شيء عن النفي بخلاف عكسه •

وللتأليفات خفايا ومزايا يكل عنها حد الضبط حتى لا تزال تراها تتراءى للعالم النحرير ثم تخنس فيعرض له الخطأ في اثناء كلامه لفـرط الغموض •

ومن قسم الاسم لفظ « هذا » فانه يرد مشاراً به الى كلام سابق لقصد تحقيقه وقد يجيء بعد جملة حالية • ومنه قولك في التمثيل لمن يضطرب حاله قبل مشارفته لما هو بصدد ان يزايله : « هذا وما طار الذباب المسموم » أي هذه حالك ولم تقع في الشدائد بعد فكيف بك وقد كلمتك شفارها • ويصحب الجمل التي بعده « إِنَّ » كثيراً لتكون القصة مؤكدة كالجملـة السابقة كقوله تعالى : « هذا ذِكْرٌ وإِنَّ للمتقين لحُسْنَ مآب[2] » أي : هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما قص ذكر أيوب واسماعيل [واليسع][3] وذي الكفل عليهم السلام أكد تلك الاخبارات باسم [٢٨] الاشارة ، كمـا تقول لولدك : « أشير عليك بكيت وكيت » ، ثم تقول بعد ذلك : « هـذا الذي عندي والامر اليك فيما ترى » • وقد يحذف خبره كما في سياق هذه الآية : « جناتُ عدنٍ مُفَتَّحَةً لهم الابواب • مُتكئين فيها يَدْعُون فيها بفاكهةٍ كثيرةٍ وشراب[4] » الى قوله : « هذا وإِنَّ للطاغين لشَرَّ مآب[5] » ، أي : هذا شرف وذكر جميل أو هذا متحقق • والجملة التي بعده في الآيتين ليست في موضع الحال ، بل خروج من قصة الى قصة •

ومن قسم الاسم قولك : « اللهم » ، والكلام على لفظها مذكور في علم الاعراب • والمقصود بها نداء الله تعالى وتجيء حشواً بعد عموم حثـا للسامع على حفظ القيد المذكور بعدها وتنبيهاً له بمثابة ما يستغفر التارك له

---

(١) كذا في الاصل ود ، أما في ش : واعمال الـكلية النفي •

(٢) سورة ص ، الآية ٤٩ •

(٣) الزيادة من د ، والمقام يقتضيها لان الله تعالى تحدث عنه قبل الآية المذكورة فقال آية ٤٨ : « واذكر اسماعيل واليسع وذا الـكفل وكل من الاخيار » •

(٤) سورة ص ، الآيتان ٥٠ ، ٥١ •

(٥) سورة ص ، الآية ٥٥ •

كقولك « أنا لا انقطع عن زيارتك اللهم اِلاّ أن يمنع مانع لا أقدر على دفعه ، ولالزمنك ابداً اللهم اِلاّ ان تكره مني ذلك » . وفي كلام الحريري[1] : « وما قيل في المثل الذي سار سائره ، خير العشاء سوافره ، الا ليعجل التعشي ويجتنب أكل الليل الذي يعشي ، اللهم اِلاّ ان تقد نار الجوع وتحول دون الهجوع » . فانت تراه لا يكاد يفارق حرف الاستثناء .

ومن قسم الفعل لفظ « **كاد** » : روي عن عنبسة[2] انه قال : قدم ذو الرمة[3] الكوفة فوقف ينشد الناس قصيدته الحائية التي منها [٢٩] [من الطويل] :

هي البُرْءُ والاسقامُ والهَمُّ والمنى
وموتُ الهوى في القلب مني المبرحُ[4]
وكان الهوى في القلب يمحى ويمّحي
وحُبك عندي يستجدُّ ويربحُ[5]
اذا غَيَّرَ النأيُ المحبينَ لم يكَدْ
رسيسُ الهوى من حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ[6]

قال : فلما انتهى الى هذا البيت ناداه ابن شُبرمة أتراه قد برح ؟ قال : فسبق بناقته وجعل يتأخر بها ويفكر ثم قال :

اذا غير النأيُ المحبينَ لم أجد رسيس الهوى من حب مَيَّةَ يبرحُ

قال : فلما انصرف حدثت أبي فقال : أخطأ ابن شبرمة حين أنكر على ذي الرمة ما أنكر ، واخطأ ذو الرمة حين غير شعره لقول ابن شبرمة ،

---

(١) هو صاحب المقامات الحريرية المشهورة ولد سنة ٤٤٦هـ وتوفى سنة ٥١٦هـ .

(٢) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : روى عنبسة .

(٣) هو غيلان بن عقبة ، شاعر من فحول الطبقة الثانية فى عصره ولد سنة ٧٧هـ وتوفى سنة ١١٧هـ .

(٤) كذا فى الاصل ود وش ودلائل الاعجاز ص ٢١٢ ، أما فى ديوان ذى الرمة ص ٨٣ : والهم ذكرها .

(٥) كذا فى الاصل وش ود والدلائل ص ٢١٢ ، أما فى الديوان ص ٧٩ : وبعض الهوى بالهجر يمحى فيمتحى .

(٦) رسيس الهوى : مسه . ينظر ديوان ذى الرمة ص ٧٧ وما بعدها وعنبسة المذكور فى القصة هو عنبسة الفيل شاعر عاش فى العصر الاموى .

انما هذا كقول الله تعالى : « ظلماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إذا أخْرَجَ يَدَهُ لم يَكَدْ يَراها[1] » ، وانما هو لم يرها ولم يقارب ان يراها •

واعلم ان سبب الشبهة في ذلك انه قد جرى في العرف ان يقال : « ما كاد يفعل » و « لم يكد يفعل » في فعل قد فعل على معنى انه لم يفعل إلاّ بعد الجهد كقوله تعالى : « فذبحوها وما كادوا يَفْعلون[2] » • فمن هاهنا وهم ابن شبرمة في زعمه ان الهوى قد برح ، وظن ذو الرمة مثل ذلك ، وانما هو في الحقيقة على نفي المقاربة فان « كاد » موضوعة للدلالة علي قرب الوجود فمن المحال ان يكون نفيها موجباً وجود الفعل •

ومن قسم الحرف حرف الاثبات وهو « إنّ » : والمثال [٣٠] فيه قول بعض العرب [من الرجز] :

فَغَنِّها وهي لكَ الفِداءُ   إنَّ غناءَ الابلِ الحُداءُ[3]

فذكره « إنّ » رابط بين الجملتين[4] ، حتى كأن الكلامين قد افرغا في قالب واحد • ولو انك اتيت بالفاء فقلت : « فغناء الابل الحداء » لم تجد الالف الاّ متقاصراً عما كان عليه في التنزيل : « يا ايها الناس اتقوا ربكم إنَّ زلزلةَ الساعةِ شيءٌ عظيم[5] » و « يا بُنيّ أقمِ الصلاةَ وامُرْ بالمعروف وانْهَ عن المنكر واصبرْ على ما اصابك ، إنّ ذلك من عزم الامور[6] » ، وقوله تعالى : « خُذْ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصَلّ عليهم انّ صلاتَكَ سكنٌ لهم[7] » ، وقوله : « ولا تُخاطبني في الذين ظَلموا إنَّهم مُغْرقون[8] » وقد تكرر في قوله عز اسمه « وما أُبرّيءُ نَفْسي إنَّ النَّفْسَ لامارَةٌ بالسُّوءِ إلاّ ما رَحِمَ رَبّي ، انَّ ربي

(١) سورة النور ، الآية ٤٠ •
(٢) سورة البقرة ، الآية ٧١ •
(٣) ينظر دلائل الاعجاز ص ٢٤٣ ، ومفتاح العلوم ص ٨٣ والايضاح ص ١٩ •
(٤) كذا في الاصل ود ، أما في ش : ان ذكره « ان » رابطة بين الجملتين •
(٥) سورة الحج ، الآية ٣ •
(٦) سورة لقمان ، الآية ١٧ •
(٧) سورة التوبة ، الآية ١٠٣ •
(٨) سورة هود ، الآية ٣٧ •

غَفورٌ رحيم[1] » ، وهي من الاحصاء على مراحل .

تنبيـــه :

لها من المكنة ان تكسو ضمير الشأن أبهة يعرى عنها اذا هو فارق ظلها كقوله عز من قائل : « اِنَّهُ من يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فانَّ اللهَ لا يُضيعُ أجْرَ المحسنين[2] » ، وقوله : « فانها لا تعمى الابصارُ ولكن تعمى القلوبُ التي في الصدور[3] » .

وقد أجاز الاخفش ان يكون الضمير في « انها » عائداً الى الابصار ويكون من قبيل الاضمار قبل الذكر على شريطة التفسير ، ومع ذلك فـ « اِنّ » على حالها في اعطائها المعنى [٣١] المذكور .

وهم وتنبيه :

لا يبعد ان تقول قد جاء ضمير الشأن مجرداً عنها مع ظهور شأنه في قوله تعالى « قل هو الله أحد[4] » وتغضّ طرفك عن قصوره عن مصاحبة الشرط والجزاء الا على الندرة مع ان المعنى قاصر عما لو كان معه « اِنّ » .

اشـــارة :

من خواصها ان تهيء النكرة للحديث عنها كقوله :

اِنَّ شـــواءً ونشـــوةً وخبب البازلِ الأمون[5]

ولو حذفت (اِنّ) وقلت : « شواء ونشوة » لم يكن كلاما . ولو كانت النكرة موصوفة ازداد حسنها بدِخول « اِنَّ » نحو : [من الخفيف] و

انّ دهراً يَلفُّ شملي بسُعدى لزمـــانٌ يهـــم بالاحسان[6]

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٥٣ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٩٠ .

(٣) سورة الحج ، الآية ٤٦ .

(٤) سورة الاخلاص ، الآية ١ .

(٥) كذا في الاصل ود ، ودلائل الاعجاز ص ٢٤٦ ، أما في ش : ان شواء وجرذقا . الامون : المطية الموثقة الخلق المأمونة العثار .

(٦) ويروى : بهند . ينظر الدلائل ص ٢٤٦ .

ومن خواصها حسن حذف الخبر معها نحو : « إِنَّ مالاً وإِنَّ ولدا » ولو قلت : « مالٌ وولدٌ » لم يسغ •

اشـــارة :

يصح لك ما قاله أبو العباس[1] في « إِنَّ زيداً منطلق » انه جواب عن سؤال مجيئه في جواب القسم ، وفي التنزيل : « قُلْ سأتلو عليكـــم منْهُ ذكرا • إِنّا مكّنّا له في الارض[2] » و « نحن نقُصُّ عليك نبأهم بالحق إِنّهم فتيةٌ آمنوا بربهم[3] » ، و « فانْ عَصَوك فقل إِني بريءٌ مما تعملون[4] » ، « وقل اني أنا النذيرُ المبين[5] » وقوله تعالى : « فاتيا فرعونَ فقولا إِنّا رسولُ ربِ العالمين[6] » ، كأنه قيل : فاذا قال لكما ما شأنكما ؟ فقولا ذلك •

تنبيـــه :

موقعها [٣٢] الجميل أن يكون الكلام الذي تدخل عليه مما يتردد المخاطب في ثبوته ونفيه اما [أَنْ] يقطع فيــه باحد الامرين فليس من مضانها ، ومن ثم تراها تزداد حسناً اذا كان الخبر يبعد مثله في الظن وبشيء جرت العادة على خلافه كقول أبي نواس [من السريع] :

عليـــك باليأس من النـــاسِ   انّ غنى نفســـك في اليـــاس[7]

فان العادة لزوم الطمع ولذلك احتيج اليها لتأكيد ما يخالف العادة فان الخطاب كالواقع مع من يحثه ويبعثه على (ترك)[8] الطلب •

ومن لطيف مواقعها ان تدعي على المخاطب ظناً لم يظنه ولكنـــك

(١) هو اما ثعلب أو المبرد وكانا متعاصرين ومتفقين فى الكنية •
(٢) سورة الكهف ، الآيتان ٨٣ ، ٨٤ •
(٣) سورة الكهف ، الآية ١٣ •
(٤) سورة الشعراء ، الآية ٢١٦ •
(٥) سورة الحجر ، الآية ٨٩ •
(٦) سورة الشعراء ، الآية ١٦ •
(٧) كذا فى الاصل ود وش ، اما فى ديوان أبى نواس ص ٦٠١ : ان الغنى ويحك فى الياس •
(٨) سقطت فى ش •

تتهكم[1] به كقوله [من السريع] :

جـــاء شقيقٌ عارضـــاً رُمْحَـهُ ... انَّ بني عَمـِّـكَ فيهـم رماح[2]

يقول : إنَّ مجيئه هكذا مُدِلاً بشجاعته قـد وضع رمحـه عرضاً دليل على اعجاب شديد ، وانه لا يقوم به أحد حتى كأن ليس مع أحد منا (رمح)[3] يدفعه به فهذا يؤذنك انه يشترط ان يكون في السائل ظن ان المسؤول عنه على خلاف جوابك لا انها تقع في كل جواب ، ولا يحسن في كل جواب ايضاً ، وانما صحبها اللام في خبـــره اذا كان اللام مع المنكر لان الحاجة الى الاثبات معه أشد • ويشترط في الانكار[4] أن تعلمه أو تظنه ولا يكفي توهمه [٣٣] وقد تجيء للدلالة على ان الظن قد كان منك ايها المتكلم في الذي كان وكنت تظن أن لا يكون فتصير راداً على نفسك ظنك الذي ظننت ، لا أن الظن واقع من (المخاطب)[5] كقوله تعالى حكاية عن أم مريم عليها السلام : « قالت رَبِّ إني وَضَعْتُها أنثى[6] » • وكذلك قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : « قال : رَبِ إنَّ قومي كذبونِ[7] » ، فانه كان على طمع أن لا يكون منهم تكذيب •

ومن قسم الحرف « إنّما » ، وانما ميزت عما قبلها لان تركيبها أحدث لها من المعنى ما لم يكن قبل التركيب • وقد قال أبو علي[8] في الشيرازيات : يقول ناس من النحويين في نحو قوله تعالى : « قُلْ إنّما حَرَّمَ ربي الفواحشَ ما ظَهَرَ منهـا وما بَطَنَ[9] » ان المعنى ما حرم ربي إلاّ الفواحش • قال : واصبت ما يدل على صحة قولهم في هـذا وهـو قـــول

(١) كذا فى ش ودلائل الاعجاز ص ٢٥١ ، أما فى الاصل ود : تتهم •

(٢) البيت لحجل بن نضلة وهو شاعر جاهلي • ينظر الدلائل ص ٢٥١ •

(٣) سقطت فى ش • ومفتاح العلوم ص ٨٣ والايضاح ص ٢٠ •

(٤) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : وشرط الانكار •

(٥) سقطت فى ش •

(٦) سورة آل عمران ، الآية ٣٦ •

(٧) سورة الشعراء ، الآية ١١٧ •

(٨) هو أبو على الفارسى الحسن بن أحمد أحد الائمة فى علم العربية • ولد فى فسا سنة ٢٨٨هـ ودخل بغداد سنة ٣٠٧هـ وتجول فى كثير من البلدان • توفى سنة ٣٧٧هـ ببغداد •

(٩) سورة الاعراف ، الآية ٣٣ •

الفرزدق [من الطويل] :

أنا الذائدُ الحامي الديارَ وانما
يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي[1]

وقال أبو اسحاق الزجاج[2] : والذي اختاره في قوله تعالى : « اِنَّما حَرَّمَ عليكم المَيْتَةَ[3] » ان تكون « ما » هي التي تمنع « اِنّ » من العمل يكون المعنى : ما حَرَّمَ عليكم اِلاّ الميتة ، الاّ أن « انمّا » تأتي اثباتاً لما يذكر بعدها ونفياً لما سواه . وقال أبو علي : التقدير في البيت : وما يدافع عن أحسابكم اِلا أنا أو مثلي . قال عبد القاهر : لم يعنوا بذلك [٣٤] انهما بمنزلة المترادفين ويبين لك انهما لا يكونان سواء ، انه ليس كل كلام يصلح فيه « ما » الا يصلح فيه « انما » ويوضح لك ذلك قوله تعالى : « وما مِنْ اِلهٍ اِلاّ اللهُ[4] » وقولك : « ما أحد اِلا يقول ذلك » ، وكذلك ايضاً لا تصلح « ما » اِلا في كل كلام يصلح فيه « اِنما » كقولك : « اِنما هو درهم لا دينار » ، ولو قلت : « ما هو الا درهم لا دينار » لم يكن شيئاً[5] .

اشــــارة :

اودع فهمك أن الاصل في « اِنمّا » ان تجيء لخبر لا يجهله المخاطب أو لما هو متنزل هذه المنزلة . ومثال الاول قولهم : « انما يعجل من يخشى الفوت » ، وفي التنزيل : « اِنّما يستجيب الذين يسمعون[6] » وقوله تعالى : « انما أنتَ منذرُ مَنْ يخشاها[7] » . كل ذلك تذكير بأمر معلوم فان كل عاقل يعلم أن لا تكون استجابة اِلا ممن يسمع وان الانذار انما يجدي اذا كان مع من يصدق بالبعث . ومنه قولك : « انما هو أخوك » و « انما هو

---

(١) كذا فى الاصل ود ودلائل الاعجاز ص ٢٥٣ اما فى ش : الديار .
(٢) هو ابراهيم بن السرى بن سهل . ولد سنة ٢٤١هـ فى بغداد وتوفى فيها سنة ٣١١هـ . عالم بالنحو واللغة .
(٣) سورة البقرة ، الآية ١٧٣ .
(٤) سورة آل عمران ، الآية ٦٢ .
(٥) ينظر هذا الكلام فى دلائل الاعجاز ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ .
(٦) سورة الانعام ، الآية ٣٦ .
(٧) سورة النازعات ، الآية ٤٥ .

صاحبك القديم » لمن يُقـرّبه ويعلمه ، غير انك تريد إن تنبهه على ما يجب من حق الاخوة وحرمة الصحبة عليه .

ومثال الثاني [من الخفيف] :

انمـا مُصْـعبٌ شهابٌ من اللهِ تجلّتْ عن وَجْهـِه الظّلماء[1]

ادعى ان الممدوح بهذه[2] الصفة ثابت له ذلك ، معلوم لاخفاء به على عادة الشعراء في دعواهم ان الصفات التي ذكرت للممدوح مما لا يكتنفها النزاع كما قال البحتري [٣٥] [من الكامل] :

لا أدّعي لأبي العـلاء فضـيلةً   حتى تسلّمَـها اليـه عـداه[3]

ومثله : « انما هو أسدٌ وسيف صارم » كان ذلك مما لا يدفع .

تنبيـــه :

اياك ان تعتريك الغفلة فتجري ذلك على « ما » و « الاّ » حيث تقول : « ما هذا الاّ كذا » و « اِنْ هو الا كذا » بل اذا قلت : « ما هو الا مصيب » و « ما هو الا مخطيء » فقد قلته لمن يدفع أن يكون الامر على ما قلت . واذا رأيت شخصاً على بعد فقلت « ما هو الا زيد » ، لم تقله الا وصاحبك يتوهم انه ليس بزيد وانه انسان آخر ، ولو كان الامر ظاهراً لم تقله بـ « ما » و « الا » فانه لا يحسن « ما هو الا أخوك » وانت مذكر له بصلة الرحم . ويحسن في « انما مصعب شهاب من الله » ، « ما » و « الا » لانه ليس من المعلوم ، وانما الشاعر ادعاه دعوى . ولـكن اذا أتيت[4] بـ « ما » و « الا » خرجت عن المبالغة في المدح من حيث فات دعوى انه معلوم لا يخالف فيه أحد .

---

(١) البيت لعبيدالله بن قيس الرقيات من قصيدة يمدح بها مصعب بن الزبير . ينظر ديوانه ص ٩١ .

(٢) كذا فى الاصل ود ، اما فى س : به .

(٣) البيت من قصيدة يمدح بها صاعد بن مخلد ويمدح أبا عيسى ابنه . ينظر ديوان البحترى ج ١ ص ٣٣٥ وفيه : يسلمها .

(٤) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : اذا ثبت .

وهم وتنبيه :

لا يلحقنك[1] وهم فيما يتلى عليك من البيان إذا[2] ورد عليك قوله عز وجل[3] : « ان أنتم الا بَشَر مِثلنا[4] » حيث لم يؤت فيه بـ « إنما » مع انه من الامور المعلومة ان الانبياء (عليهم السلام)[5] مثلهم في البشرية ، ولعل سر ذلك انهم جعلوا الرسل في ادعائهم النبوة كأنهم أخرجوا أنفسهم عن أن يكونوا مثلهم وادعوا أمراً لا يجوز أن يكون لبشر فأخرج [٣٦] اللفظة مخرجه حيث يراد اثبات أمر يدفعه المخاطب ويدعي خلافه ، ثم جاء الجواب من الرسل (عليهم السلام)[6] حيث قالوا : « إن نحن الا بَشَر مثلكم[7] » كذلك بأن من شأن من ادعى عليه خصمه الخلاف في أمر لا يخالف (فيه)[8] ان يعيد كلام الخصم على وجهه فكأن الرسل قالوا : لسنا ننكر ذلك ، ولكن لا يمنع ذلك ان يكون الله تعالى قد مَنّ علينا بالرسالة . فان قلت : فما الفرق بينه وبين قوله عليه السلام : « انّما أنا بَشَر مِثلكم[9] » قلت : هذا ابتداء كلام أمر النبي صلى الله عليه وسلم ان يبلغه اياهم ، وليس بجواب لكلام سابق على هذا . فلما كان من المعلوم قد جاء بالنفي فذلك لتقدير معنى صار به في حكم المشكوك فيه كقوله سبحانه وتعالى : « وما أنت بمسمعٍ مَنْ في القبور . ان أنت الا نذير[10] » ؛ لانه لما قيل : « وما أنت بمسمع من في القبور » وهو في تقدير ان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم انك لا تستطيع ان تحول قلوبهم عن الآباء وان توقع الايمان في نفوسهم مع صدهم عن سماع ما تقوله كان اللائق ان تجعل حال النبي صلى الله عليه وسلم حال من ظن انه يملك ذلك ، وانه لا يعلم يقيناً

(١) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : يلحقك .
(٢) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : اذ لو .
(٣) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : تعالى .
(٤) سورة ابراهيم ، الآية ١٠ .
(٥) سقطت فى ش .
(٦) سقطت فى ش .
(٧) سورة ابراهيم ، الآية ١١ .
(٨) سقطت فى ش .
(٩) سورة الكهف ، الآية ١١٠ .
(١٠) سورة فاطر ، الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

انه ليس في وسعه اكثر من ان ينذر ويحذر فأخرج اللفظ هذا المخرج كما تقول لمن يحاول معالجة دنف[1] مشرف على الموت انك لا تستطيع احياء [٣٧] الموتى • ولا يصح ان تقول : « انما بيدك ان تعالج » ، وذلك انك لم تقل ذلك حتى جعلته[2] بمثابة من يقول ذلك ويظنه ، ومنه قوله عز وجل : « انْ أنت إلاّ نذير »[3] في ان الذي تقدم قبله من الكلام اقتضى ان يكون اللفظ كالذي تراه من كونه بـ « ان » و « الا » وهو قوله تعالى : « قُلْ لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيبَ لاستكثرتُ من الخيرِ وما مَسَّنيَ السُّوءُ انْ أنا الا نذيرٌ وبشير لقوم يؤمنون[4] » •

وهم وتنبيه :

كأني بك لما علمت ان « انما » تفيد ايجاب الفعل لشيء ونفيه[5] عن غيره في نحو « انما جاءني زيد » يعتريك التردد في انها بمنزلة « جاءني زيد لا غيره » مع انها تفارق « لا » في انها توجب وتنفي دفعة واحدة وان الامر ظاهر في ان الجائي زيد وليس ذلك مع « لا » ، فان وضع « لا » على ان تنفي عن الثاني ما وجب للأول ان يكون قد شارك الاول في الفعل بل تنفى ان يكون الفعل الذي قلت انه قد كان من الاول قد كان من الثاني دون الاول فهو كلام تقوله مع من يغلط فيمن فعل الفعل فيعتقد انه زيد مثلا وليس به ، فالجائي واحد ليس الا • فاذا قلت : « جاءني زيد لا عمرو » فانت تحقق انه زيد وليس بعمرو عند من عرف انه قد [٣٨] كان اليك من شخص مجيءٌ ولكن ظنه المخاطب غير من بت اليه أولا وانه من نفيت عنه ثانياً • فاذا عرفت ذلك في « لا » فمثله اعلم في « انما » فاذا قلت :

---

(١) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : مدنف •
(٢) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : جعله •
(٣) سورة فاطر ، الآية ٢٣ •
(٤) سورة الاعراف ، الآية ١٨٨ •
(٥) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : وتنفيه •

« انما جاءني زيد » لم يكن غرضك أن تنفي المشاركة في المجيء الذي قلت انه كان من زيد عن عمرو ، فان من شرط هذا الكلام مع من يعرف انه قد وقع اليك المجيء وظن المخاطب انه من غير زيد وانه من عمرو مثلا • فان قلت فقد تقول : « إنّما جاءني من بين القوم زيد وحده وانما آتاني من جملتهم عمرو فقط » قلت هذا كالمتكلف فيه • ثم ان اعتبار ما قلناه اذا لم يقيد بـ « وحده » ونحوها ، فاذا قيد فالتغيير بالزيادة مما لا يجهل •

اشـــارة :

اذا وقع بعد « انما » المبتدأ والخبر فالمحصور هو الثاني كما في الفاعل والمفعول • مثاله انك تقول « انما هذا لك » فالمحصور هو المالك لا المملوك ، ولذلك تقول بعده « لا لغيرك » ولو قلت : « انما المالك هذا » كان الحصر في المبتدأ الذي هو مملـــوك ، ومن (ثم)[1] تقول بعـــده : « لا ذاك » • فالاختصاص أبدا يكون لما اذا جئت بـ « لا » العاطفة كان العطف عليه • وفي التنزيل : « فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب[2] » و « انما السبيل على الذينَ يستأذنونك[3] » •

تنبيـــه :

يعرض لـ « انما » التعريض حتى كأنه المقصود ويعرض عن الدلالة الوضعية كما في قوله تعالى : « انما [٣٩] يتذكر أولو الالباب[4] » المقصود ذم الكفار وان تعرف انهم لفرط عنادهم وغلبة الهوى في حكم من ليس بذى عقل • وقوله تعالى : « انما تُنْذِر الذين يَخْشَونَ ربَهم بالغيب[5] » • المعنى ان من لم تكن له هذه الخشية كأنه ليس له أذن تسمع وقلب يعقل فالانذار معه كلا انذار وقوله [من الكامل] :

---

(١) سقطت فى ش •
(٢) سورة الرعد ، الآية ٤٠ •
(٣) سورة التوبة ، الآية ٩٣ •
(٤) سورة الزمر ، الآية ٩ •
(٥) سورة فاطر ، الآية ١٨ •

مَـا أنتَ بالسَّبَبِ الضَّعيفِ وإنما
نُجْحُ الامُـورِ بقـوةِ الاسـباب

فاليومَ حاجتنـا اليك وإنمـا يُدعى الطَّبيبُ لساعة الاوصاب[1]

يقول في البيت الاول : ينبغي ان يكون النجح في أمري حيث جعلتك السبب اليه . ويقول في البيت الثاني : قد طلبنا الامر من جهته حتى استغنى بك فيما عرض من الحاجة وعوّلنا على فضلك ، كما ان من عوّل على الطبيب فيما عرض له من السقم ، كان قد أصـاب وطلب الشـيء من معدنه[2] . وعلة حصول التعريض بـ « انما » ان الـكلام يتضمن النفي عن غير المذكور .

اشـارة :

قد يظن ظان ان المعنى لا يتغير بالحرف الزائد على الجملة نظراً الى أصل الحكم واعراضاً عما هو كالمكمل للمعنى والمحقق له حتى يقع في ذلك اللوذعي العارف وقد سأل الـكندي[3] ـ واخاله يحيى ـ أبا العباس المبرد[4] فقال له : اني لاجد في كلام الناس حشواً . فقال له أبو العباس : في أي موضع ذلك ؟ فقال : أجدَ العرب تقول : « عبدالله قائم » ثم يقولون « ان عبدالله قائم » ثم يقولون : « ان عبدالله لقائم » فالالفاظ متكررة [٤٠] والمعنى واحد . فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الالفاظ . فقولهم : « عبدالله قائم » اخبار عن قيامه ، وقولهم : « ان عبدالله قائم » جواب عن سؤال ، وقولهم : « ان عبدالله لقائم » جواب عن انكار منكر قيامه ،

---

(١) ينسب البيتان لاحمد بن أبى دؤاد وللباخرزى ولمحمد بن احمد بن سليمان . ينظر دلائل الاعجاز ص ٢٧٣ والايضاح ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

(٢) نقل ابن الزملكانى هذا التعليق من دلائل الاعجاز ص ٢٧٣ بالحرف الواحد كما نقله صاحب الايضاح ص ١٢٧ بعد ذلك .

(٣) هو يعقوب بن اسحاق فيلسوف العرب والاسلام فى عصره نشأ بالبصرة وانتقل الى بغداد فتعلم واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك وألف وترجم وشرح كتبا كثيرة . توفى سنة ٢٦٠هـ .

(٤) هو محمد بن يزيد امام العربية ببغداد فى زمنه وأحد ائمة الادب والاخبار . ولد بالبصرة سنة ٢١٠هـ وتوفى ببغداد سنة ٢٨٦هـ .

فتكررت الألفاظ لتكرار المعاني . قال : فما أجاب الكندي . بجواب[1] .
فعليك ان تتوخى مواقع الحروف حذراً من ان يقع الحرف في غير محله
فيذهب عليك مقصودك من التعبير .

ومن قسم الحرف الهمزة : ليس يعزب عن فهمك اذا قلت : « أأنت
فعلت ؟ » كان الشك في الفاعل من هو . وتقول : « أأنت بنيت هذه الدار ؟ »
فانت غير شاك في بناء الدار لأنك أشرت اليها مشاهدة بل الشك وقع في
بانيها . وتقول : « أقلت شعراً قلت ؟ » فتكون مستفهماً عن وجود شعر
منه . ولو قلت « أأنت قلت شعرا قط ؟ » أحلت . وانما يصح ذلك اذا
ذكرت مقولاً معيناً كقولك : « أأنت قلت هذا الشعر ؟ » .

وهم وتنبيه :

تجنب ضواري الوهم ان تجتذبك فتقول الحكم يتغير اذا أريد بالهمزة
معنى التقرير كقوله عز وعلا[2] : « أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا
يا ابراهيم[3] ؟ » فانهم لم يستفهموه عن كسر الاصنام هل كان بل عن
الشخص الكاسر لها ، ومن ثم أجاب بذكر الفاعل دون الفعل[4] . ومما
انكر فيه القائل لا المقول قولك : « أأنت قلت هذا الشعر ؟ » كلا ،
لست [٤١] بأبي عذره . وقوله تعالى : « اللهُ أذنَ لكم أمْ على الله
تفترون[5] » انكاره ان يكون من الله (تعالى)[6] اذن كأنهم معترف لهم
بالاذن ثم جعلوا في صورة غالط في نسبة الاذن الى الله[7] تعالى . فاذا حوقق
القائل اعترف وانزجر أن يدعي اذناً أصلاً . ونحوه لمن يدعي ما تنكره
متى كان ذلك في ليل أم في نهار ، تضع الكلام وضع من سلم ان ذلك قد

---

(١) ينظر دلائل الاعجاز ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ، والايضاح ص ١٨ ـ ١٩ .
(٢) كذا في الاصل ود ، أما في ش : كقوله تعالى .
(٣) سورة الانبياء ، الآية ٦٢ .
(٤) كذا في ش ، أما في الاصل ود : الشخص .
(٥) سورة يونس ، الآية ٥٩ .
(٦) سقطت في ش .
(٧) كذا في الاصل ود ، اما في ش : من .

كان ثم تطالبه ببيان وقته لتبين كذبه اذا لم تقدر ان تذكر له وقتاً .

هذا كله فيما اذا كان الفعل الواقع بعد الاسم ماضياً ، فان كان مضارعاً فاما ان يراد به الحال أو الاستقبال . فان أريد به الحال كقولك : « أتفعل ؟ » وهو في الفعل ، كان المعنى على أنك أردت ان تنبهه على فعل هو يفعله موهماً انه لا يعلم بحقيقة وجوده . وان قلت : « أأنت تفعل ؟ » كنت مقراً له بانه الفاعل وكان وجود الفعل ظاهراً لا يحتاج الى الاقرار بانه كائن . وان اردت بالمضارع الاستقبال كان المعنى اذا بدأت بالفعل على أنك تعمد بالانكار الى الفعل نفسه وتزعم انه لا يكون (أو أنه ينبغي أن لا يكون)[1] . ومثال الاول [من الطويل] :

أيَقْتُلُني والمشرَفي مُضاجعي ؟
ومَسْنونةٌ زُرْقٌ كأنياب أغوالِ[2]

فهذا تكذيب منه لانسان تهدده بالقتل وانكار ان يقدر على [٤٢] ذلك ويستطيعه . ومثال الثاني قولك للرجل يركب الخطر : « أتخرج في هذا الوقت ؟ » ، « أتذهب في عبر الطريق ؟ » ، « أتغرّ بنفسك ؟ » ، « أتنسى قديم احسان فلان اليك ؟ » كما قال [من الطويل] :

أأترك ان قَلّتْ دراهمُ خالد
زيارتَه اني اذنْ للئيم[3]

فان بدأت بالاسم فقلت : « أأنت تفعل ؟ » كنت موجها للانكار الى نفس المذكور وأبيت ان يكون محلا يجيء منه الفعل . ألا ترى انك اذا قلت : « أأنت تمنعني ؟ » ، « أأنت تأخذ على يدي ؟ » كأنك قلت : غيرك الذي يقدر على ذلك لا أنت . هذا اذا جعلته عاجزاً عن الفعل . وقد تريد انه لا يختاره ولا يرتضيه مثل أنْ تقول : « أهو يسأل فلاناً ؟ هو أرقى

---

(١) سقطت فى ش .

(٢) البيت لامرىء القيس . ينظر ديوانه ص ٣٣ ودلائل الاعجاز ص ٩١ والايضاح ص ١٣٩ .

(٣) البيت من قصيدة لعمارة بن عقيل بن جرير الشاعر يمدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ويذم تميم بن خزيمة النهشلي . ينظر دلائل الاعجاز ص ٩٢ والايضاح ص ١٣٩ .

همة . » ، « أهو الذي يمنع الناس حقوقهم ؟ هو أكرم من ذلك » . وقد تجعله لا يفعله لقصور همته كقولك : أهو يسمح بهذا[1] ؟ » ، « أهو يرتاح الى الجميل ؟ » ، « أهو أقل رغبة في الخير مما تظن ؟ » . فالحاصل انك اذا بدأت بالاسم فقد قصدت بالانكار الى ذات من قيل انه يفعل ، بخلاف ما اذا بدأت بالفعل . وقوله تعالى : « أنُلْزِمُكُموها وأنتم لها كارهون[2] » ، ليس المعنى على أنّا لسنا بمثابة من يجيء منه هذا الالزام وان غيرنا يفعله بل ليس الالزام بصادر عنا ، وحالكم هذه . فهذه الحال مانعة من الالزام[3] كما ان قوله : « والمشرفي مضاجعي » مانع من القتل [٤٣] .

تنبيـــه :

لعلك تقول لم قرب الاستفهام من الانكار حتى عبر به عن الانكار وأي ارتباط بينهما حيث خفي عليك ان محض المعنى لتنبيه السامع على ان اثبات ذكر منكر فيخجل عن الجواب وتلجئه الى الاعتراف ومقصود المستفهم انكار ثبوته لا استعلامه ، فلما كان الانكار لازماً له ، وهو المقصود من سياقه عبر به عن بيانه[4] انه قد يدعي المقدرة[5] على فعل تضعف قدرته عنه فاذا استفهم عن ذلك فهو لا يدعي اثباته مخافة ان يقال له افعل ان كنت صادقاً فيفتضح اذ ذاك وقد يكون سبب الانكار عليه همه بفعل لا يستصوب فاذا روجع فيه تنبه على وجه الخطأ فأحجم عن الجواب . وقد يكون سببه ادعاء ما لا يوجد[6] مثله فيخاف من اثباته ان يقال له ارناه في وقت أو في حال ليكون شاهداً (لك)[7] . وقد يكون الانكار لتعريف المخاطب ان الفعل

(١) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : بذلك .
(٢) سورة هود ، الآية ٢٨ .
(٣) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : الالتزام .
(٤) كذا فى ش ، أما فى الاصل ود : عبر عنه بيانه .
(٥) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : القدرة .
(٦) كذا فى ش ، اما فى الاصل ود : ادعاء وجود ما لا يوجد .
(٧) سقطت فى ش .

الذي هو فيه لا يجدي البغية ، وأن المدعي حصول المطلوب من هذا الفعل بمثابة من يدعي الممتنع • ومن هذا الضرب قوله تعالى : « أفأنت تُسمِعُ الصُّمَّ أو تَهْدي العُمْيَ[1] » ، فان اسماع الصم لا يدعيه أحد ، بل المعنى على ان طلب اسماعهم لا يتوجه لانهم بمنزلة الصم والعمي ، وانما قدم الاسم في الآية ولم يقل : « أتسمع الصم ؟ » اشارة الى [٤٤] انكار توجه نحو تقدير ظن منه عليه السلام انه مختص باسماع من به صمم ، وانه أوتي القدرة على ذلك • وهذا أبلغ من انكار الفعل •

وهم وتنبيه :

عساك تتخيل أن المفعول قاصر عن الفاعل في لزوم الذكر أو في اقتضاء الفعل له فيحملك ذلك على أن تتوهم[2] قصوره عن الفاعل فيما ذكرنا اذا ولي الهمزة بل يكون الانكار على طريق الاحالة والمنع من أن يكون بمثابة من يوقع به مثل ذلك الفعل كما ترى ذلك مع الفاعل على طريق احالة صدور الفعل منه • فاذا قلت : « أزيداً تضربُ[3] ؟ » كنت منكراً ان يكون زيد بمثابة من يجرأ عليه بضرب أو أن يعامل هذه المعاملة • ولهذا المعنى قدم في قول الله تعالى : « أغَيرَ الله أتخذُ ولياً[4] ؟ » وقوله تعالى : « أغيرَ اللهِ تدعون[5] ؟ » • ولو أخر فقيل : « أأتخذ ولياً غير الله ؟ » أو « أتدعون غير الله ؟ » ، لذهب ما فيه من الفخامة والحسن من جهة انه مع التقديم بمثابة : « أيكون غير الله بمكانه أن يتخذ وليا ؟ » و « أيرضى عاقل من نفسه ان يفعل ذلك ؟ » ولو قدمت الفعل كنت منكراً أن يكون الفعل فقط • وكذا الكلام في قوله تعالى : « أبَشَراً منا واحداً نتبعه[6] ؟ » ، وذلك انهم بنوا كفرهم على ان من كان بشراً لم يكن بمنزلة

(١) سورة الزخرف ، الآية ٤٠ •
(٢) كذا فى ش ، اما فى الاصل ود : فيحمل ذلك على توهم •
(٣) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : ضربت •
(٤) سورة الانعام ، الآية ١٤ •
(٥) سورة الانعام ، الآية ٤٠ •
(٦) سورة القمر ، الآية ٢٤ •

ان يتبع في أمره ونهيه وطريقته [٤٥] كما جاء في قوله تعالى : « أنْ أنتم الا بَشَرٌ مثلُنا(١) » ، و « ما هٰذا الا بشرٌ مثلُكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء اللهُ لأنزل ملائكة(٢) » .

هٰذا كله اذا كان « مراداً به المستقبل ، فان اريد به الحال كانت الهمزة مراداً بها الانكار ، كما كانت مع الماضي . ومنه قوله تعالى : « أفأنت تُكْرِهِ الناسَ حتى يكونوا مؤمنين(٣) ؟ » .

ومن قسم الحرف حرف النفي وهو « ما » : اعلم ان « ما » اذا وليها الفعل فقلت : « ما فعلت » كنت نافياً عنك فعلاً لم يثبت انه مفعول ، وكذلك اذا قلت : « ما قلت هٰذا» كنت نافياً ان يكون أنت القائل له مع اعترافك بوجوده ولكن من غيرك . واذا قلت : « ما أنا ضربت زيداً » لم تقله الا وزيد مضروب ، وكان قصدك أن تنفي ذلك عنك . ومن ثم حسن على الوجه الاول أن يكون النفي عاما فتقول : « ما قلت شعراً قط » و « ما رأيت اليوم فقيهاً » ، ولم يسغ على الوجه الثاني أن تقول : « ما أنا قلت شعراً قط » و « ما أنا رأيت اليوم فقيهاً » ؛ لافضائه الى المحال من جهة انه يقتضي أن يكون ثم انسان قد قال كل شعر في العالم ورأى كل فقيه في اليوم فنفيت أن تكونه . ومما يشد بعضد الفرق بين التقديم والتأخير قوله [من المتقارب] .

وما أنــا أسْقَمْتُ جسمي بــه
وما أنا أضْرَمْتُ في القَلْبِ نارا(٤)

اعترف بالسقم ولكن نفى أن يكون هــو الجالب له الى نفســه .

ونظيره [٤٦] قوله [من الطويل] :

وما أنا وحْدي قلتُ ذا الشِّعْرَ كُلَّهُ . . . .(٥)

---

(١) سورة ابراهيم ، الآية ١٠ .
(٢) سورة المؤمنون ، الآية ٢٤ .
(٣) سورة يونس ، الآية ٩٩ .
(٤) البيت للمتنبى وهو من قصيدة فى سيف الدولة مطلعها :
أرى ذلك القرب صار ازورارا   وصار طويل السلام اختصارا
(الديوان ج ٢ ص ٩٤) .
وفى دلائل الاعجاز ص ٩٧ والايضاح ص ٥٤ : ولا أنا ...
(٥) ذكره عبدالقاهر فى الدلائل ص ٩٧ ولم يذكر عجزه .

فرعــان :

احدهما : يصح على الوجه الاول : « ما قلت » هذا ولا قاله أحد من الناس » • ولا يصح على الوجه الثاني ان تقول : « ما أنا قلت هذا ولا قاله أحـد من اناس » لافضـائه الى التناقض ويتنزل ذلك منزلة قولك : « لست الضارب زيداً » فثبت انه قد ضرب ثم تعقبه بقولك : « ولا ضربه أحد من الناس » •

الفرع الثاني : يصح على الوجه الاول أن تقول : « ما ضربت الا زيداً » ولا يصح على الوجه الثاني : « ما أنا ضربت الا زيداً » ، لان نقضك النفي بـ « الا » يقتضي ان تكون قد ضربت زيداً ، وتقديمك ضميرك وايلاؤك اياه يقتضي نفي ان تكون قد ضربته فتدافعا[1] •

اشــــارة :

اياك ان يسكن وهمك الى ان ذلك من خواص الضمير ، بل يجرى ذلك مع المظهر في نحو « ما فعل زيد » و « ما زيد فعل » وكذلك في تقديم المفعول ، فاذا قلت : « ما ضربت زيداً » كنت نافياً لوقوع ضرب منك على زيد غيرمتعرض[2] لامر آخر بنفيأو اثبات واذا قدمتالمفعولفقلت: « ما زيداً ضربت » كان المعنى على أن ضرباً منك وقع على انسان ظن ظان أنه زيد فنفيت ان يكون اياه • وعلى هذا يصح أن تقول : « ما ضربت زيداً ولا أحداً من الناس » ولو قلت : « ما زيداً ضربت ولا أحداً من الناس » كان فاسداً [٤٧] كنظيره في الفاعل •

تنبيــــه :

اذا كان الغرض نفي فعل واثبات غيره فحقك أن تقدم الفعل فتقول : « ما ضربت زيداً ولكن أكرمته » لانه في تقدير « لم يكن هذا الفعل ولكن

---

(١) كذا فى ش اما فى الاصل ود : وايلاك اياه حرف النفى يقتضى نفى ان تكون قد ضربته فتدافعا •

(٢) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : متعرضا •

ذاك » • وان كان غرضك ان المفعول لم يكن هذا وانما كان غيره فقدم المفعول فقل : « ما زيداً ضربت ولكن عمراً » ؛ لان[1] المعنى انه لم يكن هذا المفعول ولكن كان الكائن غيره • والمجرور كالمنصوب في جميع ما ذكرناه ، فاذا قلت : « ما أمرتك بهذا » كنت نافياً أن يكون قد صدر منك أمر نحوه بهذا • واذا قلت : « ما بهذا أمرتك » كنت مؤذنا أنك أمرته بشيء غيره •

وهم وتنبيه :

احذر أن تتوهم ان لنظم الكلام وترتيبه معنى في الاستفهام لا يكون له في الخبر سوى ما استزاده النظم من الاستفهام بسبب زيادة صرفه ، بل قولك : « زيد قام » و « قام زيد » متغايران معنى كما لو دخل عليهما الهمزة أو حرف النفي ، وذلك لان الغرض ان يقفك المسؤول على وجود تلك النسبة أو عدمها بـ « نعم » أو « لا » المتضمنتين معنى الجملة الخبرية • فلو كان معنى الكلام مع الهمزة مغايراً له مع عدمها لما أمكن الجواب عما يستفهم عنه •

اشـارة :

كأني بك تتردد في حكم النكرة مع الفعل متقدمة عليه ومتأخرة وانها هل[2] هي بمثابة المعرفة في ذلك ؟ والذي [٤٨] يزيح عنك هذا التردد انك اذا قلت : « أجاء رجل ؟ » فسؤالك عن مجيء واحد من هذا الجنس واذا قلت : أرجل جاءك ، فسؤالك عن واحد من الجنس الذي وقع منه المجيء ، وانما يكون ذلك منك اذا علمت انه قد أتاه آت ولكن لم تعلم من أي الاجناس هو ، فوزان طلب تعيين الجنس هنا (وزان)[3] تعيين عين الآتي فيما اذا قلت : « أزيد جاءك أم عمرو ؟ » ، ولا يجوز تقديم الاسم

---

(١) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : لانه •
(٢) كذا فى الاصل وش اما فى د : انما هل هى •
(٣) سقطت فى ش •

في المسألة الاولى لئلا ينتقل السؤال عن الفعل الى الفاعل أو ما في عينه أو جنسه • فان قلت : « أرجل طويل جاءك أم قصير ؟ » كان السؤال عن رجل مخصوص جهلت خصوصيته أطول أم قصر فسألت عن تعيينها • ولا فرق بين أن تكون الصفة مفردة أو جملة نحو : « أرجل عرفته جاءك أم رجل لم تعرفه ؟ » فإن قلت فاذا وجب التقديم للاسم المسؤول عنه بالهمزة في نحو : « أرجل جاءك أم امرأة ؟ » فهل[1] يجب ذلك في الجواب ؟ قلت : نعم[2] ؛ ليتطابق الجواب والسؤال • فان قلت : فيلزم منه الابتداء بالنكرة مع فقد شرطها ، قلت : لا يصلح أن تقول : « رجل جاءني » حتى تريد أن تعلمه ان (الذي)[3] جاءك رجل لا امرأة ويكون كلامك مع من قد عرف انه أتاك آت ، فان لم ترد ذلك فالوجه أن تقدم الفعل • وكذلك اذا قلت : « رجل طويل جاءني » لم يستقم حتى يكون السامع قد [٤٩] ظن أن الذي قد أتاك قصير وأنك تنزله منزلة من قد ظن ذلك • وقولهم : « شَرٌّ أهَرَّ ذا ناب[4] » انما قدم فيه الاسم لان المراد أن يعرف الذي أهرّه من جنس الشر لا من جنس الخير • وقول النحاة انه في تقدير : « ما أهره الا شر » بيان لذلك • ومن ثم لا تقول : « ما أتاني الا رجل » الا حيث يتوهم انه قد أتتك امرأة لان « ما » و « الا » أنما يؤتى بهما حيث يراد قصر الفعل على شيء ونفيه عما عداه •

ومن (قسيم)(٥) الحرف « ما » و « لا » :

قد أذنتك ان التركيب ينشأ بسببه معان لا تجدها قبله ، فاذا قلت : « ما جاءني الا زيد » أحتمل أمرين : أحدهما ان تريد اختصاص زيد بالمجيء ونفيه عما عداه ، ويكون غرضك ان تعرف المخاطب انه لم يجيء اليك غيره لا ان تعرفه بانه قد جاءك • الثاني : ان تريد الذي ذكرناه في « انما » وهو ان الجائي زيد لا غيره • فمن ذلك قولك للرجل يدعي انك

---

(١) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : فى يجب •
(٢) كذا فى ش ، أما فى الاصل ود : قلت : قالوا نعم •
(٣) سقطت فى ش •
(٤) مثل يضرب عند توقع الشر المستطير من ظهور امارته • والهرير : صوت الكلب ونحوه من البرد أو الخوف ونحوهما • وأهره : جعله يهر •
(٥) سقطت فى ش •

قلت قولا ثم قلت خلافه : « ما قلت اليوم الا ما قلته أمس بعينه » ويقول : « لم ترَ زيداً وانما رأيت عمراً » فتقول : « بل لم أرَ الا زيداً » وعلى ذلك قوله تعالى : « ما قُلْتُ لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربّكم[1] » . ليس المعنى على اني لم أزد على ما أمرتني به شيئاً ولكن المعنى على أني لم أدع ما أمرتني به وقلت خلافه . ومنه قوله [٥٠] [من السريع] :

قد علِمَتْ سلْمى وجاراتُها
ما قَطّرَ الفارس إلا أنا[2]

المعنى : انا الذي قطر الفارس وليس يزعم انه لم يقطر غير ذلك الفارس .

تنبيه :

سأخرق قرطاس سمعك بمسألة ليست من هذا الفصل لتوقفك[3] على البغية منه وتعينك على ادراكه . والمثال فيها قوله عز من قائل[4] : « إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ[5] » . في تقديم اسم الله تعالى معنى لا يكون اذا أخر ، وانما ينكشف لك الغطاء اذا لم يفهمك الفرق بين[6] قولك : « ما ضرب عمرو الا زيداً » قاصداً حصر المفعول وبين ؟ « ما ضرب زيداً الا عمرو » قاصداً الى حصر الفاعل . ففي المثال الأول الغرض انه لا مضروب لعمرو سوى زيد ، ومن ثم يعلم ان الغرض بتقديم اسم الله عز وجل[7] انما هو الاخبار بانه لا يخشى الله سواهم . ولو عكس لصار الغرض

---

(١) سورة المائدة ، الآية ١١٧ .
(٢) البيت لعمرو بن معد يكرب . قطره : صرعه . وبالتضعيف ألقاه على قطره أى جانبه . ينظر دلائل الاعجاز ص ٢٦٠ ومفتاح العلوم ص ١٤٠ والايضاح ص ١٢١ .
(٣) كذا فى ش ، أما فى الاصل ود : لتقفك .
(٤) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : تعالى .
(٥) سورة فاطر ، الآية ٢٨ .
(٦) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : من .
(٧) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : تعالى .

بيان المخشى من هو وانه الله تعالى دون غيره • واذ ذاك[1] يجوز ان يشارك العلماء غيرهم في خشية الله عز وجل[2] • فقد وضح لك ان قولك : « ما ضرب زيداً الا عمرو » لبيان الضارب وان « ما ضرب عمرو الا زيداً » لبيان المضروب ، وانه كالمتكلف ان تحمله (على)[3] نفي الشركة فتزيد في الاولى انه لم يضربه اثنان ، وفي الثانية انه لم يضرب اثنين • فان قلت : فلم اختص ما بعد « الا » بالحصر دون الذي قبلها ؟ قلت : لاستحالة ظهور أثر الحرف [٥١] قبل وجوده وهو « الا » واذا تبين ان الحصر يقع فيما بعد « الا » فكذلك هو في الثاني من الفاعل والمفعول بعد « انما[4] » •

وهم وتنبيه :

لا يُغرَّينكَ هذا على ان تقضي بالحصر للثاني من المذكورين بعد « الا » مثل : « ما ضرب الا عمرو زيداً » بل الاختصاص يقع فيما يليها فاعلا كان أو مفعولا • قال [من الطويل] :

ولما أبى الا جماحاً فؤادهُ
ولم يسلُ عن ليلى بمالٍ ولا أهْلِ
تَسَلَّى بأخرى غيرِها فاذا التي
تَسَلَّى بها تُغْري بليلى ولا تُسْلي

المعنى ان فؤاده ما يقبل الا اسراعه الى المحبة • وكذلك حكم المفعولين كقولك : « لم يكْسُ عمرو الا زيداً جُبَّةً » ، فيكون المعنى انه خص زيداً من الناس بكسوة جبة • فان قلت : « لم يكْسُ الا جبةً زيداً » كان المعنى انه يخص الجبة من اصناف الكسوة • وكذلك الحكم حيث يكون بدل أحد

---

(١) كذا في الاصل ود ، أما في ش : وزاد ذاك •
(٢) كذا في الاصل ود ، اما في ش : تعالى •
(٣) سقطت في ش •
(٤) كذا في الاصل ود ، أما في ش : اما •

المفعولين جاراً ومجروراً كقول السيد[1] الحميري [من السريع] :

لو خُيِّرَ المنبرُ فرسانَه ما اختارَ الا منكم فارِسا[2]

ولو قلت : ما اختار الا فارساً منكم صار الاختصاص في « فارس » .

وليس وضع الفاعل والمفعول بعد « الا » بالأكثرية حتى ذهبوا في قولك « ما ضرب الا عمرو زيداً » الى انه على كلامين وان « زيداً » منصوب بفعل مضمر وكأن المتكلم بذلك أبهم في أول أمره فقال : « ما ضرب [٥٢] الا عمرو » ثم قدر انه قيل له : من ضرب ؟ فقال : « ضرب زيداً » .

دقيقـــة :

اذا قلت : « ما ضرب زيداً الا عمرو » كان غرضك أن تخص عمراً بضرب زيد لا بالضرب على الاطلاق ، فلذلك وجب أن تعدي الفعل الى المفعول قبل تعديته الى الفاعل ، أما اذا ذكرته غير معدى فقلت : « ما ضرب الا عمرو » أشعرت انه لم يكن من أحد غير عمرو ضرب ، وانه ليس هناك مضروب الا وضاربه[3] عمرو .

اشـــارة :

اذا دخل « ما » و « الا » على المبتدأ أو الخبر كان الحصر للثاني ويكون الامر معهما أثبت منه مع « انما » . تقول : « ما زيد الا قائم » فتكون قد اختصصت القيام من بين الاوصاف التي تتوهم أن زيداً عليها ، وتقول : « ما قام الا زيد » فيكون المعنى انك اختصصت زيداً بكونه موصوفا بالقيام فقد قصرت في الاول الصفة على الموصوف وفي الثاني الموصوف على الصفة .

---

(١) فى الاصل ود وش : « لبيد الحميرى » وهو خطأ لان البيت للسيد الحميرى وهو من أبيات قالها للسفاح وقد خطب يوما خطبة فأحسن والحميرى هو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة كان يتشيع ويهجو الامويين . توفى سنة ١٧٣هـ .

(٢) ينظر دلائل الاعجاز ص ٢٦٥ ومفتاح العلوم ص ١٤٤ والايضاح ص ١٢٩ .

(٣) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : وصار .

تنبيـــه :

معنى قولنا في الخبر اذا قيل « ما زيد الا قائم » انك إختصصت القيام من بين الاوصاف التي تتوهم كون زيد عليها ونفيت ما عدا القيام عنه انك تنفي الصفات التي تنافي القيام كالقعود والاضطجاع والاتكاء ، لا كونه أسود أو طويلا أو قصيراً أو عالماً أو ما يضاد ذلك ، كما اذا قلنا : « ما قام الا زيد » فانا لا نريد انه ليس في الدنيا قائم سواه ، بل المراد حيث هو .

اشـــارة :

غير خاف ان الامر ظاهر في قولنا [٥٣] : « ما زيد الا قائم » ان المعنى ليس على نفي الشركة ولكن على نفي أن لا يكون المذكور ويكـون بدله شيء آخر . ألا ترى ان المعنى ليس على انه لا صفة له مع القيـــام بل على انه ليس له بدل القيام صفة غيره تخالف القيام وتخلفه كالاضطجاع[١] فان قلت فالمعنى مع « ما » و « الا » فهو مثله مع « انما » نحو « انما هــو قائم » . والعطف جائز مع « انما » ممتنع مع « ما » و « الا » ، فلا يقال « ما زيد الا قائم لا قاعد » قلت : علة ذلك انك اذا قلت : « ما زيد الا قائم » فقد نفيت عنه كل صفة تنافي القيام وكأنك قلت : « ليس بمضطجع[٢] ولا جالس » حتى تستغرق كل صفة تضاد[٣] القيام . فاذا قلت : « لا قاعداً » كنت نافياً بـ « لا » العاطفة شيئاً قد سبق نفيه ، ووضعها ان تنفي شيئاً قد سبق ايجابه لا نفيه . ومن ثم لم يجز « ما جاءني أحد لا زيد » وجاز « ولا زيد » ؛ لان « لا » هنا غير العاطفة . واذا كان العطف فاسداً في قولك « ما زيد الا قائم لا قاعد » ، فكذلك هو في « ما جاءني الا زيد لا عمرو » و « ما ضربت الا زيداً لا عمراً » من جهة انك تنفي في جميـع ذلك بـ « لا » العاطفة ما تقدم نفيه ، وهذا بخلاف العطف مع « انما جاءني زيد لا عمرو » فانه كلام مثبت ليس فيـه نفي . نعم هو مفيـد حصر

---

(١) كذا في ش ، اما في الاصل ود : كالقعود والاضطجاع .

(٢) كذا في الاصل ود ، أما في ش : ليس مضطجع ولا جالس .

(٣) كذا في الاصل ود ، اما في ش : تنافي .

المجيء في « زيد » لكن لا بحرف نفي بل بحرف اثبات • وينزل ذلك منزلة قولك : « هو الجائي » فانك تفهم انه لم يكن مجيء من غيره • ثم لا يمنع [٥٤] ذلك أن تقول : « لا عمرو » فتعطف عليه بـ « لا » حيث لم يكن في الكلام حرف يفيد النفي وان أفاده المعقول •

تنبيــــه :

« غير » تعطيك حكم « الا » المذكور ، فاذا قلت : « ما جاءني غير زيد » احتمل ان يكون مرادك نفي ان يكون (قد)[١] جاء معه انسان آخر ، وان تريد أن يكون[٢] قد جاء غيره لا هو • ولا يصح ان تقول : « ما جاءني غير زيد لا عمرو » كما لم يجز « ما جاءني الا زيد لا عمرو » لان « غير » فيها معنى النفي ، ومن ثم جاء حرف النفي مـــع المعطوف عليهـا نحـو قـوله سبحانه[٣] : « غير المغضوب عليهم ولا الضائين[٤] » •

ومن قسم الحرف « لو » :

ووضعهـا لان يدل على امتناع لامتناع آخـر وتطلب فعلين تعلق الثاني منهمـا على الاول تعليق المسبب بالسبب ، فان كانا منفيين لفظـاً فهما مثبتان معنى ، وان كانا مثبتين لفظاً (فهما)[٥] منفيان معنى • وان كان الاول مثبتاً أو بالعكس فهما في المعنى على العكس من لفظهما • مثال ذلك « لو قام زيد [قُمْتُ] » فالقيام منتفٍ عنهما و « لو لم يقم زيد لم أقم » فالقيام موجود ممن نفي عنه لفظاً ، منتفٍ عمن أثبت له لفظاً • فان قلت : كيف تصنع بمسألة صهيب : « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » فان المعنى على ما قررت انه خاف الله فعصاه • قلت : « لو » وضعها للتقدير والتقدير ان تعطي [٥٥] الموجود معنى المعدوم والمعدوم معنى الموجود ويكون الواقع بخلاف ذلك عند المقدر ليبني الحكم عليه كما في قوله تعالى : « لو

---

(١) سقطت فى ش •
(٢) كذا فى ش ، اما فى الاصل ود : وان تريد نفى ان يكون •
(٣) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : تعالى •
(٤) الآية الاخيرة من سورة الفاتحة •
(٥) سقطت فى ش •

كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا[1] » ، قدر وجود الالهة ثم رتب على وجودهم الفساد . اذا تحقق ذلك ، فاعلم انه قد يؤتى بها لقصد الاثبات للحكم على تقدير لا يناسب الحكم لتفيد ثبوت الحكم مطلقاً . ومنه « ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون[2] ». المعنى : لو فهمهم لما أجدى فيهم التفهيم فكيف وقد سلبوا القوة الفاهمة ، فتعلم بذلك انهم مع انتفاء الفهم أحق بفقد القبول والهداية . خرج على هذا مسألة صهيب ، فانه اذا لم يخف لا يصدر منه عصيان لما اعطاه الله تعالى من طهارة الباطن فكيف به وقد استمسك من الخوف بالعروة الوثقى فيكون انتفاء العصيان عنه من طريق الاولى . وتجري « انْ » الشرطية هذا المجرى ويلزمها واو الحال غالباً نحو : « لا أترك اكرامك وانْ أسأت اليّ » و « لالزمن بابك وانْ لم يصلني منك نفع » . فيكون ثبوت الحكم مع هذا المقدر أجدر .

ومن قسم الحرف « لن » و « لا »[3] :

ليكن على خاطرك ان « لن » و « لا » وان اشتركا في النفي الا ان « لن » تنفي ما قرب وأنّ « لا » يمتد معنى النفي فيها كما يمتد في النفي[4] . وسر ذلك ان [٥٦] الالفاظ مشاكلة للمعاني و « لا » آخرها ألف والالف يمكن أداء الصوت به بخلاف النون فانها وان طال اللفظ بها لا تبلغ طوله مع (لا)[5] فطابق كل لفظ معناه .

اشـــارة :

لعلك تقول نص الزمخشري في مفصله على ان « لن » لتأكيد مـــا تعطيه « لا » من نفي المستقبل وتغفل عن انه بنى ذلك على مذهبه في

(١) سورة الانبياء ، الآية ٢٢ .
(٢) سورة الانفال ، الآية ٢٣ .
(٣) كذا فى ش ، اما فى الاصل ود : لا ولن .
(٤) كذا فى الاصل ، اما فى د وش : فى لا .
(٥) سقطت فى ش .

الاعتزال . ومما يثبت عندك ما ذكرته في معناهما قوله عز وعلا[1] : « ولا يتمنونه أبداً » بعد حرف الشرط وهو قوله تعالى : « قل يا أيها الذين هادوا انْ زعمتم أنكم أولياءُ للهِ من دونِ النـاس فتمنَّوا المـوتَ انْ كنتـم صادقين[2] » . كأنه قيل : متى زعموا ذلك في وقت من الاوقات وقيل لهم : تمنوا الموت فلا يتمنونه . فلما كان حرف الشرط لا يختص بوقت دون وقت وعم جميع الازمنة قوبل بـ « لا » ليعم ما جعل جواباً له ، ولما فات العموم من قوله تعالى : « قل ان كانت لكم الدار الآخرةُ عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين[3] » بسبب « كان » لكونها لا تدل على الحدوث بل تدخل على المبتدأ أو الخبر لتقرن مضمون الجملة بالزمان الماضي وكأنه قيل : ان كان قد وجبت لكم الدار الآخرة عند الله فتمنوا الموت الآن ، وكان حرف الشرط داخلا على فعل أمـــده قريب جاء في جوابه « لن » فأنتظم الخطاب في الآيتين . فان قلت : قولـه « أبداً » ينفي ما ذكرته قلت : قد يأتي لفظ « الأبد » في الزمن القريب [٥٧] تفخيماً لامره واعطاء له معنى الزمن الطويل كقولك : « زيد يصلي أبداً » . ومما يحقق أن المراد به الزمن القريب قوله عليه السلام : « لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي » . واذا عرفت ذلك وضح لك سر الاتيان بـ « لن » في قوله (تعالى)[4] : « لن تراني[5] » حيث لم يرد به النفي مطلقاً بل في الدنيا . وبـ « لا » في قوله تعالى : « لا تدركه الابصار[6] » حيث أريد نفـي ادراك الابصـــار على الاطلاق . وهذا يؤذنك أن ا لرؤية مغايرة للادراك خلافاً لبعضهم . ولذلك

---

(١) كذا في الاصل ود ، أما في ش : جل وعلا .

(٢) سورة الجمعة ، الآية ٦ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٩٤ .

(٤) سقطت في د .

(٥) سورة الاعراف ، الآية ١٤٣ وهي : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال : رب أرني انظر اليك ، قال : لن تراني ، ولـكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال : سبحانك تبت وأنا أول المؤمنين » .

(٦) سورة الانعام ، الآية ١٠٣ .

قال عليه السلام : « انكم لترون ربكم يوم القيامة » ولم يأتِ بالادراك .

ومما يفرق لك بين الحرفين أن « لن » لنفي المظنون حصوله ، و « لا » لنفي المشكوك فيه ، وهذا يعلمك أن « لن » آكد في النفي على ما قاله الزمخشري وان كان زمانها أقصر .

الركن الثاني

في مراعاة أحوال التأليف

الركن الثاني
في مراعاة أحوال التأليف

ونقدم على ذلك مقدمة فنقول : يجب على الناثر والناظم ان يراعي ما يقتضيه اللفظ من الحقيقة والمجاز وغير ذلك وما يقتضيه علم النحو أصوله وفروعه من تعريف المبتدأ وتقديمه وجوباً كما اذا كان خبره معرفة واستحبابا كما عرف تفصيله في علم العربية ، وان يراعي في الشرط والجزاء جعل الجملة الاولى فعلية والثانية بالفاء ان كانت اسمية أو فعلية لم يؤثر فيها حرف الشرط استقبالا ، وان يأتي [٥٨] بالواو في الجملة الاسمية اذا وقعت حالا ، وبـ « قد » مع الماضي لفظاً ، وبحذف الواو مع المضارع المثبت ، وأن يضع كل حرف في خاص معناه فيأتي بـ « ما » لنفي الحال و بـ « لا » لنفي الاستقبال وبـ « ان » في المحتمل وبـ « اذا » في الغالب الحصول والمعلوم الحصول . وينظرفي الجمل ويعرف فيهامواقع الفصل والوصل. ويتصرف في التعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير ، والحذف والتكرار ، والاضمار والاظهار وغير ذلك مما توجبه صناعة الاعراب . وسيأتي عليك شرح المقاصد المتعلقة بذلك ، اللهم الا ان يكون قد سبق بيانه فيما تقدم من هذا الكتاب وأتضح أمره في علم الاعراب .

اشـــارة :

عليك أن تراعي أحوال التأليف بين[1] المفرادت والجمل حتى تكون أجزاء الكلام بعضها آخذاً باعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الاجزاء ، وهذا يجيء على وجوه شتى . ومن الامثلة الرائقة في ذلك عن بعض العرب [من الرجز] :

فغنِّـها وهي لَكَ الفِـداءُ   انَّ غناءَ الابل الحُداءُ[2]

---

(١) كذا في الاصل ود ، أما في ش : من .

(٢) ينظر دلائل الاعجاز ص ٢٤٣ ، ومفتاح العلوم ص ٨٣ والايضاح ص ١٩ .

فالرابط بين الجملتين (انّ) ولو سقطت لاختل النظم الى أن تأتي بالفاء ، وليس الاتيان بالفاء يصح في كل موضع تحل فيه « ان » • ألا ترى الى قوله تعالى : « ان المتقين في مقام أمين • في جنّاتٍ وعيون » [٥٩] »[1] بعد قوله : « انّ هذا ما كنتم به تَمْترون[2] » • وكذا قوله تعالى : « اِنَّ الذين سبقت لهم منّا الحسنى أولئك عنها مُبْعدون[3] » بعد قوله « لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون[4] • وقوله : « اِنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ اِنا لا نضيع أجرَ من أحسَنَ عملا[5] » لان « اِنا لا نَضيع » خبر « اِن » والخبر لا يعطف على المبتدأ •

تنبيه :

كأني بك تطلب الضبط لمواقع « اِن » التي تصح أن تخلفها الفـاء عند ما قرع سمعك اختلاف الامثلة وانقسامها الى ما يصح فيه الفاء والى ما لا يصح • والذي نعوّل عليه في الضبط ان كل جملة دخلت عليها لتقوية جملة سابقة مقررة لها فإن الفاء تصح مكانها مثل قوله تعالى : (« اِنّ زَلزلةَ الساعة شيءٌ عظيم[6] » فانها مؤكدة لمقصود قولــه سبحانه)[7] « يا أيُّها الناسُ اتقوا ربكم[8] » ولم امروا أن يتقوا • وقوله تعالى : « وَصَلِّ عليهم اِن صلاتَكَ سكنٌ لهم[9] » فإن جملتها بيان لمعنى (أمر)[10] النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء لهم •

وهذه الفوائد وان كانت من ثمرات « اِنَّ » الا انها راجعة الى ربط بين جملتين ، فلذلك ذكرت في قسم التأليف دون قسم الحرف •

---

(١) سورة الدخان ، الآيتان ٥١ ، ٥٢ •
(٢) سورة الدخان ، الآية ٥٠ •
(٣) سورة الانبياء ، الآية ١٠١ •
(٤) سورة الانبياء ، الآية ١٠٠ •
(٥) سورة الكهف ، الآية ٣٠ •
(٦) سورة الحج ، الآية ١ •
(٧) سقطت في ش •
(٨) سورة الحج ، الآية ١ •
(٩) سورة التوبة ، الآية ١٠٣ •
(١٠) سقطت في ش •

ومما حسن تأليفه وانتظامه قول البحتري [من المتقارب] :

بلَونا ضرائبَ مَنْ قَدْ نَرى
فَما اِنْ رأينا لفَتْحٍ ضَريبا

هو المرء أبدت له الحادثا
تُ عزماً وشيكا ورأياً صليبا

تنقّلَ في خُلقي سؤدد
سماحاً مُرجّى وبأساً مهيبا [٦٠]

فكالسيفِ اِن جئتَهُ صارخاً
وكالبحر اِنْ جئته مُستثيبا[١]

فما أحسن قوله « هو المرء[٢] » كأنه قال : فتح هو الرجل الكامل في الرجولية ثم حقق ذلك بقوله : « أبدت له الحادثات » . ثم انظر الى[٣] قوله « تنقل في خلقي سؤدد » ثم الى تنكير « سؤدد » واضافة الخلقين اليه ، ثم الى قوله « كالسيف » وعطفه بالفاء مع حذف المبتدأ ، والمعنى : فهو كالسيف . ثم الى تكرير الكاف في قوله : « وكالبحر » ، ثم الى ان قرن بكل واحد من التشبيهين شرطاً جوابه في ذلك التشبيه ، وذلك قوله « صارخاً » هناك و « مستثيبا » هنا . وليس اذا راقك التنكير في قوله « خلقي سؤدد » يجب أن يروقك في كل ورد وصدر ، بل ذلك بحسب انتظام المعنى . ونظير هذا الاصباغ التي تعمل منها النقوش فان مقاديرها وكيفياتها ليس على سنن واحد بل يراعى في كل واحد ما هو اللائق به وبحاله . ومن الملائمة الفائقة[٤] بين الشرط والجزاء قول البحتري ايضاً [من الطويل] :

اذا ما نَهى الناهي فلَجَّ بي الهَوى
أصاخَتْ الى الواشي فلجّ بي الهَجْرُ[٥]

---

(١) الضريب المثيل . والفتح هو الفتح بن خاقان . استثاب الرجل : سأله ان يجازيه . ينظر ديوان البحتري ج ١ ص ١٠٧ ودلائل الاعجاز ص ٦٧ .

(٢) ينظر الطراز ج ٢ ص ٢٢٥ .

(٣) كذا في الاصل ود ، اما في ش : في .

(٤) كذا في الاصل ود ، اما في ش : الفارقة .

(٥) ينظرديوانه ج ١ ص ١٠١ .

فما أعذب تأكيده « الحب » بما هو سعي في تقليله وذلك لان وظيفة النهي أن يحصل الانتهاء لانه سبب له وطريق اليه ، فاذا صار [٦١] طريقاً الى ضده فما ظنك بغيره الذي ليس طريقاً الى ذلك أصلا ، فان ثبوت الحكم معه أجدر •

ومما يقرب من هذا المعنى ان تثبت الحكم حال ثبوت ضده فتكون مرشداً الى ثبوته مع انتفاء الضد بطريق الاولى أو تعقب الضد بضده فتكون تعقبه بما لا مضادة بينهما أقرب كقول سليمان بن داود القضاعي [من الوافر] :

فبينا المرء في العلياء أهْوى
ومنحَط أتيح له اعتلاءُ
وبينا نعمةٌ اذ حالُ بُؤسٍ
وبؤسٌ اذ تعقبه ثراءُ

فأثبت السقوط وهو من(١) العلياء بمكان ، والاعتلاء وهو من الانحطاط بمنزل وعقب النعمة بالبؤس والبؤس بالثروة •

ومما يلاحظ ما ذكرناه حسناً في المفردات (والتأليف)(٢) قول الشاعر [من البسيط] :

قومٌ اذا استنبحَ الاضيافُ كلبَهم
قالوا لأُمهم : بولي على النار(٣)

فانك لا تجد فيه لفظة الا وقد تضمنت هجاء ، فانه أتى بلفظ(٤) « قوم » وهو خاص بالرجال فاشعر(٥) بانهم عزاب ليس لهم ثروة فيتزوجون أو أنهم عن مكارم الخصال بمعزل • ثم لفظ « قوم » يشعر بقلتهم وانهم من العشرة

---

(١) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : فى •
(٢) سقطت فى ش •
(٣) يقول الاصمعى : « هذا البيت اهجى بيت قالته العرب ، لانه جمع ضروبا من الهجاء • نسبهم الى البخل لكونهم يطفئون نارهم مخافة الضيفان ، وكونهم يبخلون بالماء فيعوضون عنه البول ، وكونهم يبخلون بالحطب فنارهم ضعيفة تطفؤها بولة ، وكون البولة بولة عجوز ، وهى أقل من بولة الشابة ، ووصفهم بامتهان امهم وذلك للؤمهم » الطراز ج ٢ ص ٢٢٦ وينظر تعليق العلوى عليه أيضا •
(٤) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : بلفظة •
(٥) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : فاستشعر •

فما دونها ، ثم أتى بـ « اذا » التي تؤذن بالشرط وأن الاضياف لا ينتابونهم الا في أوقات مخصوصة . ثم أتى بسين الاستفعال ليؤذن ان كلبهم ليس من عادته النباح ، بل انما يقع ذلك عند ضربه والجائه الى ذلك . ثم أتى بـ « الاضياف » [٦٢] معرفاً باللام للرمز الى عهده اضيافاً معينين وانهم لا يقصدهم كل أحد ، وان كلبهم لا ينبح الا باستنباح جملتهم ، وهـذا يؤذن[1] بمهانته وانه لم يبق له قوة النباح من الجوع . فان قلت : يجوز ان يكون فقد نباحه لألفة الاضياف ، قلت : تمام البيت ينفي ذلك ، وكذلك قوله : « استنبح » ، فان الالفة للاضياف لا تستنبح . ثم جاء بـ « الاضياف » على جمع القلة ليؤذن بقلة الطارق منزلهم ، ثم أفرد كلبهم ليعرف (انه ليس لهم سوى كلب واحد ثم أضافه اليهم استحقاراً لهم ، ثم أتى بـ «قالوا» ليعرف)[2] انهم يمتهنون أنفسهم ولا يترفعون بخادم ينوب عنهم في المقال . ثم جعل القول منهم مباشراً لامهم ولم يكن عندهم من يخلفها في القيام بطفي النار فأقاموا أمهم مقام الامة في قضاء حوائجهم ، ثم جعلهم قائلين بما[3] يستفحش ولم يقتصروا على طلب طفي النار من غير ان يصرحوا بما تطفأ به . وقوله « على النار » فيه اشعار بان نارهم قليلة لا ينتفع بها كانها نار الحُباحِب[4] وانها لقلتها تطفؤها بولة ، وانها انما أمرت بذلك عند استنباح الأضياف ليذهب عن الاضياف مكانهم فلا يهتدون[5] اليهم . فقد قامت الحجة البالغة على أن التأليف هو الدعامة الكبرى في حسن المعاني وفخامتها وليس لك أن تسوقه بزمامه الا بضبط [٦٣] اثني عشر فناً (اذكرها لك في هذا المختصر مرتبة مفصلة[6] بعون الله ومنّه[7]) .

---

(١) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : مؤذن .
(٢) سقطت فى ش .
(٣) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : ما .
(٤) نار الحباحب : ما اقتدح من شرر النار فى الهواء من تصادم الحجارة ، وحبحبتها : اتقادها ، وقيل : الحباحب ذباب يطير بالليل كانه نار له شعاع كالسراج ، قال النابغة يصف السيوف :

تقد السلوقى المضاعف نسجه ... وتوقد بالصفاح نار الحباحب

(٥) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : فلا يهتدوا .
(٦) كذا فى الاصل اما فى د : مفصلة مرتبة .
(٧) سقطت فى ش .

الفن الأول

في تقديم الاسم على الفعل وتأخيره

اعلم انك اذا ذكرت اسماً أولا ثم أردت ان تحدث عنه بفعل فقلت « زيد قد فعل » و « أنا قد فعلت » و « أنت فعلت » كان المعنى متردداً بين احتمالين يرشد الى تعيين احدهما سياق الكلام أو قرينة حال • احدهما : ان يكون غرضك ان المذكور هو الفاعل لهذا الفعل دون كل أحد ، كما ان قلت : « أنا كتبت في معنى فلان » و « أنا شفعت فيه عند الامير » كان غرضك اظهار الاستبداد بان تزيل عن السامع شبهة ان يكون ذلك قد صدر من غيرك •

الاحتمال الثاني : ان يكون غرضك ليس اظهـــار الاستبداد بل أن تحقق عند السامع انه فعل ظناً منك أو توهماً شكه في ذلك كقولك : « هو يعطي الجزيل » و « هو يحب الثناء » • ليس مرادك انه لا يعطي الجزيل ولا يحب الثناء غيره ولا ان تعرض بانسان وأن تجعله لا يعطي كما يعطي ولا يرغب كما يرغب لكن مقصودك أن تحقق عند السامع ان اعطاء الجزيل وحب الثناء دأبه وان تمكن ذلك من نفسه •

ومن القسم الثاني قوله [من الطويل] :

هما يَلْبَسانِ المجْدَ أحْسَنَ لِبْسَةٍ
شحيحان ما اسطاعا عليه كلاهُما[1]

[٦٤]

لا شبهة انه لم يُرد ان يقصر هذه الصفة عليهما بل يعرف ان ذلك من شأنهما وعادتهما • ومما هو أوضح مثالا قوله تعالى : « واذا جاءوكم قالوا : آمنا ، وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به »[2] وقوله سبحانه :

---

(١) كذا في الاصل ود وش ، اما في الطراز ج ٢ ص ٢٩ : حريصان ما اسطاعا عليه كلاهما •

(٢) سورة المائدة ، الآية ٦١ •

« وأتخذوا من دونه آلهة لا يَخلُقُونَ شيئاً وهم يُخلَقُون[1] » . فان قلت : فمن أين يجب ان يكون قوله : « هما يلبسان المجد » أبلغ في جعلهما يلبسانه مما اذا قلت : « يلبسان المجد » . قلت : لانه لا يؤتى باسم معرى من العوامل الا الحديث قد نوي اسناده اليه فإذا قلت : « عبدالله » فقد أشعرت السامع بانك قد أردت الحديث عنه ، فاذا ذكرت الحديث بعده فقلت : « قام أو قعد » أو نحو ذلك كنت ذاكراً له بعد تأنس به فيقبله القلب قبول المطمئن اليه ، وذلك[2] أشد ثبوتاً وأنفى للشك اذ لا يخفى عليك ان اعلامك غفلا عن تقدم التنبيه ليس كاعلامك به بعد تقدم التنبيه عليه فجرى لذلك مجرى التوكيد في التقرير . ومما يشد بعضد هذا قولهم ان الشيء اذا أضمر ثم فسر كان أفخم مما اذا لم يتقدم اضمار . ألا ترى انك[3] تجد روعة في قوله تعالى « فانها لا تعمي الابصار »[4] لا يخالجك شيء منها اذا قلت : « فان الابصار لا تعمى » . وهذا مطرد في كل كلام [٦٥] تضمن ضمير الشأن والقصة نحو قوله تعالى : « انه لا يُفلِحُ الكافرون »[5] فانه أفخم مما لو قيل : « إن الكافرين لا يفلحون » . ولما ذكرناه من الفرق جاء تصدير الاسم مسوقاً في جواب انكار نحو ان يقول الرجل : « ليس لي علم بالذي تقول » . فيقول له : « أنت تعلم ان الامر على ما أقول ، ولكنك تخاف وانت تعلم ثبوت حقي عليك ، ولكنك حلفت كاذباً » . ومنه قوله تعالى : « ويقولون على الله الكَذِبَ وهم يَعلَمون[6] » . وجاء أيضاً فيما اعترض فيه شك كقولك : « كأنك لم تعلم ما صنع فلان ولم يبلغك » فتقول : « أنا أعلم ولكني أداريه » . وجاء في تكذيب مدع كقوله تعالى : « واذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٣ .

(٢) كذا في الاصل ود ، أما في ش : فلذلك .

(٣) كذا في الاصل ود ، أما في ش : الا انك .

(٤) سورة الحج ، الآية ٤٦ .

(٥) سورة المؤمنون ، الآية ١١٧ .

(٦) سورة آل عمران ، الآية ٧٥ .

وهم خرجوا به[1] » والموضع موضع تكذيب • وكذا قوله تعالى : « واتخذوا من دونه آلهةً لا يَخْلُقون شيئاً وهم يُخْلَقون[2] » ؛ لان عبادتهم لهم تقتضي أن لا تكون مخلوقة • وكذلك كل شيء كان خبراً عما يستغرب نحو قولك : « أعجب من فلان يدعي العظيم من الشجاعة وهو يفزع من لا شيء » وكذلك يقول من يكثر الوعد والضمان : « أنا أعطيك ، أنا أقوم لك بما على فلان » • وسره ان المضمون له يلحقه الشك ، وكذلك الموعود فانت محتاج في تقرير ذلك عنده الى مزيد في [٦٦] التأكيد فلذلك قدمت الاسم على الفعل • وهذا القبيل اما يكثر في المدح نحو : « أنت تعطي الجزيل » ، وقوله [من الرمل] :

نحن في المَشْتاةِ ندعو الجَفَلى [لا نرى الآدِب منا ينتقر][3]

لان من شأن المادح أن يباعد السامعين عن الشك في مقاله وكذلك المفتخر • ومما يزيد ما ذكرناه بيانا ان الفعل اذا كان مما لا يشك فيه ولا ينكر بحال لم يكد يجيء مبنياً على اسم قبله بل تقول : « طلعت الشمس وغابت » • وكذلك اذا لم يكن شك ولا تردد في ركوب شخص قلت : « قد ركب » ولا تقول : « هو قد ركب » • ومما قدم فيه الاسم قوله تعالى : « ان وليي اللهُ الذي نَزّلَ الكتابَ وهو يتولى الصالحين[4] » وقوله تعالى : « وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تُملى عليه بكرةً وأصيلا[5] » • وقوله تعالى : « وَحُشِرَ لسليمانَ جنودُه من الجن والانسِ والطيرِ فهم يُوزَعون[6] » فالمعنى مع تقديم الاسم أقوى مما لو لم يتقدم فقيل : « يتولى الصالحين » و « تملى عليه » و « يوزعون » •

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٦١ •
(٢) سورة الفرقان ، الآية ٣ •
(٣) البيت لطرفة بن العبد •
الجفلى : الدعوة العامة • النقرى : الدعوة الخاصة •
(٤) سورة الاعراف ، الآية ١٩٦ •
(٥) سورة الفرقان ، الآية ٥ •
(٦) سورة النمل ، الآية ١٧ •

تنبيـــه :

ليس ما ذكرناه بخاص بالفعل المثبت بل هو مع المنفي كذلك نحو : « أنت لا تحسن هذا » ولو قلت : « لا تحسن أنت هذا » لغابت[1] تلك القـوة • ومثله قوله تعـالى : « والذين هم بربهم لا يُشرِكون[2] » ، و « لقد حَقَّ القولُ على أكثرِهم فهو لا يؤمنون[3] » ، وقوله تعالى : « فعميت عليهم الانباءُ يومئذٍ [٦٧] فهم لا يتساءلون[4] » •

ومما يكاد يلزم تقديمه « مثل » و « غير » نحو : « مثلك يكون الكرماء » و « غيرك يخشى ظلمه » ونحو ذلك مما لا يقصد فيه بميل الى انسان سوى الذي أضيف اليه ، ولكنهم يعنون ان كل من كان مثله في الصفة كان من مقتضى القياس وموجب العرف ان يفعل ما ذكره أو أن لا يفعل • وقوله [من البسيط] :

غيري بأكثرِ هذا الناسِ يَنْخَدِعُ
[إنْ قاتلوا جَبُنُوا أوْ حَدَّثوا شَجُعوا][5]

غرضه انه ليس ممن ينخدع ويغتر • وهذا المعنى لا يستقيم فيهما اذا لم يقدما نحو : « يكون الكرماء مثلك » و « ينخدع بأكثر هذا الناس غيري »• فانت ترى الكلام مقلوباً عن جهته •

خاتمـــة :

ما يخبر به على قسمين أسم أو فعل ، ثم كل واحد منهما يقع خبراً من الجملة تارة وخبراً زائداً على الجملة أخرى • فمثال الاول : « زيد قائم » و « قام زيد » • وأما الثاني فيقع في حاشية خبر آخر وهو الحال نحو : « جاءني زيد راكباً » فان الحال خبر في الحقيقة ، الا تراك تثبت به

---

(١) كذا في الاصل ود ، اما في ش : لفاتت •
(٢) سورة المؤمنون ، الآية ٥٩ •
(٣) سورة يس ، الآية ٧ •
(٤) سورة القصص ، الآية ٦٦ •
(٥) البيت للمتنبي وهو مطلع قصيدة يمدح فيها سيف الدولة (ديوانه ج ٣ ص ٢٢١) • وينظر تعليق القزويني عليه في الايضاح ص ٦٤ •

المعنى لذي الحال كما تثبته لذي الخبر بالخبر[1] • وان كان الاخبار بالحال جارياً على وجه التبع للخبر الذي يفيده الحال بخلاف خبر المبتدأ والفعل المسند الى الفاعل ، فانه ليس بمشترط فيه تقدم واسطة بينهما •

الفن الثاني
في خبر المبتدأ

اعلم ان الخبر يكون معرفة ونكرة • ومعنى الاخبار بهما مختلف فاذا [٦٨] قلت : « زيد منطلق » كان كلامك مع من لم يعلم انطلاقاً من زيد ولا من غيره ، فانت تفيده ذلك • واذا قلت : « زيد المنطلق » كان كلامك مع من عرف وقوع انطلاق فانت تعرفه انه كان من زيد دون غيره • وهذه الفائدة مطلوبة الحصول للسامع كافادتك له معرفة حصول أصل تلك النسبة فانك اذا علمت انه قد كان انطلاق في موضع كذا في وقت كذا لغرض كذا ولم يعلم فاعله فانت تجوز حصوله لزيد ، وان يكون لغيره • فاذا قيل لك « زيد المنطلق » صار ما كان معلوما على وجه الوجوب • ثم اذا ارادوا تأكيد هذا الوجوب أدخلوا الضمير المسمى فصلا فقالوا : « زيد هو المنطلق » •

فـــرع :

يجوز اذا نكرت الخبر ان تأتي بمبتدأ ثان على أن تشركه بحرف عطف في المعنى الذى أخبرت به عن الاول كقولك : «زيد منطلق وعمرو» • ولو عرفت[2] الخبر لم يجز أن تقول : « زيد المنطلق وعمرو » ؛ لان المعنى مع التعريف وعلى ان تثبت انطلاقاً مخصوصاً كان من واحد ، فاذا اثبته لزيد لم يصح اثباته لعمرو • فان كان ذلك الانطلاق من اثنين فينبغي

---

(١) كذا في ش ، أما في الاصل ود : لذي الخبر •
(٢) كذا في الاصل ود ، أما في ش : ولو عرف •

ان يجمع بينهما في الخبر فتقول : « زيد وعمرو هما المنطلقان » ، لا أن تفرق فتثبته لزيد أولا ثم تثبته لعمرو .

اشـــارة :

الالف واللام في الخبر على معنى الجنس وتجيء على اربعة أقسام :

الاول [٦٩] : ان تقصد المبالغة في الخبر فتقصر جنس المعنى على المخبر عنه نحو : « زيد هو الجواد وعمرو هو الشجاع » تريد انه الكامل ، فهـذا لا يصح العطف عليـه للاشتراك فلا تقـول : « زيد هو الجواد وعمرو » .

الثاني : ان تقصره لا على وجه المبالغة ، بل على معنى انه لا يوجد الا منه وانما يكون ذلك اذا قيدت المعنى بشيء تخصصه وتجعله في حكم نوع برأسه كقولك : « هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيراً » ومنه قول الاعشى [من المتقارب] :

هو الواهِبُ المائةَ المصطفا ةَ ، إما مَخاضا وإما عشارا[١]

أي لا يهب هذه المائة الا الممدوح . وليست اللام في « الواهب » مثلها في « زيد هو المنطلق » ؛ لان القصد هنا الى جنس مخصوص من الهبة لا الى هبة مخصوصة بعينها . ويوضح ذلك ان الهبة قصده أن يجعلها مما تتكرر منه مرة بعد أخرى (بخلافها في المنطلق فانها اشارة الى انطلاق حصل أو يحصل مرة واحدة)[٢] .

الثالث : ان تقرره في جنس اتضح امره اتضاحاً لا ينكر ولا يخفى كقول الخنساء[٣] [من الوافر] :

اذا قَبُحَ البُكاءُ على قَتيل
رَأَيْت بكاك الحَسَنَ الجميلا[٤]

(١) ينظر ديوان الاعشى ص ٥١ والايضاح ص ٩٩ والطراز ج ٢ ص ٢٢ .
(٢) سقطت فى ش .
(٣) هى تماضر بنت عمرو بن الحارث أشهر شواعر العرب من أهل نجد . عاشت أكثر عمرها فى الجاهلية وأدركت الاسلام فاسلمت . توفيت سنة ٢٤هـ .
(٤) ينظر ديوانها ص ١٦٩ والطراز ج ٢ ص ٢٢ .

لم ترد ان ما عدا البكاء عليه ليس بحسن ولا جميل ، وانما ارادت انها تقره في جنس ما حسنه الحسن الباهر الذي لا ينكر • وعلى هـــذا قوله [من الطويل] :

أسودٌ إذا ما أبدتِ الحربُ نابَهـا
وفي سائِـرِ الدّهـرِ الليوثُ المواطرُ[1]

[٧٠] الرابع : أن تنحو به نحو التعريف لحقيقة عقلها المخاطب في ذهنه لا في الخارج أو تتوهم انه لم يعرفها فتقول[2] له : تصور كذا وكذا فاذا تصورته في نفسك فتأمل فلانا فانك تستملي منه ما تصورته في نفسك كاملاً ويأتيك به نصاً ، وذلك نحو قولك : « هو البطل المحامي » و « هو المبقى المرتجى » كانك قلت : « هل سمعت بالبطل المحامي أو عرفت مـا يستحق به الرجل هذه الصفة » • فان كنت عقلت ذلك فاعلم فانه فلان فاني قتلته خبراً فأشدد عليه يديك فانه ضالتك التي تنشدها ، فطريقه طريق قولك : « هل سمعت بالاسد (وهل)[3] تعرف ما هو ؟ فان كنت تعرفه فزيد هو بعينه » • ويظهر هذا المعنى اذا اتبعت الصفة المخبر بها موصوفاً كقول ابن الرومي[4] [من الطويل] :

هو الرجلُ المشـروكُ في جُلِّ ماله
ولـكنه بالمجـدِ والحمـدِ مفـردُ[5]

كأنه قال : فكر في رجل لا يتميز عن غيره في الاخذ والتصرف ، فاذا جعلت صورته في نفسك فاعلم انه ذلك الرجل • ويغلب على هذا الضرب في الاستعمال لفظ « الذي » كقوله[6] [من الطويل] :

---

(١) كذا فى الاصل ود وش ، اما فى الطراز ج ٢ ص ٢٣ : الغيوث المواطر •
(٢) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : لم •
(٣) سقطت فى ش •
(٤) هو على بن العباس بن جريج شاعر كبير من طبقة بشار والمتنبى • ولد ببغداد سنة ٢٢١هـ ونشأ بها ومات فيها مسموما سنة ٢٨٣هـ •
(٥) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : ولـكنه بالحمد والمجد مفرد ، وفى الطراز ج ٢ ص ٢٣ : ولـكنه بالحمد والمجد مرتدى •
(٦) كذا فى ش ، اما فى الاصل ود : كقولك •

أخوكَ الذي إنْ تَدْعُهُ لملمـــةٍ
يُجِبْكَ ، وإن تَغْضبْ الى السيف يَغضَبِ[1]

كأنه قال : المستحق لاسم (الاخوة)[2] التي تعلقتها من هذه صفته .

تنبيـــه :

لا يدهشنك[3] ما تلوته عليك من أحكام الخبر في نحو « زيد المنطلق » [71] فتقضي له بذلك تقدَّمَ أو تأخر[4] متمسكاً بقول أئمة العربية ان المبتدأ والخبر اذا كانا معرفتين كنت مخيراً في جعل ايهما شئت المبتدأ ، وتقول : أي فرق بين قولنا : « الخليفة عبدالملك » و « عبدالملك الخليفة » ، بل اذا قلت : « المنطلق زيد » فالمعنى على انك رأيت انسانا ينطلق بالبعد منك مثلا ولم تعرف أزيد هو أم عمرو فيقول لك صاحبك : « المنطلـــق زيد » . وقد ترى الرجل قائماً بين يديك وعليه ثوب ديباج والرجل ممن عرفته قديماً ثم تناسيته لبعد العهد فيقال لك : « اللابس الديباج صاحبك الذي تعرف من أمره كيت وكيت في العام الغابر » . وليس غرضك ان تتحقق لبسه الديباج إذ رؤيتك الديباج عليه تغنيك عن اخبار مخبر ، ومنه قول العرب « ليس الطيب إلا المسك » . ألا ترى أنك لو قلبت[5] طرفي الجملة فقلت : « ليس المسك الا الطيب » لاخل الغرض في نفي الطيب عن كل شيء غير المسك وتحصَّلَ معنى غير (ما)[6] كنت تقصده[7] من النظم الاول . ولا ينكر انه يعرض في بعض صور هذا الباب غموض الفرق كما في مسألة عبدالملك . وبالجملة انك اذا قلت « زيد أخوك » كنت مثبتاً بأخيك معنى لـ « زيد » ، ولو عكست صرت مثبتاً للاخ معنى بـ « زيد » . ومما

(1) ينظر الطراز ج ٢ ص ٢٤ .
(2) سقطت فى ش .
(3) كذا في الاصل ود ، اما فى ش : لا يدهشك .
(4) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : تقدما أو تأخرا .
(5) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : قلت .
(6) سقطت فى ش .
(7) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : تطلبه .

أتضح الامر فيه قولهم : « الحبيب انت » و « أنت الحبيب » ، فان معنى « الحبيب [٧٢] انت[١] » انه لا فصل بينك وبين من تحبه اذا صدقت المحبة ، وان المتحابين كنفسٍ واحدة كما قال بعض العلماء[٢] : « أنت الحبيب اِلا انه غيرك » ولو حاولت ان تفيد هذا المعنى بقولك : « أنت الحبيب » حاولت ما لا يصح وصار[٣] المعنى أنت الذي اختصه من بين الناس بالمحبة •

وقد يجيء ذلك مع اسم المفعول فيقال : « زيد هو المظلوم » على معنى ان كل ظلم[٤] بالنسبة الى ما أصابه عدل • فان قلت : فالحبيب « فعيل » بمعني « مفعول » فهلا قلت انه على هذا المعنى ؟ قلت : ليس (يعنون)[٥] انه لم يحب احدٌ أحداً محبتي لك واِن[٦] المحبات كلها باطلة بالنسبة الى محبتي ، وانما يعنون ان المحبة مني بجملتها[٧] مقصورة عليك فظهر انه ليس من باب « أنت الشجاع » في ارادة ان محبة غيري مضمحلة في جنب محبتي ولا من باب « زيد المنطلق » في ان محبته بعض من كل ، فانه لا يعمد الى محبة معينة كما عمد الى انطلاق معين في قوله : « أنت المنطلق » لمن عرف انطلاقاً واقعاً معيناً يجهل فاعله ، وان كان قد تعــرض معنى الجنسية في الانطلاق نحو « زيد المنطلق في حاجتك » (أي)[٨] الذي من شأنه ان يسعى في حاجتك •

اشــارة :

ليس بواجب أن يكون كل معرفة مبتدأ به مبتدأ بل ذلك أكثري يؤذنك بذلك قول أبي تمام [من الطويل] :

---

(١) كذا في الاصل ود ، أما في ش « الخبيث » في المواضع الثلاثة •
(٢) كذا في الاصل ود ، اما في ش : الحكماء •
(٣) كذا في الاصل ود ، اما في ش : وكان •
(٤) كذا في الاصل ود ، أما في ش : ظالم •
(٥) سقطت في ش •
(٦) كذا في الاصل ود ، اما في ش : وانما •
(٧) كذا في الاصل ود ، أما في ش : تحملتها •
(٨) سقطت في ش •

لُعابُ الافاعي القاتلات لعابُهُ
وأَرْيُ الجنى اشتارته أيدٍ عواسلُ[1]

[٧٣] فلو جعلت « لعاب الافاعي » مبتدأ أفسدت كلامه ، اذ كان غرضه أن يشبه مداد قلمه بلعاب الأفاعي على معنى انه اذا كتب في اقامة السياسات أتلف به النفوس وان يشبهه أيضاً بـ « أري الجنى » على (معنى)[2] انه اذا كتب في العطايا والصلات أوصل به الى النفوس ما تحلو مذاقته عندها وأدخل السرور واللذة عليها ، وانما يحصل هذا المعنى اذا قضى بان « لعابه » مبتدأ و « لعاب الافاعي » الخبر والقضاء بالعكس يوجب أن يكون مراده تشبيه « لعاب الافاعي » بالمداد وتشبيه « الاري » به . وليس قوله « لعاب الافاعي القاتلات لعابه » سبيل قوله « عتابك السيف » على معنى انه ليس يشبه[3] عتابه بالسيف ، ولكن على معنى ان يجعل السيف بدلا من العتاب . ولذلك يصح « مداد قلمه قاتل كسم الافاعي » ، ولا يصح « عتابك كالسيف » اللهم الا ان تخرج الى باب آخر ليس هو الغرض من هذا الكلام وهو ان يزعم انهقد عاتب عتابا خشناً مؤلماً . ثم اذا قلت : « السيف عتابك » كان الغرض ان عتابك قد بلغ في ايلامه[4] وشدة تأثيره مبلغاً صار به كالسيف لكنه ليس بسيف .

اشـــارة :

مذهب اللام للجنس في الاسم خبراً غير مذهبها فيه مبتدأ ، فاذا قلت : « الشجاع موقى والجبان ملقى » فانت تثبت ذلك لكل ذات صفتها الشجاعة والجبن ويعم الحكم كل فرد منهم لاشتماله على [٧٤] الحقيقة المحكوم عليها

---

(١) كذا فى الاصل ود والايضاح ص ٧٨ ، اما فى ش : مداد . ارى : عسل . الجنى : ما يجنى من تمر أو ذهب أو عسل أو نحوها . اشتارته : جمعته وجنته . عواسل : جمع عاسلة والعاسل والعسال ــ بتشديد السين ــ من يشتار العسل ويجنيه . والشاعر يصف فى هذا البيت قلم ممدوحه .

(٢) سقطت فى ش .

(٣) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : شبه .

(٤) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : قد بلغ ايلامه .

بذلك ، وليس هو دالا على التعدد كدلالة لفظ « الشجعان » كما ظنه كثير . وأما قولك : « أنت الشجاع » فلا معنى فيه للاستغراق ، بل أنت تعمد باللام فيه الى معنى المصدر المشتق منه الصفة وتوجهها اليه لا على قصد ان الشجاعات الكثيرة مستجمعة في المذكور بل على معنى انك تعرف (معنى)[1] الشجاعة وكيف ينبغي ان يكون الانسان في اقدامه حتى تعلم انه شجاع على الكمال وانك استقريت الناس فلم تجد في واحد حقيقة ما عرفته حتى صرت الى المذكور فوجدته مشتملاً على شرائطها وراسخاً في سخفها .

وهم وتنبيه :

قد يظن ظان ان قولك : « أنت الشجاع » بمنزلة « انت الخلق كلهم » و « أنت الناس » و « أنت العالم » من جهة ان لام الجنس تقتضي استغراق المفردات ويذهل عن ان الغرض من قوله : « أنت الخلق كلهم » أنه[2] جمع المعاني الشريفة المتفرقة في الناس من غير أن يتجرد عنها الناس ، بل المعنى انك تدعي له أمثالا كقولك : « هو معدود بألف رجل » تريد انه يعطيك من الشجاعة ما لا تجد مقداره الا في ألف رجل من الرجال ، وان الغرض من نحو : « أنت الشجاع » انك تدعي انه قد انفرد بحقيقة الشجاعة وانه قد أوتي فيها خاصية[3] لم يؤتها أحد حتى صار ما كان يعده الناس شجاعة غير شجاعة . وكل قوة عرفت في الحرب [٧٥] ضعفاً . ومنه[4] قولهم : « جاد حتى بخّل كل جواد » ، كما قال [من الوافر] :

وانكَ لا تجودُ على جَوادٍ ... هباتك أن تلَقَّبَ بالجوادِ

(١) سقطت في ش .
(٢) كذا في الاصل ود ، أما في ش : ان .
(٣) كذا في الاصل ود ، أما في ش : خاصة .
(٤) كذا في الاصل ود ، أما في ش : ومنهم .

وكقوله [من البسيط] :

أَعطيتَ حتى تركْتَ الريحَ حاسرةً
وجُدْتَ حتى كأنَّ الغيثَ لم يَجُدِ[1]

تذنيب :

اذا اوقعت « الذي » خبراً فلابد ان تكون صلتها معلومة للسامع كقولك : « هذا الذي قدم من البصرة » لمن عرف ذلك ، فان قلت : فقد تقول هذا الذي إن أعطي شكر وإن مُنع صبر ، لمن لا يعرف ذلك منه ، قلت : هو اما ان يكون عالماً بذلك على الجملة واما ان تنزله (منزلة)[2] من علمه ومن لا يخفى عليه ذلك ، ومرادك أن تكون الصفة قد ثبتت له ثبوتاً لا تجتذبه[3] أيدي النزاع ، وان الحكم في ثباته منبرم لا يتوهم نقضه ، ولست مخبراً له بالصلة ، فان كل عاقل يقطع بالفرق بين قولك : « هذا الذي قدم رسولاً من الحضرة » وبين قولك « هذا قدم رسولاً من الحضرة » ، اذ انت في الاول مخبر بأمر قد علمه المخاطب على الجملة ، وفي الثاني مخبر بأمر لم يعلمه السامع أصلاً .

الفن الثالث
في تقديم بعض الاسماء على بعض

اعلم ان هذا الفن من أهمل ضبطه فقد بعد عن التحقيق شأوه وضعف عن ادراك المعنى الدقيق رأيه وأغفل أصلاً عظيماً من علم البيان وجهل جملاً من آي القرآن . والمثال في ذلك قوله تعالى : « وجعلوا لله [٧٦]

---

(١) كذا فى الاصل ود والطراز ج ٢ ص ٢٢ ، اما فى ش : لم يكن .
(٢) سقطت فى ش .
(٣) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : تجدنه .

شركاءَ الجنَّ[1] » (فانك)[2] تجد لتقديم الشركاء حسناً لا تجده اذا قلت : « وجعلوا الجن شركاء لله » وذلك (أن)[3] تقديم « الشركاء » يفيد انه ما كان ينبغي [أَنْ] يكون لله تعالى شريك لا من الجن ولا من غيرهم بخلاف ما اذا تأخر لفظ « الشركاء » . وليس بخاف ان « الله » في موضع المفعول الثاني لـ « جعل » و « شركاء » مفعول أول وتكون « الجن » في كلام ثان مقدر كأنه قيل : فمن جعلوا شركاء ؟ قيل : الجن . وهذا يوجب ان يكون الانكار وقع على جعلهم لله شركاء على الاطلاق ، فتدخل شركة غير الجن في الانكار دخول اتخاذه من الجن ؛ لان الصفة اذا تركت مجردة عن الموصوف كان الذي تعلق بها من النفي عاما في كل ما يجوز ان تكون له الصفة . فاذا قلت : « ما في الدار كريم » كنت قد نفيت الكينونة في الدار عن كل من يكون الكرم صفة له ، وحكم الانكار أبداً حكم النفي . واذا أخر فقيل : « وجعلوا الجن شركاء لله » كان « الجن » مفعولا أولا و « الشركاء » مفعولا ثانياً وحينئذ تكون الشركة مخصوصة غير مطلقة ؛ لانه جرى على « الجن » فزال اطلاقه ، واذ ذاك يجوز ان يكون الانكار توجه الى جعل المشاركة للجن خاصة ، وهذا من أسرار النظم . وهذه الآية تنبهك على كثير من المقاصد ان أخذت الفطنة بيديك .

الفن الرابع
في المجاز الاسنادي

هذا الفن داخل على النسبة [٧٧] لا على ذوات الكلم المفردة ، ومثاله (قولك)[4] « نهارك صائم وليلك قائم » و « نام ليلي وتجلى همي » . فالتجوز في « صائم » و « قائم » ليس من جهة دلالته الافرادية ولكن من

(١) سورة الانعام ، الآية ١٠٠ .
(٢) سقطت فى ش .
(٣) سقطت فى ش .
(٤) سقطت فى ش .

جهة اجرائهما(١) خبرين على النهار والليل . ومنه قول المتنبي رحمه الله [من الوافر] :

بَدَتْ قمراً ومالت خُوط بان
وفاحَتْ عَنْبَراً ورَنَتْ غَزالا(٢)

ليس فيه مجاز في المفردات وليس على حذف مضاف تقديره « مثل قمر » بل جعلها عين القمر . وهذا أبلغ وأقعد في المعنى ، ومن صار الى ذلك فقد عزل البلاغة عن سلطانها . وهذا النوع في الصناعة الشعرية التدبيج . ونظيره في المجاز الاسنادي قول الخنساء [من البسيط] .

ترتع ما رَتَعَتْ حتى اذا ادّكَرَتْ
فانما هي اقْبالٌ وادْبارُ(٣)

وذلك انها اخبرت بالاقبال والادبار عما كثر منه ذلك ، وكأن الناقة بجملتها اقبال وادبار حتى كأنها(٤) قد تجسمت منها . ومما اجتمع فيه المجاز الافرادي والاسنادي قول لبيد [من الكامل] :

وغداة ريحٍ قد كشفت وقرة   اذا أصبحت بيد الشمالِ زمامُها(٥)

فانه ليس هناك شيء يزعم انه شبيه باليد حتى تكون اليد مستعاراً له ولكنه تخييل ووهم في وجود ما استعير له ذلك . وليس ثم شيء (يصح)(٦) ان يكون فيه شبه بالزمام واطلق عليه اسمه . والمعنى [٨٧] على انه شبه الشمال في تصرفها الغداة على طبيعتها بزمام بعير في يده فهو يصرفه على ارادته ، ولما أراد ذلك جعل للشمال يداً وعلى الغداة زماما . ونحوه في الاستعارة قوله [من الرجز] :

تسقيك كف الليل أكؤس الكرى

---

(١) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : اجزائها جزئين .

(٢) ينظر ديوان المتنبى ج ٣ ص ٢٢٤ . الخوط : القضيب . وقد ذكره القزوينى فى التشبيه المقرون وفى الجمع مع التقسيم والتفريق (الايضاح ص ٢٤٨ ، ٣٦١) .

(٣) كذا فى الاصل ود وديوان الخنساء ص ٦٩ ، أما فى ش : ذكرت .

(٤) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : وكأنها .

(٥) البيت من معلقة لبيد . ينظر شرح المعلقات السبع ص ١٤١ والايضاح ص ٣٠٩ .

(٦) سقطت فى ش .

كأنه لما قيل : سكر النوم كسكر المدام استعار للكرى الأكؤس ولم يرد ان يشبه شيئاً بالكف ، لكنه لما جعله[1] ساقياً جعل له كفاً ، وهذا النوع يسمى ترشيح الاستعارة ونحوه في استعارة الكأس قوله [من البسيط] :

وقد سقى القومَ كأْسَ النعسةِ السَّهَرُ

والفرق بين هذا وبين قوله : « بدت قمراً » أنك لو أردت التصريح بأداة التشبيه فقلت : « بدت مثل القمر » لأمكن • ولو قلت في هذا شيئا مثل اليد للشمال يمسك شيئا مثل الزمام للريح لوجدته من القباحة بمقام • ومن أعرض عن هذا النوع وقع في لجة بحر لا ساحل له اذا تلي عليه « ولِتُصْنَعَ على عيني »[2] و « تجري باعيننا »[3] •

ومن لطيف الاستعارة انه لا يذكر المستعار ولكن يومى اليه بشيء من توابعه نحو قولك : « فلان شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس » ، فقد رمزت الى انه أسد وبحر ، وهذا أبلغ من الاستعارة المجردة[4] •

الفن الخامس
في التمثيل

هذا ركن من أركان البلاغة لاخراجه الخفي الى الجلي وادنائه [٧٩] البعيد من القريب ، وذلك كتشبيهك ما أستدار بالحلقة والكرة ، وما أسودّ بالليل وما بعد بلمح البصر • وقد يكون في الصورة واللون معاً

(١) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : ولكن لما جعله •
(٣) سورة طه ، الآية ٣٩ •
(٣) سورة القمر ، الآية ١٤ •
(٤) كان عبدالقاهر الجرجانى أول من توسع فى بحث المجاز العقلى وتبعه السكاكى ولكنه انكره ورأى انه استعارة بالكناية ولكن الخطيب القزوينى لم ينكره وبحثه فى علم المعانى لان الاسناد – عنده – منه حقيقة عقلية ومنه مجاز عقلى • (ينظر تفصيل ذلك فى كتاب دلائل الاعجاز ص ٢٢٧ وما بعدها ومفتاح العلوم ص ١٨٥ وما بعدها والايضاح ص ٢١ وما بعدها) •

كتشبيه النرجس بمداهن در حشوهن عقيق[1] . ومنه قوله [من المنسرح] :

كانما النارُ في تلهُبها والفحمُ من فوقها يُغطيها
زنجيةٌ شبكَتْ أناملَها من فوقِ نارنجةٍ لتُخفيها[2]

وليس هذا من باب المجاز ، اذ لم يذكر شيئا الا وقد دل على مدلوله الحقيقي ولم يقع تجوز في اسناد .

ومن فوائده انه ينقلك من شيء تعرفه الى شيء أنت به أعرف ، وشاهد ذلك ما تجده في قول البحتري [من الكامل] :

دانٍ على أيدي العُفاةِ وشاسعٌ
عن كل نِدٍّ في النَّدى وضريبِ

كالبدرِ أَفْرَطَ في العلوِ وضوءُه
للعُصْبةِ السارينَ جِدُّ قريب[3]

فأنظر هل تجد في البيت الأول ما تجده في الثاني من الجمال وفي معناه [من الوافر] :

دَنَوْتَ تواضُعاً وعَلَوْتَ قَدْراً
فشأناك انخفاضٌ وارتفاعُ

كذاك الشَّمْسُ تَبْعدُ أن تدانى
ويدنو الضوءُ منها والشُّعاعُ[4]

---

(١) قال ابن المعتز (أسرار البلاغة ص ١٠٨) :
كأن عيون النرجس الغض حولها مداهن در حشوهن عقيق
(٢) ينظر الطراز ج ١ ص ٢٨٩ .
(٣) ينظر ديوان البحترى ج ١ ص ٢٠٢ ، والايضاح ص ٢١٤ .
العفاة : جمع العافى وهو الضعيف أو طالب الفضل أو طالب الرزق . شاسع : بعيد .
الند : النظير .
(٤) كذا فى الاصل ود وش ، اما فى الطراز ج ١ ص ٢٨٩ : تبعد ان تسامى . وفى ديوان البحترى ج ١ ص ٢٥٩ :
دنوت تواضعا وبعدت قدرا فشأناك انحدار وارتفاع
كذاك الشمس تبعد ان تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع

الفن السادس
في الايجاز

ويسمى الاشارة ، وهو اثبات المعاني المتكثرة باللفظ القليل نحو قوله تعالى : « فأصْدَعْ بما تُؤْمَرُ »(1) فانها جمعت معنى الرسالة • وكقوله تعالى • [80] « خُذِ العَفْوَ وامر بالعُرْفِ وأَعْرِضْ عن الجاهلينَ »(2) جمعت هذه الآية مكارم الاخلاق • واللائق بفن الايجاز في التصنيف الايجاز أيضا •

الفن السابع
التوكيد

وهو تقرير معنى لفظ سابق • وهو ضربان : ضرب يبوب له في علم النحو فليطلب منه • والضرب الثاني : كل لفظ تابع للفظ قبله يغايره لفظا ويطابقه معنى لتقرير ما سبق (وليس بتابع)(3) له في الاعراب •

ويجيء تارة ببرهان كقول قابوس(4) [من البسيط] :

قل للذي بصروف الدهر عيَّرنا
هل عاندَ الدهرَّ الا من له خطرُ(5)
أما ترى البَحْرَ يعلو فَوقَه جيَفٌ
وتستقرُ بأقصى قَعْرِهِ الدُّرَرُ

(1) سورة الحجر ، الآية ٩٤ •
(2) سورة الاعراف ، الآية ١٩٩ •
(3) سقطت فى ش •
(4) هو قابوس بن وشمكير أمير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان وليها سنة ٣٦٦هـ وأخرجه منها عضدالدولة البويهى سنة ٣٧١هـ ثم استعادها قابوس سنة ٣٨٨هـ وهو ديلمى الاصل مستعرب نابغة فى الادب والانشاء جمعت رسائله فى كتاب سمى « كمال البلاغة » • له شعر جيد بالعربية والفارسية • توفى سنة ٤٠٣هـ • وقد نسب العلوى الابيات الى أبى نواس • (ينظر الطراز ج ٢ ص ١٨٦) •
(5) كذا فى الاصل ود ، أما فى وفيات الاعيان ج ٣ ص ٢٤٣ ويتيمة الدهر ج ٣ ص ٦١ : هل حارب الدهر •

[فان تكــن عَبَثَتْ أيدي الزمــانِ بنا
ومَسَّنا من تمادي بؤسِه ضَرَرُ](١)

ففي السماءِ نجــومٌ ما لها عــدد
وليس يُكْسَفُ الا الشمسُ والقمرُ(٢)

وتارة بعزيمة كقوله تعالى : « فلا أُقْسِمُ بمواقعِ النجومِ • وانّه لقَسَمٌ لو تَعْلمون عَظيم »(٣) •

ويجيء بغير ذلك أيضا كقوله [من الطويل] :

وأقبــح من قــرد وأبخــل بالقــرى
من الـكلب أمسى وهو غرثانُ أَعْجَفُ

وكقوله [من الـكامل] :

فدعَــوْا نَزالِ فكنت أوّلَ نازلٍ
وعلامَ أَرْكَبُه اذا لـم أَنْزِلِ(٤)

ومنه ما يجيء استثناء(٥) نحو قوله [من الطويل] :

ولا عيبَ فيهـم غـير أنّ سيوفهـم بهِنّ فلول من قراعِ الـكتائبِ(٦)

ويعتنق بعنق(٧) هذا الفن ضرب يقال لـه الزيادة • والغرض به [٨١] تتميم المعنى كقول طرفة : [من الـكامل] :

فسقى ديارَكِ ــ غيرَ مُفْسِدِها ــ صَوْبُ الربيع ودِيمة تهمي(٨)

(١) الزيادة من يتيمة الدهر ج ٣ ص ٦١ ووفيات الاعيان ج ٣ ص ٢٤٣ •
(٢) كذا فى الاصل ود ويتيمة الدهر ، اما فى ش ووفيات الاعيان : لا عداد لها ، وفى الطراز ج ٢ ص ١٨٦ : لا عديد لها •
(٣) سورة الواقعة ، الآيتان ٧٥ و٧٦ •
(٤) ينظر الطراز ج ٢ ص ١٨٧ •
(٥) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : باستثناء •
(٦) البيت للنابغة الذبيانى ينظر ديوانه ص ١٥ • القراع : المجالدة وفى البيت تأكيد للمدح بما يشبه الذم •
(٧) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : لعنق •
(٨) ينظـر ديوانه ص ١٤٦ وسر الفصـاحة ص ٣٢٢ والايضاح ص ٢٠٣ وقـد نسبه أسامة بن منقذ الى عدى بن الرقاع • ينظر البديع فى نقد الشعر (باب الاحتراس) ص ٥٦ •

فقوله « غير مفسدها » زيادة جعلت[1] المعنى من الحسن بمنزل ، وما ألطف قوله [من الخفيف] :

لو رأينا التأكيدَ خطةَ خَسْفٍ   ما شَفَعْنا الآذانَ بالتثويبِ

الفن الثامن
في الحذف

عساك ان تقول : الحذف مخل بفائدة المحذوف وتغفل عن أسرار الرمز على الكنز ورب صمت أفصح من فصيح الكلام وغمر تقصر عنه أنياب السهام وحد الحسام ، وكم من اشارة هي قلادة الجيد وكناية هي قاعدة التجويد . فان اعتراك ريب فعليك ببيتي الحماسة [من مجزوء الكامل] :

وعلمت اني يوم ذاك منازل كَعْباً ونهدا
قوم اذا لبسوا الحديد تنمروا حلقاً وقدّا[2]

وبقول جميل[3] [من البسيط] :

فهل بثينةُ يا لَلناسِ قاضيتي   ديني وفاعِلة خيراً فأجزيها
ترمي بعيني مهاةٍ أقصدت بهما   قلبي عشية ترميني وأرميها
هيفاءُ مقبلةٌ ، عجزاءُ مدبرةٌ   ريّا العظام ، بلا عيب يُرى فيها
من الأوانس مكسالٌ مبتلةٌ   خَوْدٌ غذاها بلين العيش غاذيها[4]

فانظر الى ما التحقت عليه هذه الابيات من الحذف ، وامعن النظر [٨٢] فتعلم علم[5] اليقين ان المحذوف لو ظهر الى اللفظ لرأيت منكرا

(١) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : أحلت .
(٢) البيتان لعمرو بن معديكرب وهو من فرسان العرب المشهورين بالبأس فى الجاهلية وقد ادرك الاسلام . (ينظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ق ١ ص ٧٦) .
(٣) جميل بثينة شاعر من عشاق العرب افتتن ببثينة فتناقل الناس اخبارهما . شعره يذوب رقة واكثره فى النسيب والغزل والفخر . توفى سنة ٨٢هـ .
(٤) لم نعثر غلى الابيات فى ديوان جميل بثينة المطبوع فى بيروت .
(٥) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : عين .

من القول وزورا ، وأنظر الى قول عبدالله بن الزبير[١] رضي الله عنه يذكر غريماً له قد ألح عليه [من الطويل] :

عرضت على زيد ليأخذ بعض ما يحاوله قبل اعتراض الشواغل
فدب دبيب النمل يألم ظهره وقال : تعلم انني غير فاعل
تثاءب حتى قلت داسع نفسه وأخرج أنياباً له كالمعاول[٢]

التقدير : حتى قلت هو داسع نفسه يعني حسبته من شدة التثاؤب ومما به من الجهد يقذف نفسه ويخرجها من صدره كما يدسع البعير جرته . فاذا حققت الكلام وجدته يروم منك ويستشفع اليك ان تباعد عن وهمك المحذوف وتتوقاه توقي الشيء المستكره[٣] المخشي هجومه .

تنبيه :

ليس الحسن الذي ابديته من خواص حذف المبتدأ بل ذلك سبيله في كل محذوف من اسم أو فعل كقوله تعالى : « ولكنّ البرّ مَنِ اتّقى »[٤] وقوله تعالى : « ولو أنّ قرآناً سُيّرت به الجبالُ أو قُطِّعت به الأرضُ أو كُلّم به الموتى[٥] » . المعنى لكان هذا القرآن ، وهذا طريق أفيح .

---

(١) هو فارس قريش فى زمنه وأول مولود فى المدينة بعد الهجرة . شهد فتح افريقية زمن عثمان (رض) وبويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ عقيب موت يزيد بن معاوية فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق واكثر الشام وجعل قاعدة ملكه المدينة . قتل بمكة سنة ٧٣هـ .

(٢) دسع : قاء ملء فمه . وبعير دسيع : كثير الاجترار والمدسع : مجرى الطعام فى الحلق .

(٣) كذا فى ش ، اما فى الاصل ود : المستنكر .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٨٩ .

(٥) سورة الرعد ، الآية ٣١ .

الفن التاسع
في المنصوبات

وفيه أربعة فصول :

الفصل الاول في المفعول به :

لما كان حال الفعل مع المفعول [٨٣] كحاله مع الفاعل من حيث ان الفعل ملتبس به كما هو ملتبس بالفاعل ولم يكن غرضهم الاخبار بوقوع الفعل فقط ، والا لقيل حصل ضرب أو وقع ضرب أو كان أو نحو ذلك مما يدل على وجود فعل مجرد عن منسوب اليه كانت أغراض الناس مختلفة في ذكر الأفعال المتعدية فتراهم تارة يقصدون اثبات المعاني التي دلّت عليها المصادر للفاعلين[١] مع قطع النظر عن المفعولات فيصير الفعل المتعدي كاللازم . فمنه قولهم : « فلان يعطي ويمنع ويصل ويقطع ويحل ويعقد » كانه قيل : صار اليه الحل والعقد . ومنه قوله تعالى : « قُلْ هل يستوي الذين يَعْلَمون والذين لا يَعْلَمون »[٢] . المعنى هل يستوي من له علم ومن لا علم له . وقوله تعالى : « وهو الذي يُحيي ويُميت »[٣] وقوله تعالى : « وانه هو أغنى وأقنى »[٤] ، « وانه هو أضحك وأبكى »[٥] . **المعنى : هو الذي منه الاحياء والاماتة والاغناء والاقناء والاضحاك والابكاء .** وكذا كل موضع كان الغرض اثبات المعنى الذي دل عليه الفعل لفاعل غير متعلق بغيره .

---

(١) كذا في الاصل ود ، أما في ش : المضاد وللفاعلين .
(٢) سورة الزمر ، الآية ٩ .
(٣) سورة المؤمنون ، الآية ٨٠ .
(٤) سورة النجم ، الآية ٤٨ .
(٥) سورة النجم ، الآية ٤٣ .

تنبيـــه :

لا يستفزنك خيال فتعتقد ان المفعول لا يحذف الا على هذا الوجه بل قد يحذف لفظا ويراد معنى ويدل عليه قرينة مقال أو حال ، وينقسم الى جلي وخفي . فمنه ان تذكر الاسم وفي نفسك مفعول محذوف قد علم مكانه الا انك تنسيه نفسك وتوهم انك لم تذكر ذلك [٨٤] الفعل الا لتثبت نفس معناه من غير ان تعديه الى شيء وتخيل الى نفسك انك غير عالم بمفعوله ، ومثاله قول البحتري يمدح المعتز[١] ويعرض بالمستعين[٢] [من الخفيف] :

شـــجوُ حُسّاده وغيـــظُ عِـــداه
أَن يرى مُبْصِـرٌ ويسمَعَ واعٍ[٣]

المعنى : ان يرى مبصر محاسنه ويسمع واعٍ اخباره واوصافه . يقول ان محاسن[٤] المعتز وفضائله يكفي فيها ان يقع عليها بصر ويعيها سمع فيعلم انه مستحق للخلافة حتى ان حساده يتمنون ألا يكون في الدنيا مبصر ولا سامع يعي كي يخفى استحقاقه لشرف الأمارة ليجـدوا بذلك سبيلا الى منازعته اياها . وقد يكون معك مفعول معلوم ان ليس للفعل مفعول سواه لـكي تطرحه وتتناساه ليتوفر الغرض على اثبات الفعل للفاعل كما في قول عمرو [من الطويل] :

فلـــو ان قـــومي أنطقتني رماحهم
نَطَقْتُ ، ولـكنّ الرماح أجَرَّتِ[٥]

(١) هو محمد بن جعفر خليفة عباسي ولد فى سامراء سنة ٢٣٢هـ وعقد له أبوه البيعة بولاية العهد سنة ٢٣٥هـ . بويع الخلافة سنة ٢٥١هـ وتوفى سنة ٢٥٥هـ .

(٢) هو أحمد بن محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد من خلفاء الدولة العباسية . ولد بسامراء سنة ٢١٩هـ وكانت اقامته فيها ، وبويع بها بعد وفاة المنتصر بن المتوكل سنة ٢٤٨هـ ومات سنة ٢٥٢هـ .

(٣) ينظر ديوان البحترى ج ١ ص ١٥١ والايضاح ص ١٠٤ .

(٤) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : مجلس .

(٥) البيت لعمرو بن معديكرب الزبيدى اليمنى شاعر مخضرم . أصل الاجرار ان يشق لسان الفصيل لـكى لا يرضع ، ويستعمل فى شق اللسان مطلقا لينتقل منه الى لازمه وهو المنع من الـكلام ، والرماح لا تنطق ولـكنها فاعل سببى للنطق بالفخر اذا هى أبلت فى المعارك بلاء حسنا . ينظر الايضاح ص ١٠٤ .

مفعوله متعين أن يكون ضمير النفس تقديره : اجرتني ، ولا يجوز أن يكون غير ضمير المتكلم لقوله : « أنطقتني » فكيف يلائمه « أجرت غيري » • ومعنى أجرت حبست الألسن عن النطق ولو صرّح فقال : « أجرتني » لجاز أن يتوهم ان للرماح اجراراً بل انها اجرته فانه قد يذكر الفعل والمراد منه المفعول مثل ان تقول : « أضربت زيداً ؟ » [٨٥] وانت لا تنكر انه كان من المخاطب ضرب وانما تنكر ان يكون قد وقع منه ضرب على « زيد » وانه يستجير ذلك ويستطيعه ، فلما كان في تعدية « أجرت » ما يوهم ذلك وقف عن التعدية لتخلص العناية لاثبات الاجرار للرماح • ونظيره قول جرير[١] [من الوافر] :

أمنيت المنى وخلبت حتى تركت ضميرَ قلبي مُستهاما[٢]

غرضه ان يثبت انه كان منها تمنية وخلابة وان يقول هكذا تصنعين وهذه جبلتك في فتنة الناس • ثم أفاد حذف مفعول « أجرت » فائدة أخرى وهو التنبيه على أنهم قعدوا عن القتال قعوداً لا يتفق لقوم إلاّ خرس شاعرهم • وان أردت ان تزداد تبيانا في لزوم حذف المفعول تحصيلاً لهذا الغرض فالمح قوله تعالى : « ولما وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عليه أُمَّةً من الناسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ من دونهم امرأتين تذودان ، قال : ما خَطْبُكما ؟ قالتا : لا نَسْقي حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وأبونا شَيْخٌ كبيرٌ • فسقى لهما ثم تولّى الى الظلِ فقال : رَبِّ اني لما أَنْزَلْتَ اليَّ من خيرٍ فقير »[٣] • فقد حذف المفعول في أربعة مواضع اذ المعنى : وجد عليه أمةً من الناس يسقون أغنامهم ومواشيهم وامرأتين تذودان غنمهما[٤] وقالتا : لا نسقي غنمنا فسقي لهما غنمهما •• وانما حذف لان المقصود ان

---

(١) هو جرير بن عطية الخطفى أشعر أهل عصره • ولد باليمامة سنة ٢٨هـ ومات فيها سنة ١١٠هـ • عاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم • وهو من أغزل شعراء عصره شعرا •

(٢) ينظر ديوان جرير ص ٥٠٣ •

(٣) سورة القصص ، الآيتان ٢٣ و٢٤ •

(٤) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : عنهما •

يعلم إنه كان من الناس في [٨٦] تلك الحال سقي ومن المرأتين ذود وانهما قالتا : لا يكون منا سقي حتى يُصدر الرعاء وانه كان من موسى عليه السلام بعد ذلك سقي ، فاما ان المسقي بعد ذلك غنم أو ابل أو غير ذلك فخارج عن المقصود • كيف وانه لو قيل : تذودان عنهما لجاز ان يكون الانكار لم يتوجه من موسى عليه السلام على الذود من حيث هو ذود بل من حيث هو ذود غنم حتى لو كان ذود ابل لم ينكر كما تقول : « أتمنع أخاك ؟ » فانت لم تنكر المنع من حيث هو منع ، بل من حيث هو منع للأخ • فقد بان لك (ان)[1] حذف المفعول المحصل لهذا الجنس والروعة لا يشاركه اثباته وذكره •

الفصل الثاني في تنازع الفعلين :

كأني بك[2] تظن في قول القائل : « أكرمني وأكرمت عبدالله » انه ليس فيه أكثر من حذف فاعل الفعل الاول لفظاً وهو اذا حققت (فن)[3] دقيق الصنعة وجليل الفائدة التي لا تكون الا في كلام الفحول كقول البحتري [من الكامل] :

لو شِئْتَ لم تُفْسِدْ سماحةَ حاتمٍ
كرماً ولم تَهْدِمْ مآثر خالدِ[4]

والأصل : لو شئت ان تفسد سماحة حاتم لم تفسدها • لكن لو صرت الى ذلك صرت الى كلام غث • وسره ان في البيان بعد الابهام الذي يحصل في النفس دَغْدَغةً نبلاً لا يكون اذا لم يتقدم محرك •

تنبيـــه :

كثيراً ما تجيء المشيئة بعد حرف الشرط غير معداةٍ [٨٧] الى شيء

---

(١) سقطت فى ش •
(٢) كذا فى ش ، اما فى الاصل ود : فانى •
(٣) سقطت فى ش •
(٤) ينظر ديوان البحترى ج ٢ ص ٧٥ •

كقوله تعالى : « ولو شاءَ اللّهُ لجمعهم على الهُدى »[1]، وقوله تعالى : (فلو شاءَ لهداكم أجمعين »[2] . والتقدير : ولو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم ولو شاء الله أن يهديكم أجمعين لهداكم . وقد يعرض[3] أن يكون اظهار المفعول أحسن كقوله [من الطويل] :

ولو شئت أَنْ أَبكي دماً لبكيته
عليه ولكن ساحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ[4]

ولو حذف لقال : لو شئت لبكيت دما . والذي شدّ من عضد الاظهار انه من العجب ان يشاء الانسان ان يبكي دما . فمن ثم كان ذكره أولى لتحققه في نفس السامع ، وهكذا متى كان مفعول المشيئة عظيماً أو غريباً كان الأحسن ان يذكر نحو : « لو شئت أن ألقي الخليفة كل يوم لقيته » ، وسر ذلك[5] ان السامع منكر لذلك أو كالمنكر . فانت تقصد الى اثباته عنده ، فان لم يكن منكراً فالحذف نحو : « لو شئت قمت » ، وفي التنزيل : « لو نشاءُ لقلنا مثْلَ هذا »[6] .

وكذلك الحكم في غير « لو » من حروف المجازاة ، تقول : « ان شئت قلت وان أردت قعدت » . قال سبحانه : « فان يَشأ اللهُ يَختِمْ على قلبك »[7] ، وقال تعالى : « مَنْ يشأ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجعَلْهُ على صراط مستقيم »[8] . وأما قول الجوهري[9] [من الطويل] :

(1) سورة الانعام ، الآية ٣٥ .
(2) سورة الانعام ، الآية ١٤٩ .
(3) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : يتفق .
(4) البيت لابى يعقوب اسحاق بن حسان الخريمي ، شاعر عباسي من الموالي . والبيت من قصيدة يرثى بها أبا الهيذام عامر بن عمارة بن خريم أمير عرب الشام وقائد المضرية فى الفتنة بين القيسية واليمنية أيام الرشيد . ينظر الايضاح ص ١٠٦ .
(5) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : وسر ذكره .
(6) سورة الانفال ، الآية ٣١ .
(7) سورة الشورى ، الآية ٢٤ .
(8) سورة الانعام ، الآية ٣٩ .
(9) هو أبو الحسين علي بن أحمد الجوهرى أحد شعراء الصاحب بن عباد . ينظر الايضاح ص ١٠٦ .

فلم يُبْقِ فيّ الشوقُ غير تفكري
فلو شئت أن أبكي بكيت تفكرا

فمن وادي : « ولو شئت أن أبكي دماً لبكيته » حيث أظهر مفعول « شئت » [٨٨] ولم يقل : « فلو شئت بكيت تفكرا » ، اذ غرضه لا يتم الا بذكر المفعول كأنّه قال : قد أفناني النحول فلم يبق في ومني غير خواطر تجول حتى لو شئت بكاء والتزمته لخرج بدل الدمع التفكر . ومفعول « أبكي » الأول محذوف فصار الفعل بحذفه مطلقاً وليس هو معدى الى « التفكر » البتة ، والثاني معدى الى « التفكر » فلذلك جرى مجرى قولك : « لو شئت ان تعطي فلاناً درهماً اعطيته درهمين » . فان المفعول الثاني لا يصلح ان يكون تفسيراً للأول ..

ومما هو من النادر اللطيف في باب التنازع قول البحتري [من الخفيف] :

قد طلبنا فلم نَجِدْ لك في السؤ دَدِ والمجدِ والمكارِمِ مِثْلا[١]

المعنى : قد طلبنا لك مثلاً ولكنه حذف لدلالة الثاني عليه . فإن قلت : لو قيل « قد طلبنا لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلا فلم نجده » لكان مساوياً لمعنى البيت . قلت : لا اذ يفوت نفي ايقاع الوجود على صريح لفظ المثل ويصير واقعاً على ضميره ولن يبلغ الضمير العائد مبلغ المظهر . وان اعتراك شك في ذلك فعليك بقوله تعالى : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل »[٢] ، وبقوله سبحانه وتعالى : « قل هو الله أحد . الله الصمد »[٣] ، فان فيه من النبل ما لا يخفىُ على بصير يربو على قولك « وبالحق أنزلناه وبه نزل » و « قل هو الله أحد . هو الصمد » . ومن ثم وجب في بيت ذي الرمة أن تضع اللفظ على عكس ما وضعه البحتري [٨٩] فتعمل الأول من الفعلين ، وذلك قوله [من الوافر] :

---

(١) ينظر ديوان البحترى ج ١ ص ١٧٦ .
(٢) سورة الاسراء ، الآية ١٠٥ .
(٣) سورة الاخلاص ، الآيتان ١ و٢ .

ولم أمدح لأرضيه بشعري لئيماً ان يكون أصاب مالا

أعمل « لم أمدح » الذي هو الأول في صريح لفظ « اللئيم » ، وأعمل « أُرضي » في ضميره ؛ لان[1] ايقاع نفي المدح على اللئيم صريحاً أوجه فانه الغرض . وقوله « أُرضي » تعليل له ولو عكس فقال : « ولم أمدح لأُرضي بشعري لئيماً » لكان مبهماً للامر فيما هو الأصل ومبيناً فيما (ليس)[2] بالأصل .

الفصل الثالث في الحال :

قد وضح في علم الإعراب انقسامها الى المفرد والجملة ، وان الجملة الاسمية يصحبها[3] الواو ليس الا ما جاء من نحو قولهم : « كلمته فوه الى فيّ »[4] ، وكقوله [من البسيط] :

اذا أتيت أبا مروان تسأله وجدته حاضراه : الجودُ والكرمُ

فـ « وجدت » هنا ليست المتعدية الى مفعولين ، بل من باب « وجدت الضالة » كقولك : « أتيته فوجدته جالساً » . وكأن حسن تقديم الخبر وهو « حاضراه » أغنى عن الواو وحسّن من حذفها ، وأنشد أبو علي في الاغفال [من الطويل] :

ولولا جنانُ الليل ما آل عامرٌ الى جعفر سرباله لم يمزقِ[5]

فان[6] عرض للجملة الاسمية إن كان خبرها ظرفاً متقدما فانه يكثر ترك الواو كقولك : « جاءني في يده سيف » . ومنه قول بشار [من الطويل] :

اذا انكرتني بَلْدةٌ أو نكرتها
خَرَجْتُ مع البازي عليَّ سوادُ[7]

---

(١) كذا في الاصل ود ، أما في ش : كان .
(٢) سقطت في ش .
(٣) كذا في ش ، أما في الاصل ود : بعضها .
(٤) ينظر مفتاح العلوم ص ١٣٢ .
(٥) ينظر دلائل الاعجاز ص ١٥٨ ، ومفتاح العلوم ص ١٣٢ والايضاح ص ١٧٢ .
(٦) كذا في الاصل ود ، أما في ش : غرضه .
(٧) ينظر الايضاح ص ١٧٣ .

[٩٠] يعني : على بقية من الليل ، وقول الآخر [من الطويل] :

لقد صَبَرَتْ للذُّلِ أعوادُ مِنْبَرٍ
تقـوم عليهـا في يديك قضـيبُ[١]

وأما المضارع المثبت فبغير واو ، وجاء في (المنفي)[٢] الأمران • ومنه قول مسكين الدرامي[٣] [من الرمل] :

أَكْسَبَتْهُ الزُّرْقُ والبيضُ أباً ولقـد كـان ولا يُدعى لأبْ[٤]

وقال مالك بن رفيع وكان جنى جناية فطلبه مصعب بن الزبير[٥] [من الوافر] :

بغـاني مصعب وبنـو أبيـه فأين أحيـد منهم لا أحيـدُ
أقـادوا من دمي وتوعـدوني وكنت وما يُنهنهني الوعيدُ[٦]

« كان » في البيت تامة والتقدير : « ولقد وجد غير مدعو لأب » ، و « لقد وجدت غير منهنهٍ بالوعيد » • ولا معنى لجعلها ناقصة وجعل الواو زائدة • ومنه قولك : « جئت أمسِ وما أدري أين أضع رجلي » و « جعل يقول ولا يدري » •

---

(١) البيت لوائلة السدوسى يهجو عبدالملك بن المهلب • ينظر الايضاح ص ١٧٤ •

(٢) سقطت فى ش •

(٣) هو ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح الدارمى التميمى ، شاعر شجاع من أشراف تميمم توفى سنة ٨٩هـ •

(٤) ينظر دلائل الاعجاز ص ١٦٠ ومفتاح العلوم ص ١٣٢ • والايضاح ص ١٦٨ وفيها : اكسبته الورق البيض أبا •

(٥) هو أحد الولاة الابطال فى صدر الاسلام • ولد سنة ٢٦هـ ونشأ بين يدى أخيه عبدالله بن الزبير • قتل سنة ٧١هـ •

(٦) ينظر دلائل الاعجاز ص ١٦٠ والايضاح ص ١٦٨ •
جاء فى ذيل الامالى ص ١٢٨ :
وأنشدنا الزبير بن بكار لمالك بن أخى رفيع الاسدى قال : انشد فيها محمد بن أنس الاسدى ــ وكان صعلوكاً ــ فطلبه مصعب بن الزبير فهرب منه وقال :

بغـانى مصعب وبنو أبيـه فأين أحيد منهم لا أحيـد
أسود بالحجـاز على أسود خـوارد ما تنهنهـا الاسـود
أقادوا من دمى وتوعـدونى وكنت وما ينهنهنى الوعيـد
شقيت بهم على طول التنائى كما شقيت باجمرها ثمـود
عسى ابن الـكاهلية فى نداه يعـود بحلمه فيمـا يعود
فيـأمن خائف بهـم طريد ويأتى أهله النائى البعيـد

ومما جاء بغير واو قوله [من الطويل] :

مضوا لا يريدون الرواح وغالهم من الدهر أسباب مضين على قدر[١]

وقال أرطاة بن سُهَيَّة [من البسيط] :

انْ تلقني لا ترى (غيري)[٢] بناظرة
تَنْسَ السلاح وتعرفْ جبهة الاسدِ

فـ « لا ترى » في موضع الحال . ومنه قول أعشى همدان[٣] وصحب عباد بن ورقاء الى أصفهان فلم يحمده فقال [٩١] [من الوافر] :

أتينا أصفهان فهزلتنا وكنا قَبْلَ ذلكِ في نعيمِ[٤]
فكان سَفاهةً مني وجهلاً مَسيري لا أسيرُ الى حميم

فقوله : « لا أسير » حال من ياء المتكلم في « مسيري » وهي فاعل في المعنى . والتقدير : اني سرت غير متوجه أو ذاهب الى قريب .

وقال خالد بن يزيد بن معاوية رضى الله عنه[٥] [من الكامل] :

لو ان قوماً لارتفاعِ قبيلةٍ دخلوا السماء دخلتها لا أحجب[٦]

وهو كثير لكن لا يهتدي الى موضعه إلاّ من كان صحيح الطبع .

وأما الماضي لفظاً فلا يجيء الا مع « قد » ظاهرة أو مقدرة ، أما مجيئها لفظاً فكقوله [من البسيط] :

---

(١) البيت لعكرمة العبسى . ينظر دلائل الاعجاز ص ١٦١ ومفتاح العلوم ص ١٣٢ ، والايضاح ص ١٦٨ .

(٢) سقطت فى ش .

(٣) هو عبدالرحمن بن عبدالله شاعر اليمانيين بالكوفة وفارسهم فى عصره ، يعد من شعراء الدولة الاموية . كان أحد الفقهاء القراء ولما خرج عبدالرحمن بن الاشعث انحاز الاعشى اليه واستولى على سجستان معه وقاتل رجال الحجاج الثقفى ثم جىء به الى الحجاج أسيرا بعد مقتل ابن الاشعث فأمر به الحجاج فضربت عنقه سنة ٨٣هـ .

(٤) كذا فى الاصل ود وش ، أما فى دلائل الاعجاز ص ١٦١ والايضاح ص ١٦٩ : اصبهان .

(٥) خالد هذا حفيد معاوية بن أبى سفيان ، ويعد فى طليعة المشتغلين بالعلوم الكيميائية والفلسفية من المسلمين .

(٦) ينظر الدلائل ص ١٢٦ ومفتاح العلوم ص ١٣٢ ، والايضاح ص ١٦٨ .

متى أرى الصبح قد لاحت مخايله والليل قد مزّقت عنه السرابيل[1]

وكقول الآخر [من الوافر] :

فآبوا بالرماح مكسّرات وأُبْنا بالسّيوف قد انحنينا[2]

وقول الآخر [من الكامل] :

يمشون قد كسروا الجفونَ الى الوغى

متبسمين وفيهم استبشارُ[3]

وقد جاءت « ليس » في الأكثر بالواو كقولك : « أتاني وليس عليه ثوب[4] » ، ويجوز « خلّيته ليس معه أحد » .

وقد تجيء الجملة الاسمية مجردة عن الضمير على حال من الحسن لحرف اقترن بها مثل قول الفرزدق [من الطويل] :

فقلت : عسىُ ان تبصريني كأنّما بنيّ حوالي كالأسود الحواردِ[5]

[٩٢] والذي حسّنَه[6] دخول « كان » .

وقد تجيء في اثر مفرد وقع حالاً فتلطفت لذلك كقول ابن الرومي [من السريع] :

واللهُ يبقيك لنا سالماً بُرداك تبجيلٌ وتعظيم[7]

فـ « برداك » حال ثانية حسن مجيئها بغير واو ، وتقدم قوله « سالما » .

تنبيه :

كل جملة وقعت حالاً ثم امتنعت من الواو فلاجل انك عمدت الى الفعل الواقع في صدرها فضممته الى الفعل الأول في اثبات . وكل جملة

---

(١) البيت من أبيات فى وصف ليل (صول) الفارسية ، لحندج بن حندج المرى الشاعر الاموى . ينظر الدلائل ص ١٦٢ والايضاح ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

(٢) ينظر الدلائل ص ١٦٢ .

(٣) ينظر الدلائل ص ١٦٢ .

(٤) ينظر الدلائل ص ١٦٢ .

(٥) كذا فى ش ود ، أما فى الاصل :

فقلت : على ان تبصرينى كانما بنى حوالى كالاسود الحوادر

الحوارد جمع حارد وهو المجتمع الخلق المهيب المنظر يرى لعزته كالغضبان . ينظر الدلائل ص ١٦٣ والايضاح ١٧٥ .

(٦) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : حسنته .

(٧) ينظر الدلائل ص ١٦٣ والايضاح ص ١٧٥ .

وقعت حالاً ثم اقتضت الواو فلانك مستأنف بها خبراً غير قاصد الى ان تضمها الى الفعل الأول لاثبات واحد • وقد قدمت ان الحال خبر بمنزلة خبر المبتدأ غير انه يشترط ان يتقدم خبر آخر عليه فاذا قلت : « جاء زيد. يسرع » فأنت تثبت مجيئاً فيه اسراع وتجعل الكلام خبراً واحداً كأنك قلت : جاءني بهذه الهيئة • وكذلك قوله [من البسيط] :

متى أرى الصبح قد لاحت مخايله [والليل قد مزقت عنه السرابيل][(١)]

هو في تقدير : « متى أرى الصبح بادياً لائحاً بيّنا متجلياً ؟ » • واذا قلت : « جاءني زيد وغلامه يسعى بين يديه » و « رأيت زيداً وسيفه في كتفه » كان المعنى على أنك أثبت المجيء والرؤية ثم استأنفت خبراً وابتدأت اثباتاً ليسعي الغلام بين يديه ، ولكون السيف على عاتقه • فلما كان المعنى على الاستئناف [٩٣] احتيج الى ما يربط الجملة الثانية بالأولى فجيء بالواو كما جيء بها في قولك : « زيد منطلق وعمرو ذاهب » • وتسميتها واو الحال لا يخرجها عن أن تكون مجتلبة لضم جملة الى جملة • ونظيرها الفاء ، في جواب الشرط فانها ـ وان لم تكن عاطفة بمعنى انها تدخل ما بعدها في حكم الشرط المعلق عليه الجزاء ـ لا يخرجها أن تكون العاطفة بمعنى انها تربط جملتين ليس من شأنها أن ترتبط بنفسها •

والمضارع اذا وقع جواباً للشرط لم يحتج الى الفاء ، فكذلك اذا وقع حالاً لم يحتج الى الواو • والجملة الاسمية تحتاج الى الفاء في الجزاء ، فكذلك تحتاج الى الواو في الحال قياساً سوياً •

وهم وتنبيه :

لعلك تقول : ما علة ان وجبت الواو في جملة وامتنعت من أخرى ، وجاز تركها من جملة تارة وذكرها تارة أخرى ؟ • وجوابه : انك اذا قلت : « جاءني زيد وهو يسرع » كنت قد استأنفت اثبات سرعة ولم يكن

---

(١) تقدم ذكره •

ذلك (في)[1] « جاءني زيد يسرع » ؛ لان اعادتك ذكر « زيد » بضمير منفصل مرفوع بمنزلة ان تعيد اسمه صريحاً وان تقول : « جاءني زيد وزيد يسرع » في انك لا تجد سبيلاً الى أن تدخل « يسرع » في صلة المجيء وتضمه اليه في الاثبات ، فان اعادة ذكر « زيد » انما يكون عند قصد استئناف الخبر عنه ، والا كنت تاركاً اسـمه الذي جعلته مبتـدأ [٩٤] بمضيعة ، كمـا لو قلت « جاءني زيد وعمـرو يسرع أمامـه » وجعلت « يسرع » لـ « زيد » وحالاً منه ، وجعلت « عمراً » لغواً[2] ، وان ذلك من الاحالة بمستقر .

وهم وتنبيه :

كأني بك تفرق بينهما من جهة تحمل « يسرع » في مسألة « عمرو » ضميراً له ، وذلك واضح في منع أن يكون لـ « زيد » بخلاف « يسرع » في مسألة : « جاءني وهو يسرع » ، فان السرعة هنا لـ « زيد » وتغفل عن المانع ليس هو أن يكون « يسرع » في قولك : « جاءني زيد وعمرو يسرع امامه » حالاً من « زيد » وهو فعل لـ « عمرو » ، فانك لو أخرت « عمراً » ورفعته بـ « يسرع » وقلت : « جاءني زيد يسرع عمرو[3] أمامه » صح جعله حالاً من « زيد » مع انه فعل لـ « عمرو » فتعين ان يكون المانع تركك عمراً بمضيعة اذ جعلته مبتدأ لا خبر له ويفضي بك ذلك الى ان يكون « يسرع » في موضع نصب لـكونه حالاً من « زيد » ، وفي موضع رفع لجعله خبراً عن « عمرو » المرفوع بالابتداء وذلك بيّن التدافع . وهذا المانع يتلاشى اذا أخرت « عمراً » وصار بمثابة قولك : « جاءني زيد مسرعاً عمرو أمامه » .

اشـــارة :

قد تبين ان الجملة الاسمية شرطها الواو وما جاء على خلاف ذلك

(١) سقطت فى ش .
(٢) كذا فى ش ، اما فى الاصل ود : أيضا .
(٣) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : وعمرو .

فسبيله سبيل الشيء الذي يخرج عن أصله بضرب من التأول ، فحسن حذف الواو من قولهم : « كلمته فوه الى فيّ » انه وقع مشافهة[1] أو مشافهاً له • وقولهم : « رجع عوده على بدئه » [٩٥] فيمن رفع في تقدير : « رجع ذاهباً في طريقه الذي جاء فيه » • وقولهم : « وجدته حاضراه : الجود والكرم »[2] • حسنه تقديم الخبر الذي جعله في معنى : حاضراً عنده الجود والكرم •

وليس الحمل على المعنى بعزيز في كلامهم كما قالوا : « زيد اضربه » رفعوا « زيداً » وجعلوا خبره أمراً ؛ لان المعنى على النصب ووضعت الجملة الاسمية موضع افعلية في قوله تعالى : « أدعوتموهم أم أنتم صامتون[3] » • والتقدير : « أم أصَمَتُّم » ، فان أصل المعادلة بين الجملتين أن تكون الثانية كالأولى • وأما قول بشار : « خرجت مع البازي عليّ سواد »[4] ، فيخرّج على مذهب أبي الحسن اذ يرفع ما بعد الظرف به بالابتداء • هذا مقال الجرجاني[5] ، وأرى انه يخرج على مذهب سيبويه أيضاً ، فان الظرف اذا وقع حالاً صح أن يعمل كما اذا وقع صفة أو خبراً أو صلة • ولا أعرف في هذا خلافا بين الامامين ، وانما الخلاف اذا لم يكن الظرف معتمداً نحو : « في الدار زيد » • والذي ينبغي في قول بشار ان يكون الظرف في موضع اسم فاعل (لا فعل)[6] وان يكون التقدير « كائناً أو مستقراً عليّ سواد » • ولو قلت : تقديره « خرجت مع البازي قد بقي عليّ سواد » لما امتنع ولكن الأول أظهر بخلافه اذا وقع خبراً فان المختار ان يقدر بجملة لانه معمول لعامل مقدر ، والاصل في العمل الافعال • ومما يتعين [٩٦] ان يقدر فيه بفعل اذا وقع صلة لموصول فان

---

(١) كذا فى ش ، أما الاصل ود : وقع موقع مشافهة •
(٢) عجز بيت مر ذكره •
(٣) سورة الاعراف ، الآية ١٩٣ •
(٤) عجز بيت مر ذكره •
(٥) ينظر فصل (فروق فى الحال لها فضل تعلق بالبلاغة) فى كتاب دلائل الاعجاز للجرجانى ص ١٥٦ وما بعدها •
(٦) سقطت فى ش •

الصلة لا تكون الا جملة ومن ثم دخلت الفاء في خبر الموصول بالظرف كقولك : « الذي في الدار فله درهم » ، كما دخلت في خبر الموصول بالفعل كقوله تعالى « الذين يُنْفِقون أموالهم بالليل والنهارِ سراً وعلانية فلهم أجرُهم عند ربهم[1] » . فإن قلت : فلم أجزت تقديره بجملة اذا وقع خبراً وبمفرد اذا وقع حالاً مع افتقارك الى تقدير العامل في الصورتين ؟ قلت : الأصل ان يقدر بجملة مطلقاً لكن عرض في وقوعه حالاً انه لو قدر بفعل ان يكون قد حذف مع الفعل « قد » و « الواو » فيتكثر تقدير المحذوفات ، وهو خلاف الاصل . ولا يجوز أن تقدره بفعل مضارع لانه لا يشعر بالثبوت شعور الماضي ، فهذا الذي حَسّنَ حذف الواو منه .

وليس الظرف مع ما بعده في تقدير جملة اسمية ، ألا ترى أنك لو قلت : « خرجت مع البازي السَّوادُ عليّ » لم يحسن . وكم من تقدير ممتنع لا يأباه طبعك لقرانه بتقدير متعين فاذا انفرد عن التقدير المستقيم رأيت نفسك تعافه . مثاله قولك : « مَرَّ زيدٌ ضاحكاً بعمرو » ، فلو جعلت « ضاحكاً » حالاً من « عمرو » لما مَجّه سمعك ، وان كان سيبويه يمنع من تقدم[2] حال المجرور عليه . فاذا قلت : « مَرَّ زيد ضاحكة بهند » لم تجد الى قبوله سبيلاً لتعين جعله حالاً من المجرور [٩٧] .

الفصل الرابع في التمييز :

ليس يخفىٰ عليك فائدة التمييز . والقصد به التفرقة بين الاجناس وكشف المحتملات كما يفرق الحال بين الهيئات التي وقع عليها الفعل ، وله من الفخامة في الجمل ما لا يدفع وضوحه . ومما تلاءم حسنه من جهة النظم والتأليف قوله تعالى : « واشْتَعَلَ الرأسُ شَيْبا »[3] فاسند الفعل فيه الى شيء وهو لشيء من سببه فجعل فيه من المعنىٰ ما لم يحصل في قولك : « اشتعل شيب الرأس » و « الشيب في الرأس » . وسره افادته مع

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٧٤ .
(٢) كذا فى الاصل وش ، أما فى د : تقديم .
(٣) سورة مريم ، الآية ٤ .

لمعان الشيب في الرأس الشمول وانه قد شاع فيه وأخذه من نواحيه وجوانبه حتى لم يبق من السواد شيء وان بقي فشيء لا يعتد (به)[1] • ووزانه قولك : « اشتعل البيت ناراً » ، فانه يفيد استيلاء النار على البيت وشمولها بخلاف قولك : « اشتعلت النار في البيت » فانه لا يعطي أكثر من وقوعها فيه • ونظيره قوله تعالى : « وَفَجَّرْنا الأرضَ عيونا »[2] أفاد ان الأرض صارت عيوناً كلها ، وان الماء يفور من كل مكان • وفي الآية الاولى فائدة أخرى من جهة النظم وهو تعريف « الرأس »[3] باللام ، وافادة معنى الاضافة • ولو قلت : « اشتعل بعض رأسي » ذهب بعض حسنه[4] •

ومن النادر العجيب في هذا الفصل قول المتنبي [من الخفيف] :

غَضِبَ الدَّهْرُ والملوكُ عليها فبناها في وَجْنَةِ الدَّهْرِ خالا[5]

[٩٨] يعني انها واضحة وضوح الخال الذي لا ينفك من الوجنة • وموضع الاعجوبة منه أنْ نصب « الخال » على الحال من قوله : « فبناها » أي مشبهة للخال •

الفن العاشر
في الفصل والوصل

وهو فن جليل المقدار لا يقف عليه الا الافراد ، ولا يهتدي اليه الا النقاد • وقد سئل بعض علماء البلاغة عن البلاغة فحدّها بمعرفة الفصل والوصل وجعل ما سواه مفتقراً[6] في جنبه • ودعامته العظمى باب العطف •

باب العطف

واعلم ان العطف ضربان : عطف مفرد على مفرد وعطف جملة على جملة •

---

(١) سقطت فى ش •
(٢) سورة القمر ، الآية ١٢ •
(٣) كذا فى ش ، اما فى الاصل ود : الناس •
(٤) ينظر تحليل عبدالقاهر الجرجانى لهاتين الآيتين فى الدلائل ص ٧٩ وما بعدها •
(٥) ينظر ديوانه ج ٣ ص ١٤٥ ودلائل الاعجاز ص ٨١ •
(٦) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : مغتفرا •

الضرب الاول عطف المفردات :

قد شاهدت في علم الاعراب ان عطف المفرد[1] على مثله يحصل مشاركة الثاني للاول في الاعراب ليعلم انه مثل الاول في فاعليته (أو مفعوليته)[2] أو حكم خاص من دون غيره كما في قوله تعالى : « وامْسَحوا برؤوسِكم وأرجُلَكم الى الكعبين »[3] فيمن قرأ بالنصب فانه ان عطفها على « الوجوه » كانت الأرجل مغسولة ، وان عطفها على محل الجار والمجرور كانت « الأرجل » ممسوحة في ظاهر الآية . وان خولف ذلك فلمعارض راجح على هذا الظاهر كما في غيره ، ومن تتبع مواقع الاعراب وجد فوائد ذلك لا تحصىٰ .

تنبيـــه : [٩٩]

الظاهر في الصفات أن لا يعطف بعضها على بعض لاتحاد محلها ، وان الصفة تجرى مجرى الموصوف وقلما تعطف صفات الله تعالى[4] بعضها على بعض في كتابه العزيز نحو قوله تعالى[5] : « هو الرحمنُ الرحيمُ . هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوسُ السَّلامُ المؤمنُ المهيمن العزيزُ الجبار المتكبرُ سبحانَ اللهِ عمّا يُشْرِكون . هو الله الخالِقُ الباريءُ المصوِّرُ له الاسماء الحسنى »[6] ؛ لانها صفات وافقت الذات في القدم[7] والدلالة على الذات المقدسة القديمة فجرت مجرى الاسماء المترادفة . وأما قوله سبحانه : « هو الأول والآخِرُ والظاهِرُ والباطنُ »[8] فلانها أسماء

---

(١) كذا فى الاصل ، أما فى ش : الاول .
(٢) سقطت فى ش .
(٣) سورة المائدة ، الآية ٦ .
(٤) فى د : عز وجل .
(٥) فى د : فى كتاب الله نحو : « الرحمن ... » .
(٦) سورة الحشر ، الآيات ٢٢ و٢٣ و٢٤ .
(٧) كذا فى ش ، أما فى الاصل ود : وافقت الذات فى القدم واتفقت الاسماء .
(٨) سورة الحديد ، الآية ٣ .

متضادة المعاني في أصل موضوعها فرفع الوهم بالعطف عمّن يستبعد ذلك في ذات واحدة ، فان الشيء الواحد لا يكون ظاهراً باطناً من وجه واحد فكان العطف ههنا أحسن . ومن ثم في العرف اذا قصد تناقض أحوال الشخص قيل : « هذا قائم قاعد » بغير واو بخلاف ما تقدم فان تلك الصفات في حكم الصفة الواحدة لانتفاء المضادة بينها ومن ثم جاء العطف في قوله تعالى : « وعسى رَبُّه ان طَلَّقكُنَّ أن يُبْدِلَه أزواجاً خيراً منكُنَّ مُسْلمات مُؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا »[1] ، فان الثيوبة والبكارة متضادتان فلا يجتمعان في محل واحد بخلاف الاسلام والايمان والقنوت والتوبة ، والعبادة والسياحة . ونظيره قوله [تبارك][2] وتعالى : « التائبون [١٠٠] العابدونَ الحامدونَ السائحونَ الراكعونَ الساجدونَ الآمرونَ بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله »[3] عطف النهي على الأمر لان النهي يراد به منع الفعل وابقاؤه على العدم ، والأمر يراد به ايجاد الفعل ، والعدم والوجود متضادان لا يجتمعان . وليس قول من قال ان هذه واو الثمانية أي التي تجيء بعد سبعة متقدمة حقها ان تعطف فاسقط العاطف منها ثم جاء في الثامن في شيء من التحقيق والمقاصد المعنوية . فان قلت : لم عطف في قوله تعالى : « غافرِ الذنبِ وقابلِ التوبِ شديد العقابِ ذي الطَّوْلِ »[4] بعضاً ولم يعطف بعضاً ؟ قلت : لان غافراً وقابلاً صفة تشعر بحدوث المغفرة والقبول وهما من صفات الأفعال وفعله في غيره لا في نفسه فدخل حرف العطف المغاير بين المعنيين ولتنزلهما منزلة الجملتين نبّه العباد على انه يفعل هذا ويفعل هذا ليرجوه ويأملوه . وأما « شديد العقاب » فمن باب الصفة المشبهة وهي مشعرة بالدوام والاستمرار مع شدة العقاب ، دالة على القوة والقدرة التامة فشابه صفات الذات وقوله تعالى : « ذي الطَّوْلِ » المراد به ذاته ، فلذلك

---

(١) سورة التحريم ، الآية ٥ .

(٢) الزيادة من ش .

(٣) سورة التوبة ، الآية ١١٢ .

(٤) سورة غافر ، الآية ٣ .

جاء العطف[1] في بعضها دون بعض • وقد تكون بعض الصفات مقاربة لمعنى صفة أخرى قبلها فلا يعطف لذلك [١٠١] وتجيء الأخرى معطوفة لمغايرتها لما قبلها معنى وان كان ليس بينهما مضادة • ومنه قولها [من الكامل] :

لا يَبْعَدَنْ قومي الذين هُمُ سُمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزُرِ
النازلونَ بكلِّ مُعْتَرَكٍ والطيّبونَ معاقِدَ الأُزُرِ[2]

فانها لم تعطف « النازلين » لانه في معنى « سم العداة » وعطفت « الطيبون » لان المراد العفاف والعفاف يغاير الشجاعة معنى ولفظاً فلذلك تعين العطف كما تعين في قوله « وآفة الجزر » لان المراد به الكرم وذلك يغاير وصف الشجاعة •

الضرب الثاني عطف الجملة على الجملة :

وهي في ذلك على نوعين احدهما : ان تعطف جملة على جملة لها موضع في الاعراب فيعود ذلك الى الضرب الاول ، فان الجملة لا يكون لها موضع من الاعراب حتى تحل محل المفرد • مثاله ان تقول : « مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح » فتكون مشركاً بين الجملتين في القضاء بالجر على الصفة • ومما اختلف في جعله من عطف الجمل والمفردات قوله تعالى : « والراسخونَ في العِلْمِ »[3] ، فمنهم من عطفه على اسم الله تعالى فجعل « الراسخون في العلم » عالمين بالمتشابهات ، و « يقولون » على هذا حال من « الراسخون » ، ومنهم من جعله مبتدأ و « يقولون » خبره [١٠٢] • ومما اختلف في استئنافه واتصاله قوله تعالى : « لا ريب فيه هدى للمتقين »[4] ، منهم من قضى باستئنائه على انه مبتدأ وخبر ، ومنهم من قضى بجعل « فيه » خبر « لا » و « هدى » نصب على الحال في تقدير « هادياً » ، والأول أعوض • ولا يخفى انقطاع (قوله تعالى »[5] :)

---

(١) كذا فى ش ، أما فى الاصل ود : العاطف •
(٢) البيتان لخرنق ، وهما من الشواهد النحوية (ينظر باب النعت فى أوضح المسالك الى الفية ابن مالك لابن هشام ج ٣ ص ١٠ – ١١) •
(٣) سورة آل عمران ، الآية ٧ •
(٤) سورة البقرة ، الآية ٢ •
(٥) سقطت فى ش •

« الذين يحملون العرش »[1] عن قوله : « أنهم أصحاب النار »[2] ، وكذا : « ولا يحزنك قولهم » فانه منقطع عن قوله تعالى : « انا نعلم ما يسرون وما يعلنون »[3] •

النوع الثاني : وهو الذي يشكل أمره ، ان تعطف جملة على جملة لا موضع لها من الاعراب نحو : « زيد أخوك وعمرو قائم » فانك اذا حاولت ان تظهر للواو فائدة هنا لم تجد • ولعمري ان هذا خاص بالواو ، وأما الفاء فيظهر من فائدتها العطف بلا مهلة نحو : « أعطاني فشكرته » • ومن « ثم » المهلة • نحو : « جاءني زيد ثم عمرو » • ومن « أو » التردد نحو : « جاءني زيد أو عمرو » ومن « لا » نفي الحكم عن الثاني نحو : « جاءني زيد لا عمرو » • ومن « بل » الاضراب عن الأول • ومعاني هذه الحروف مستقصاة في كتب النحو •

وأما الواو فلا تفيد بها شيئاً الا في الاسماء أكثر من الاشتراك في فاعلية الأول أو مفعوليته ، وهذا المعنى لا وجود له بين الجمل التي لا محل لها من الاعراب فيظهر بهذا سقوط فائدتها [١٠٣] من الجمل[4] • وجواب هذا ان لها فائدة أخرى وذلك انا لا نقول : « زيد قائم وعمرو قاعد » حتى يكون « عمرو » بسبب من « زيد » وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين بحيث اذا عرف السامع حال الأول أغناه ان يعرف حال الثاني • يدلك على ذلك انه لو عطفت على الأول شيئاً ليس منه بسبب لم يستقم كقولك : « خرجت اليوم من داري وأحسن الذي يقول بيت كذا » • ومن ثم عيب أبو تمام في قوله [من الكامل] :

لا والذي هو عالم أن النوى صبر ، وأن أبا الحسين كريم[5]

اذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى ، وليس يقتضي الحديث بهذا الحديث بالآخر •

---

(١) سورة غافر ، الآية ٧ •
(٢) سورة غافر ، الآية ٦ •
(٣) سورة يس ، الآية ٧٦ •
(٤) كذا في الاصل ود ، أما في ش : بين الجمل •
(٥) البيت من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم • ينظر ديوان أبي تمام ص ٢٢٧ ، ومفتاح العلوم ص ١٣١ ، والايضاح ص ١٤٨ •

وهم وتنبيه :

كأنك تقول : كيف تصنع بقوله تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عن الأَهِلَّةِ ، قُلْ هي مواقيتُ للناسِ والحجِ وليس البِرُّ بأَنْ تأتوا البيوتَ من ظهورِها »[1] أي رابط بين الأهلة وبين حكم اتيان البيوت ؟ قلت : كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله تعالى فيه حكمة ظاهرة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها براً . ويجوز أن يكون ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج[2] ، فانه كان من أفعالهم في الحج . ومنه [١٠٤] قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن التوضي بماء البحر فقال : « هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته » . ومنه قوله تعالى : « وما تلك بيمينك يا موسى ؟ قال : هي عصاي أتوكأ عليها وأَهُشُّ بها على غنمي ولي فيها مآربُ أُخرى »[3] . فاذا[4] قلت : وهل كان أحدهم في الحج لا يدخل بيته الا من ظهره ؟ قلت : في الحديث الصحيح ان ناساً من الانصار كانوا اذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطاً ولا داراً ولا فسطاطاً من باب . فان كان من أهل المدر نقب نقباً في[5] ظهر بيته منه يدخل ويخرج ، أو يتخذ سلماً يصعد فيه . وان كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم : ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولـكن البر من اتقى ما حرم الله تعالى . ويجوز ان يكون ذلك من قبيل التمثيل لما هم عليه من تعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب الدار ويدخل من ظهر البيت فقيل لهم : ليس البر ما انتم عليه من تعكيس الاسئلة ولـكن البر من اتقى ذلك . ثم قال : « واتوا البيوت من أبوابها » أي : باشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا . والمراد ان تضم القلوب على ان جميع افعال الله تعالى حكمة ،

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٨٩ .

(٢) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : الحج .

(٣) سورة طه ، الآيتان ١٧ و١٨ .

(٤) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : فان .

(٥) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : من .

وانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، فان في السؤال اتهاما[1] [١٠٥] •

ومنه قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام : « رَبِّ أَرِنِي كيف تُحيي الموتى ُ • قال أَوَلَمْ تُؤمِن ْ ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئنَّ قلبي »[2] • وكذا كل ما تراه في التنزيل معطوفا منقطعاً في الظاهر عما قبله فلابد من اتصاله به معنى • عرف ذلك من عرفه وجهل ذلك من جهله ، فانه كلام من خبير مجيد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد •

وهم وتنبيه :

ربما أشكل عليك حين سمعت أوضاع « الفاء » و « ثم » و « أو » قوله تعالى : « وكم من قريةٍ أهلكناها فجاءَها بأسُنا بَياتاً أوْ هُمْ قائلون »[3] فان مجيء « البأس » ينبغي ان يتقدم الاهلاك • وقوله تعالى : « وانّي لغفّارٌ لمن تابَ وآمنَ وعَمِلَ عملاً صالحاً ثم اهتدى »[4] ، فان الهداية ينبغي ان تتقدم على العمل الصالح لكونه لا يصح دونها • وقوله تعالى : « وأرسلناه الى مائةِ ألفٍ أوْ يَزيدون »[5] ، فان الله تعالى يعلم الشيء على ما هو عليه ولا يتصور عليه سبحانه تردد • وكذا قوله تعالى : « مَثَلُهُمْ كمثلِ الذي استوقدَ ناراً فلما أضاءتْ ما حَوْلَه ذَهَبَ اللّهُ بنورهم وتركهم في ظُلماتٍ لا يُبْصِرون • صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يَرْجِعُونَ • أوْ كصيّبٍ من السماءِ فيه ظُلماتٌ ورَعْدٌ وبَرْقٌ »[6] • وتقول : كيف يستقيم التردد عليه تعالى الله في تشبيههم وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح من حديث حذيفة بن أسيد [١٠٦] : « اذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة ارسل

(١) كذا في الاصل ود : اما في ش : ابهاما •
(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٦٠ •
(٣) سورة الاعراف ، الآية ٤ •
(٤) سورة طه ، الآية ٨٢ •
(٥) سورة الصافات ، الآية ١٤٧ •
(٦) سورة البقرة ، الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ •

الله ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وكتب رزقها وأجلها » فدل هذا على ان ارسال الملك لكتب الرزق والأجل عقيب ثنتين وأربعين ليلة ، وهذه رواية مسلم . وفي صحيح البخاري : « أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه يوماً وأربعين ليلة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله الملك فيؤذن له ، ثم يؤمر فيكتب رزقه وأجله » . فدل ان كتب الرزق والأجل بعد مائة وعشرين . وفي بعض (طرقه)[1] . « ويؤمر » بالواو . فلو كانت « ثم » للترتيب لتناقض الحديثان . وكذلك[2] قول الشاعر [من الخفيف] :

ان من ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد بعد ذلك جده

قلت : اما الآية فمحمولة على انه لما أهلكها حكم بان « البأس »[3] جاءها ، وقيل : انه من باب الترتيب اللفظي لكون الاهتمام بالاهلاك أتمّ في غرض الاخبار وان كان مجيء « البأس » قبله في الوجود . فأما الثانية فعلى دوام الاهتداء وثباته أي : ثم استمر على الهداية ، وذلك مطلوب . ومنه : « اهدنا الصراط المستقيم »[4] . وأما الآية الثالثة فعلى انهم من الكثرة بحيث يقول فيهم الناظم هم مائة ألف أو أكثر . وأما الرابعة فهو انه تعالى ذكر [١٠٧] مثلين مضروبين للمنافقين في حالين مختلفين ، فهم لا يخلون من احدى الحالين . فـ « أو » على بابها من الترديد كقولك : « زيد لا يخلو ان يكون في الدار أو في المسجد » . ذكرت « أو » لانك أردت أحد الشيئين فـ « أو » في اصلها لتساوي أمرين فصاعداً في الشك ثم استعيرت للترديد الخالي عن الشك . وعليه يخرج قوله تعالى : « ولا تُطِعْ منهم آثِماً أَوْ كَفوراً »[5] ؛ لان « الآثم » و « الكافر » متساويان في وجوب عصيانهما ، فحال المنافقين مشبهة لحالتي هاتين القضيتين فبأيّهما مثلت فانت

---

(١) سقطت فى ش .
(٢) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : وكذاك .
(٣) كذا فى ش ، اما فى الاصل ود : البأساء .
(٤) سورة الفاتحة ، الآية ٦ .
(٥) سورة الانسان ، الآية ٢٤ .

مصيب ، وكذلك ان مثلت بهما جميعا • وقد حمل قوم « أو » في قوله تعالى : « ثم قَسَتْ قلوبُهم من بَعْدِ ذلك فهي كالحجارةِ أوْ أشَدُّ قَسْوَةً »[1] ، على ان من شاهد حالهم وقلة تأثير الزواجر فيهم تردد في تشبيه قلوبهم بالحجارة وبما هو أشد صلابة من الحجارة كالحديد • وقيل على ان قلوبهم انقسمت في التشبيه الى هذين الجنسين الجامدين ، ونظيره قول ابن عُلَيَّة[2] [من الطويل] :

وقالوا لنا ثنتـــان لابد منهمـــا ••• ••• ••• ••• ••••

أي لابد منهما على الجملة ثم قال :

••• ••• ••• ••• •••• صدور رماحٍ أُشْرِعَتْ أوسَلاسلُ

يعني في حق كل واحد منهم على التعين لابد من هذه أو هذه ، وأما على الجملة فالأمران واقعان جميعا • وأما حديث حذيفة فالأجود فيه [١٠٨] ما قاله شيخي أبو عمرو بن الحاجب[3] وهو ان العرب اذا عبرت عن أمر بعده أمور متعددة يقتضي ذكرها الترتيب بـ « ثم » والآخر أو المتوسط تعلق خاص بالاول فقد يحسن تقديمه لفظاً على البواقي للتعلق الخاص ، ولكونه علقة ثم مضغة تعلق خاص بالأول وهو كونه نطفة يحسن تقديمه على ما بعده لفظاً وان كان متقدماً عليه وجوداً ؛ لان المقصود ترتيب الخلق الذي سيق الكلام لاجله فلو أخر بعد ذكر الارسال لم يحسن هذا الحسن لحصول الفصل بين الاشياء التي سبقت لمقصود ترتيب أمور يقضي المعتبرون منها العجب من كيفية التنقل في الأرحام من حال الى حال • ومن ثم قال غير واحد من الفصحاء عند سماع قوله تعالى : « ثم جعلناه نُطفةً في قَرارٍ

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٧٤ •

(٢) هو اسماعيل بن ابراهيم من أكابر حفاظ الحديث • كوفى الاصل ولد سنة ١١٠هـ وتوفى ببغداد سنة ١٩٣هـ • وكان يكره ان يقال له ابن علية وهى أمه •

(٣) هو عثمان بن عمر فقيه مالكى من كبار العلماء بالعربية • ولد فى أسنا بمصر سنة ٥٧٠هـ ونشأ فى القاهرة وسكن فى دمشق ومات بالاسكندرية سنة ٦٤٦هـ وله الشافية والكافية •

مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة[1] » قبل ان يسمع آخرها : « فتبارك الله أحسن الخالقين » . وما ذاك الا لما يقع في نفوس المعتبرين من التعظيم لفاعل هذا الفعل العجيب . فمن ثم حسن تأخير ذكر ارسال الملك وان كان عقيب ثنتين وأربعين ليلة . ونحوه قوله تعالى : « وبدأ خلق الانسان من طين »[2] « ثم سواه ونفخ فيه من روحه »[3] . فقوله « ثم سواه ونفخ [١٠٩] فيه من روحه » لآدم المتقدم ذكره في قوله : « خلق الانسان » وهو في الوجود مقدم على جعل نسله من سلالة ، وكلاهما مؤخر عن خلق الانسان الذي هو آدم من طين ، ولكن حسن تقديم « ثم جعل نسله من سلالة » لما فيه أيضاً من الترتيب المقصود المشار الى مثله فيما تقدم لان مقصود السياق ذكر خلق الاصلين في الاصل والفرع في آدم عليه السلام وذريته على الترتيب . ثم ذكر بعد ذلك ما يتعلق بآدم من جهة أخرى والذي يوضح ان ذلك لآدم قوله تعالى : « انّي خالق بشراً من طين . فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي »[4] ونحوه في غير موضع . ومن قال الانسان للعموم في قوله تعالى : « وبدأ خلق الانسان من طين » في آدم وغيره وسيق لذكر البداية وما بعدها لا ينفك عن ارتكاب مثل ما ذكرناه لانه لابد ان يجعل « ثم سواه ونفخ فيه من روحه » لآدم أو للجميع ، والأول واضح . واذا جعل للجميع وآدم منهم فهو بالنسبة مقدم على جعل نسله من سلالة فقد عطف بـ « ثم » ما بعضه مقدم على ما قبله فيحتاج الى مثل ما ذكرناه مع انه مخالف لما ذكرناه ، ولانه لم يأت مثل ذلك الا لآدم وعيسى عليهما السلام .

فان قيل : اجعل : « ثم سواه ونفخ فيه من روحه » للنسل في قوله سبحانه : « ثم جعل نسله »[5] فالجواب انه بعيد للوجهين المذكورين ، ولانه يؤدي الى [١١٠] اسقاط ما علم انه مقصود ذكره مع ما تقدم في

---

(١) سورة المؤمنون ، الآيتان ١٣ و١٤ .
(٢) سورة السجدة ، الآية ٧ .
(٣) سورة السجدة ، الآية ٩ .
(٤) سورة ص ، الآيتان ٧١ ، ٧٢ .
(٥) سورة السجدة ، الآية ٨ .

كل موضع ذكر فيه ذلك • هذا مع ما يؤدي اليه من ترك الاعلام بالكيفية المجهولة الغائبة والاعتناء بالكيفية المعلومة الحاضرة • والذي يحقق لك صحة هذا التأويل في حديث البخاري انه لو قيل : « ثم يرسل الله الملك » قبل جعله علقة لكان ظاهر الجواز واضحاً ، واذا صح تقييده صريحاً جاز ارادة تقييده بالمعنى الذي ذكرناه لدلالة الحديث الآخر عليه •

الجواب الثاني ان يكون بعضهم يرسل اليه بعد مائة وعشرين ويكون كل واحد من الحديثين مخصصاً بالآخر •

الجواب الثالث ان يكون الارسال لكتب الرزق والاجل بعد ثنتين وأربعين ليلة فيكون ذكره في حديث حذيفة على حقيقته • وفي ابن مسعود على ترتيب الاخبار حسب ما يختار المخبر كانه قال : اخبرك بكذا ثم اخبرك بكذا وان كان في المعنى مؤخراً في الوجود عن الثالث لان معنى [قول] القائل « قام زيد » أقول ذلك ، فاذا عطف عليه جملة أخرى وهو مريد قولها ثانياً جاز ان يأتي بـ « ثم » باعتبار ترتيب القول في قصده وان كان مدلول الجملة الثانية واقعاً في الوجود قبل مدلول الجملة الاولى [١١١] ونحوه قوله تعالى : « ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون • ثم آتينا موسىٰ الكتابَ »[١] • أي أخبركم بهذا الخبر ثم اخبركم بهذا الخبر • وبهذا يخرج الجواب عن البيت المذكور ونحوه • فان قلت : ان « ثم » تقتضي المهلة بين الأمرين فاذا جعلت بين الاخبارين وجب ان يكون بينهما مهلة والحديث المذكور والبيت انما يجيء فيه الاخبار الثاني عقيب الاخبار الأول من غير مهلة بين الاخبارين • قلت : لما قصد ترتيب القول في المعنى وتعذر اعتبار المهلة في الوجود من حيث ان اعتبار ذلك يؤدي الى اسقاطه لما يلزم من تعذر الاتيان بـ « ثم » لانقطاع ما بعدها عما قبلها ومن شرط العطف ذكر المعطوف بعد المعطوف عليه بلا مهلة وزمان متطاول بين الاخبارين فلما تعذر ذلك اعتبر ترتيب الاخبارين في القصد مجرداً عن المهلة الوجودية[٢] أي ان الاخبار الثاني جدير بان يتراخى عن الاخبار

---

(١) سورة الانعام ، الآيتان ١٥٣ ، ١٥٤ •

(٢) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : الموجودية •

الأول وان الاهتمام بالخبر الأول يقتضي ان يتقدم الاخبار به على الاخبار بالثاني بازمنة وقد جاءت « ثم » لمجرد البعد المعنوي بين الأمرين مثل قولك : « العاقل لا يعرف ادلة الرسالة ثم يجحدها » • ونحوه : « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها » • وليس المعنى ثم ينكرونها بمهلة وجودية بل ذلك شامل للمهلة وعدمها ؛ لان المقصود ان هذين الأمرين المتباعدين في المعنى [١١٢] يقعان منهم • ونحوه « ما كان لبشرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكتابَ والحُكْمَ والنبوةَ ثم يقولُ للناسِ كونوا عباداً لي »[١] فان المقصود بـ « ثم » في ذلك التنبيه على ما بين الامرين من التباعد المعنوي ولولا ذلك لكانت الواو أقعد بمعنى الاجتماع نفياً واثباتاً ولكن لما قصد الى هذا المعنى كانت « ثم » أقعد منها •

اشـــارة :

كما يجب ان يكون المحدث عنه في احدى الجملتين بسبب من المحدث عنه في الاخرى كذلك ينبغي ان يكون الخبر عن الثاني مما يجري مجرى التشبيه أو النقيض للخبر عن الأول حتى لو قلت : « زيد طويل القامة وعمرو شاعر » كان خطأ • نعم يقال : زيد كاتب وعمرو شاعر » و « زيد طويل وعمرو قصير » • وانما قالوا : « العلم حسن والجهل قبيح » ؛ لان كون العلم حسناً مضموناً في العقول الى كون الجهل قبيحاً •

تنبيـــه :

تتضح قوة الواو في الجمع فيما اذا كان المخبر عنه في الجملتين واحداً نحو : « زيد ينفع ويضر ويسيء ويحسن ويأمر وينهى ويأكل ويشرب » ونحو ذلك • ولو قلت : « يضر ينفع » لجاز ان يكون قولك « ينفع » رجوعاً عن الأول ومع الواو تكون موجباً له الفعلين وانه يفعلهما معاً • ويتضاعف الاشتباك اذا وقعت الجملتان صلة فان الفعلين يصيران في حكم

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٧٩ •

فعل واحد • ومنه قوله [من البسيط] :

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وان نكف الأذى عنكم وتؤذونا[1]

[١١٣] المعنى : لا تطمعوا في ان تروا اكرامنا مقروناً باهانتكم •

وهم وتنبيه :

قد تتوهم ان الربط بين الجمل يشترط فيه الواو لايذان كل جملة باستقلالها ومخالفة ذلك يحتاج[2] الى بينة كما احتاجت الجمل في الربط بكونها صلة أو صفة أو خبراً الى ضمير يربطها بما قبلها ويذهب عن المزج المعنوي بين الجملتين المنزل للثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني • وكما ان المفردات المتصلة الممتزجة كالصفة والتأكيد لا تفتقر الى حرف رابط كذلك يكون في الجمل وذلك في كل جملة مؤكدة (للتي قبلها ومبينة لها حتى كأنها هي من غير فصل وذلك)[3] قوله تعالى : « الم • ذلك الكتابُ لا ريبَ فيه »[4] • فقوله : « لا ريب فيه » بيان وتوكيد لقوله « ذلك الكتاب » ، وكذلك قوله سبحانه وتعالى : « انّ الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أمْ لم تُنْذِرْهُم لا يؤمنون »[5] • وقوله تعالى : « ختمَ اللهُ على قلوبِهم وعلى سمْعِهم »[6] تأكيد لان من كان حاله اذا انذر كحاله اذا لم ينذر كان في غاية من الجهل وكان مطبوعاً على قلبه لا محالة • وكذلك قوله عز وعلا[7] : « ومن الناسِ من يقولُ آمنا باللهِ وباليومِ الآخرِ وما هم بمؤمنين »[8] ثم قال : « يخادعون اللهَ »[9] فان المخادعة

---

(١) قبله

مهلا بني عمنا مهلا موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

(٢) كذا فى ش ، أما فى الاصل ود : ومخالفة كل ما يحتاج •

(٣) سقطت فى ش •

(٤) سورة البقرة ، الآيتان ١ ، ٢ •

(٥) سورة البقرة ، الآية ٦ •

(٦) سورة البقرة ، الآية ٧ •

(٧) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : عز وجل •

(٨) سورة البقرة ، الآية ٨ •

(٩) سورة البقرة ، الآية ٩ •

ليست شيئاً غير[1] قولهم : « آمنا » من غير أَنْ يكونوا مؤمنين . وكذا قوله عز من قائل : « واذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خَلَوا الى شياطينهم قالوا انّا [١١٤] معكم انّما نحن مُستهزئون »[2] ، وذلك ان معنى قولهم : « انا معكم » انا لن نؤمن بالنبي[3] صلى الله عليه وسلم ولن نترك اليهودية ، وقولهم : « انما نحن مستهزئون » خبر بهذا المعنى بعينه ؛ لانه لا فرق بين ان يقولوا انا لم نقل ذلك الا استهزاءً وبين ان يقولوا انا لم نخرج من دينكم وكانهم قالوا انا معكم انا لم نفارقكم . ومن الواضح في هذا قول الله تعالى : « واذا تُتلىٰ عليه آياتنا وَلّى مستكبراً كأنْ لم يسمعها كأنَّ في أذنيه وقرا »[4] لم يأتِ بعاطف في « كأنّ في اذنيه وقرا » لانه يؤدي معنى الاول وهو « كأن لم يسمعها » وان كان الثاني أبلغ وآكد وان اشتركا في افادة ان حاله بعد التلاوة كحاله قبل التلاوة . ومن اللطيف في ذلك قوله تعالى : « ما هذا بَشَرا انْ هذا الاّ مَلَكٌ كريم »[5] ، فـ « انْ هذا الاّ ملك كريم » (مشابك لقوله « ماهذا بشراً وذلك)[6] انقوله : « الا ملك كريم » مؤكد للاول فان كونه ملكاً ينفي كونه بشراً ولان العرف فيما اذا قيل : ما هذا بشراً ؟ والمراد التعظيم ان يقال : « انه ملك كريم » وانه يكنى به عن ذلك فيطابقه الثاني حينئذ لا محالة . وفيه معنى الصفة كأنه لما قيل « ما هذا بشراً » قيل : فما هو ؟ قيل : « انْ هو الا ملك كريم » فينزل الثاني منزلة « الظريف » في قولك : « جاءني زيد الظريف » في كونه بياناً وتعييناً للذي أردت . وكذلك قوله تعالى : « وما علمناه الشعرَ وما ينبغي له [١١٥] انْ هو الا ذِكْرٌ وقرآن مبين »[7] . وقوله تعالى : « وما ينْطِقُ عنِ الهوى . انْ هو الاّ وحيٌ يُوحى »[8] .

---

(١) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : سوى .
(٢) سورة البقرة ، الآية ١٤ .
(٣) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : بهذا النبى .
(٤) سورة لقمان ، الآية ٧ .
(٥) سورة يوسف ، الآية ٣١ .
(٦) سقطت فى ش .
(٧) سورة يس ، الآية ٦٩ .
(٨) سورة النجم ، الآيتان ٣ ، ٤ .

تنبيـــه :

قد يعرض للجملة التي حقها ان تعطف على ما قبلها أمر يسوّغ ترك العاطف وان كانت الثانية أجنبية عن الأولى كما في قوله تعالى : « انما نحن مستهزئون • اللهُ يستهزيء بهم »[1] ؛ لان الجملة الثانية كالمسؤول عنها فتنزل تقدير السـؤال منـزلة صريحه • ومن لطيف ذلك قوله [من الـكامل] :

زعـم العواذلُ أنني في غَمْـرةٍ
صدقوا ، ولـكنْ غَمرتي لا تنجلي[2]

فلما حكىٰ عن العواذل زعمهم جرّ ذلك سؤال السامع له عن صدق زعمهم وكذبه كانه قيل له : فما قولك في ذلك ؟ فقال : أقول صدقوا ولـكن لا مطمع لهم في فلاحي • ولو قال : وصدقوا ؛ لم يقدر في نفسه انه مسؤول وان كلامه كلام مجيب • وهذا قطع واستئناف وفيه تقدير السؤال • ولو قال : صدق العواذل كان آكد في تقرير الاستئناف وتأكيده حيث وضع الظاهر موضع المضمر وضعاً لا يفتقر فيه الى ما قبله ويجعله في حكم ما ليس قبله كلام • ومثل قوله : « زعم العواذل » قول الآخر ، وقيل انه الوليد بن يزيد[3] [من الهزج] :

عرفت المنزل الخالي عفا من بعد أحوالِ
عفـاه كـل حنّانٍ عَسوفِ الوبل هطالِ[4]

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان ١٤ ، ١٥ •

(٢) ينظر الدلائل ص ١٨٣ ، ومفتاح العلوم ص ١٢٧ والايضاح ص ١٥٧ •

(٣) الوليد بن يزيد من ملوك الدولة الاموية بالشام ، كان من فتيان بنى أمية وظرفائهم يعاب بالانهماك فى اللهو • ولد سنة ٨٨هـ وولى الخلافة سنة ١٢٥هـ بعد وفاة عمه هشام بن عبدالملك وقتل سنة ١٢٦هـ •

(٤) ينظر الدلائل ص ١٨٤ والمفتاح ص ١٢٧ والايضاح ص ١٥٧ والبيتان كما فى الدلائل والايضاح للوليد بن يزيد وجاء فى هامش الايضاح انهما للوليد بن مسلم كما فى معاهد التنصيص أو للبيد كما فى شرح شواهد الايضاح •

حنـان : مصوت والمقصود منه الرعـد المصاحب للمطر • عسوف : شديد العسف • الوبل : المطر الشديد •

لما قال : « عفا من بعد أحوال » قدر[1] [١١٦] كأنه قيل له : فما عفاه ؟ فقال : عفاه كل حنان .

تنبيـــه :

تخيل[2] لي ان تقول : أيفترق حال تقدير السؤال وحال التصريح فان المقدر كالمصرح به وتتناسى ان تقدير الشيء يؤذن بفقده وان فقد الشيء لا يساوي وجوده فمن هاهنا قضوا بانه اذا كان السؤال موجوداً لفظاً فالأكثر ترك الفعل في الجواب وتقتصر على الاسم وحده وانه يجب ذكر الفعل مع الاضمار . بيانه انه لو قيل لك : ما عفاه ؟ لصح ان تقول : « من حدا بهم وساقا »[3] على تقدير : عفاه من حدا بهم كما اذا قيل لك : من فعل ؟ فتقول : زيد باضمار « فَعَلَ » . واما اذا كان السؤال مقدراً كالذي عليه البيت ضعفت الدلالة على الفعل اذا لم يكن سؤال متضمن له ليدل على ارادته في الجواب فتعين ان يلفظ به .

اشـــارة :

اذا رأيت في التنزيل لفظ « قال » مفصولاً غير[4] معطوف فاعلم ان هذا تقديره مثل قوله تعالى : « هـل أتاكَ حديثُ ضيف ابراهيمَ المُـكْـرَمين . اذْ دَخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلامٌ قومٌ مُنْكَـرون . فراغَ الى أهله فجاءَ بعجل سمين . فقرَّبه اليهم قال : ألا تأكلون ؟ فأوجسَ منهم خِيفةً ، قالوا : لا تخف »[5] جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السؤال كما (لو)[6] قيل لقوم : « دخل فلان على فلان »

---

(١) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : قدره .
(٢) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : يتخيل .
(٣) قال المتنبى :
وما عفت الرياح له محلا   عفاه من حدا بهم وساقا
(٤) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : عن .
(٥) سورة الذاريات ، الآيات من ٢٤ ـ ٢٨ .
(٦) سقطت فى ش .

قالوا : « فما قال هو » فيقول المجيب : « قال كذا » فان الناس خوطبوا [١١٧] بما يتعارفونه[١] • وكذا قوله تعالى : قال ألا تأكلون » فانه ورد بعد قوله : « فجاء بعجل سمين فقربه اليهم » كأنه قيل : فما قال لهم ؟ قال المجيب : « قال لهم ألا تأكلون » • وكذلك : « قالوا لا تخف » ؛ لان قوله : « فأوجس منهم خيفة » يدل على انه قد تغير لونه ودخله الخوف فكأنه قيل : فما قالوا (له)[٢] حين رأوه كذلك ؟ فقيل : قالوا لا تخف • وعلى هذه السياقة تخرج قصة فرعون ورد موسى عليه السلام (في قوله تعالى)[٣] « قال فرعون : وما رب العالمين ؟ قال : رب السماوات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين • قال لمن حوله : ألا تستمعون ؟ قال : ربكم ورب آبائكم الاولين • قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون • قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون • قال لئن اتخذت الهاً غيري لاجعلنك من المسجونين • قال : أولو جئتك بشيء مبين • قال : فات به ان كنت من الصادقين »[٤] •

وعلى هذا أبداً في كل كلام جاء فيه لفظ « قال » هذا المجيء غير انه (قد)[٥] يكون في بعض المواضع أوضح من بعض • فمن الواضح : « قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين »[٦] فانه لا يخفى على عاقل ان ذلك جواب لقوله : « فما خطبكم ايها المرسلون »[٧] ومثله قوله : « واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون • اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا : انا اليكم مرسلون » الى قوله : « اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون »[٨] •

---

(١) كذا في الاصل ود ، أما في : ش : يعرفونه •
(٢) سقطت في ش •
(٣) سقطت في ش •
(٤) سورة الشعراء ، الآيات من ٢٣ _ ٣١ •
(٥) سقطت في ش •
(٦) سورة الحجر ، الآية ٥٨ •
(٧) سورة الحجر ، الآية ٥٧ •
(٨) سورة يس ، الآيات ١٣ _ ٢١ •

تذنيب :

قد بان لك وظهر [١١٨] ان الجمل على ثلاثة أقسام : جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف والتأكيد مع المؤكد فلا يكون فيها عطف البتة لتنزلهما منزلة الشيء الواحد والشيء لا يعطف على نفسه ومن ثم قضوا عند شدة الامتزاج على الثانية بالبدلية كما في قول عبيدالله بن الحر[١] [من الطويل] :

متى تأتنا تُلْمِم بنا في ديارنا
تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وناراً تأجّجا

ولذلك جزمه • وجملة حالها مع الجملة التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله الا انه يشاركه في حكم مثل مشاركة اسم اسماً غيره في الفاعلية والمفعولية فيكون شأنهما العطف • وجملة هي[٢] مع التي قبلها لا مشاركة بينهما بوجه ويكون ذكر الجملة السابقة وترك ذكرها سواء فتكون بمنزلة الاسم مع اسم آخر لا رابطة بينهما وان ذكر احدهما مع الآخر خص بأمر ينفرد به • وحق هذا ترك العطف البتة ، فالجملة المعطوفة حالها بين حالين ورتبتها بين رتبتين •

وهم وتنبيه :

لعلك تتخيل مما تلي عليك آنفاً ان من شرط الجملة المعطوفة ان لا يفصل بينها وبين الجملة المعطوف عليها لكونها معها لفقاً ولو مر بك استقراء التنزيل وشعر الشاعر النبيل لاضربت عن هذا التخييل صفحاً • ومنه قوله عز وجل[٣] : « وما كنتَ بجانبِ الغربيّ اذْ قضينا الى موسى الأمرَ وما كنتَ من الشاهدين • ولكنّا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العُمُرُ • وما كنت ثاوياً في أهل مَدْيَنَ

---

(١) قائد من الشجعان الابطال ، كان من خيار قومه شرفا وصلاحا وفضلا وكان من أصحاب عثمان بن عفان فلما قتل عثمان انحاز الى معاوية • وفى سنة ٦٨هـ القى نفسه فى الفرات فمات غريقا • وكان شاعرا فحلا •

(٢) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : حالها •

(٣) كذا فى الاصل ود ، أما ش : عز وعلا •

تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مُرْسِلين »[1] ليست فيها جملة معطوفة على ما يليها اذ يلزم ان يكون قوله : « وما كنت ثاوياً في أهل مدين » معطوفاً على قوله : « فتطاول عليهم العمر » . وذلك يقتضي دخوله في معنى « لكن » ولا يخفى فساد ذلك . فالوجه ان يكون مجموع « وما كنت ثاوياً » الى قوله : « مرسلين » معطوفاً على : « وما كنت بجانب الغربي » الى قوله « العمر » . فان قلت : هلا جعلت : « وما كنت ثاوياً » معطوفاً على « وما كنت من الشاهدين » [١١٩] وحده دون ما بعده ؟ قلت : يلزم ان ينوى به التقديم حينئذ على قوله : « ولكنا انشأنا قرونا » ، واذ ذاك تخرج عن موضعها فان سبيل « لكن » سبيل « الا » . وكما لا يجوز ان تقول : « جاء القوم وخرج أصحابك الا زيداً والا عمراً » على ان تجعل « زيداً » استثناء من « القوم » و « عمراً » من « خرج أصحابك » ، كذلك لا يجوز ان تصنع مثل ذلك بـ « لكن » فتقول : « ما جاءني زيد وما خرج عمرو ولكن بكراً حاضر ولكن اخاك خارج » ، والتقدير الذي ابتدأته مؤدٍ الى هذا .

ومنه قول المتنبي [من الوافر] :

تَوَلَّوْا بَغْتَةً وكأنَّ بَيْناً تَهَيَّبَني ففاجأني اغْتيالا

فكانَ مسيرُ عيسهم ذَميلاً

وَسَيْرُ الدَّمْعِ إثْرَهُمُ انهمالا[2]

[١٢٠] فقوله : « فكان مسير عيسهم ذميلاً » وقوله : « وسير الدمع » معطوف (على « تولوا »)[3] الى آخر البيت لا على « ففاجأني » وحده لئلا يدخل في صلة « كأن » فيقضي على ان لا يكون لـ « مسير عيسهم » حقيقة كما في الداخل عليه وهو « تهيبني » .

---

(١) سورة القصص ، الآيتان ٤٤ ، ٤٥ .
(٢) البيتان من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار (ينظر ديوان المتنبى ج ٣ ص ٢٢١) .
(٣) سقطت فى ش .

الفن الحادي عشر
في معرفة أسباب التقديم والتأخير

فنقول : التقديم في اللسان تبع للتقديم في الجنان[١] على ما سنبين ان الالفاظ تتبع المعاني والمعاني تتقدم باعتبارات خمسة :

الاول : تقدم العلة والسببية على المعلول والمسبب كتقدم المضيء على الضوء وليس تقدما بالزمان ، لان جرم الشمس لا[٢] ينفك عن الضوء .

الثاني : التقدم بالذات كالواحد على[٣] الاثنين وليس الواحد علة لوجود الاثنين بخلاف القسم الاول .

الثالث : بالشرف كتقدم الأنبياء على الاتباع ، والعالم على الجاهل .

الرابع : بالرتبة كتقدم الامام على المأموم والجنس الاعلى على ما تحته اذا جعل مبتدأ .

الخامس : بالزمان كالابعد من الآن مع الأقرب اليه ، ومنه تقدم الوالد على الولد فان الوالد وجد في زمان لم يكن فيه الولد[٤] موجودا .
فما كان من المعاني متقدما على غيره بأحد هذه الاعتبارات [١٢١] أو بأكثرها كان في العبارة كذلك . ومن التقدم بالزمان : « وعاداً وثموداً وقد تبيّنَ لكم من مساكنهم »[٥] . ومنه : « وجعلَ الظلماتِ والنورَ[٦] » فان الظلمة سابقة على النور في الاحساس ، وكذلك الظلمة المعنوية سابقة على النور المعنوي . ومنه قوله تعالى : « واللهُ أخرجكم من بطونِ امهاتِكم لا تعلمونَ شيئاً وجعل لكم السَّمْعَ والأبصارَ والأفئدةَ[٧] » فانتفاء العلم ظلمة وهي متقدمة بالزمان على نور الادراكات . وقوله تعالى : « في ظلمات ثلاث[٨] » اشارة الى ظلمة الرحم والبطن والمشيمة وقيل ظلمة

---

(١) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : المقدم فى اللسان تبع للتقدم فى الجنان .
(٢) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : لم .
(٣) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : مع .
(٤) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : لم يكن الولد فيه .
(٥) سورة العنكبوت ، الآية ٣٨ .
(٦) سورة الانعام ، الآية ١ .
(٧) سورة النحل ، الآية ٧٨ .
(٨) سورة الزمر ، الآية ٦ .

الصلب والرحم والبطن فهذه ظلمات ثلاث محسة . وفي الآية الاولى ظلمات ثلاث معقـولة ، ومن المتقـدم بالطبـع قـوله تعـالى : « مَثْنى وثُلاثَ ورُباعَ[1] » ونحوه : « ما يكون من نجو ثلاثةٍ الاّ هو رابعُهم[2] » ، وكذلك مراتب العدد . وكل مرتبة هي أدنى من الأخرى فهي متقدمة على ما فوقها وهذا من مرتبة التقدم بالذات .

ومن التقدم بالسببية[3] تقدم العزيز على الحكيم لانه عز فحكم . ومنه : « يحب التوابين ويحب المتطهرين[4] » فان التوبة سبب للطهارة وكذلك : « كل أفاك أثيم[5] » فان الافك سبب للاثم ، وكذلك : « معتد أثيم[6] » .

ومن التقدم بالرتبة قوله تعالى : « يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر[7] » ، فانّ الذين يأتون رجالاً الغالب [١٢٢] ان يكونوا من المكان القريب والذي يأتي على الضّامر يأتي من المكان البعيد . على انه (قد)[8] روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : « وددت اني حججت راجلاً فان الله عز وجل[9] قدم الرجال على الركبان في القرآن » فجعله من باب التقدم بالفضيلة والشرف والمعنيان موجودان عند كثير من العلماء . وقوله تعالى : « همّازٍ مشّاءٍ بنميم[10] » من هـذا القبيل فان الهماز هو العياب وذلك لا يفتقر الى مشي بخلاف النميمة ، فانها نقل للحديث من مكان[11] الى مكان عن شخص الى شخص . ومن التقدم بالشرف قوله تعالى : « فاغسلوا

---

(١) سورة النساء ، الآية ٣ .
(٢) سورة المجادلة ، الآية ٧ .
(٣) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : ومن مرتبة التقدم بالسببية .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٢٢ .
(٥) سورة الشعراء ، الآية ٢٢٢ .
(٦) سورة القلم ، الآية ١٢ .
(٧) سورة الحج ، الآية ٢٧ .
(٨) سقطت فى ش .
(٩) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : فان الله تعالى .
(١٠) سورة القلم ، الآية ١٣ .
(١١) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : فلما نقل الكلام من موضع الى مكان .

وجوهكم وايديكم .... وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم[1] » . ومنه : « من النبيين والصديقين[2] .

ومنه تقديم السمع على البصر وسميع على بصير ، وقد جعل تقديم الجن على الانس من هذا النوع لاشتمال الجن على الملائكة . قال سبحانه وتعالى : « وجعلوا بينه وبين الجِنَّةِ نسباً[3] » . وقال الأعشى [من الطويل] :

وسخّر من جن الملائك سبعة قياماً لديه يعملون بلا أجر

ونحو قوله تعالى : « لم يَطْمِثْهُنَّ انسٌ قبلهم ولا جانٌ[4] » . وقوله تعالى : « فيومئذ لا يُسْأَلُ عن ذنبه انسٌ ولا جان[5] » . وقوله تعالى : « وأَنَّا ظننا أنْ لن تقولَ الانسُ والجنُ على اللهِ كَذِبا[6] » . الجن في ذلك كله لا يتناول الملائكة عليهم السلام لنزاهتهم عن العيوب ولا يتوهم عليهم الكذب [١٢٣] وسائر الذنوب فلما لم تتناول الملائكة عموم لفظ الجن بدأ بلفظ الانس لفضلهم .

اشارة :

وقد يكون في كل واحد من الأمرين صفة تقتضي التقديم لكن تكونُ احداهما أهم في مكان فيقدم فيه[7] وان أخر . فمنه قوله تعالى : « انما أموالكم وأولادكم فتنة[8] » . وتقديم الأموال من باب تقديم السبب فانه انما يشرع في النكاح عند قدرته على مؤنه فهو سبب التزوج ، والنكاح سبب للتناسل ، ولان المال سبب للتنعم بالولد وفقده سبب للشقاء به ، وكذلك

(١) سورة المائدة ، الآية ٦ .
(٢) سورة النساء ، الآية ٦٩ .
(٣) سورة الصافات ، الآية ١٥٨ .
(٤) سورة الرحمن ، الآية ٥٦ .
(٥) سورة الرحمن ، الآية ٣٩ .
(٦) سورة الجن ، الآية ٥ .
(٧) كذا في ش ، أما في الاصل ود : لكي تكون احداهما أخص في مكان فيقدم وان أخر .
(٨) سورة الانفال ، الآية ٢٨ .

تقديم النساء على البنين (في قوله تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النسـاء والبنين)[1] والقناطير المقنطـرة من الذهب والفضة والخيـل المسوَّمَـة والانعام والحرث[2] » • انما أخر ذكر الذهب والفضة على النساء والبنين لانهـا أقوى في الشهوة الجبلية من المـال ، فان الطبع يحث على بذل المال لتحصيل النكاح والولد • قال الشاعر [من السريع] :

لولا بُنَيَّـات كزغب القطـا رُدِدْنَ من بَعْضٍ الى بَعْضِ
لـكان لي مُضْطَرَبٌ واسـعٌ في الأرْضِ ذات الطول والعَرْضِ
وانَّمـا اولادُنـا بَيْنَنَـا •• أكبادُنا تمشي على الأرض[3]

والنساء أقعد من الأولاد في الشهوة الجبلية والبنون [١٢٤] أقعد من الأموال ، والذهب أقعد من الفضة ، والفضة أقعد من الانعام أو وسيلة الى تحصيل النعم فلما صدرت الآية بالحب وكان المحبوب مختلف المراتب اقتضت حكمة الترتيب ان تقدم ما هو الأهم فالأهم من رتبـة المحبوبات • وأما تقـديم السماء على الارض فلانها أكمل شرفاً ومستقراً وأخرت في قوله تعالى : « وما يَعْزُبُ عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء »[4] ؛ لانه لما تقدم ذكر الخاطئين[5] وهو قوله تعالى : « ولا تعملون من عمل الاّ كنا عليكم شهودا اذ تُفيضون فيه »[6] وهو بخلاف الآية التي في سبأ أيضاً فانها منتظمة في سياق علم الغيب[7] • فان قلت : « سميع عليم » من أي نوع ؟ قلت : هو من نوع التقديم بالرتبة فان ذلك يتضمن التخويف والتهديد فبدأ بالسمع لتعلقة بالاصوات وان من يسمع حسك قـد يكون اقرب اليك في العادة[8] ممن يعلم وان كان علم الله تعالى يتعلق بما ظهر

---

(١) سقطت فى ش •
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٤ •
(٣) الابيات لخطاب بن المعلى • (ينظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقى القسم الاول ص ٢٨٥ وما بعدها) •
(٤) سورة يونس ، الآية ٦١ •
(٥) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : فلانه لما تقدم ذكر الخطابين •
(٦) سورة يونس ، الآية ٦١ •
(٧) فى سورة سبأ الآية ٣ : « ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ••• » •
(٨) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : قد يكون فى العادة أقرب اليك •

وما بطن • فان قلت : « فالغفور الرحيم » قلت : هو من باب الرتبة أيضاً فان المغفرة سلامة والرحمة غنيمة والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة • وأما « الرحيم الغفور » في سبأ فلانها منتظمة في سلك تعداد أصناف الخلق من المكلفين [١٢٥] وغيرهم وهو قوله تعالى : « يعلم ما يَلِجُ في الارضِ وما يَخرُجُ منها وما ينزِل من السماء وما يَعْرُجُ فيها وهو الرحيم الغفور[١] » • فالرحمة تشملهم جميعاً والمغفرة تخص بعضاً والعموم قبل الخصوص بالرتبة • ومنه : « فاكهة ونخل ورمان[٢] » و « مَنْ كان عدواً لله وملائكته وجبريل وميكال »[٣] •

ومما قدم فيه الفضل : « واسجُدِي واركعي[٤] » لكون السجود أفضل • قال عليه السلام : « أقرب ما يكون العبد الى الله وهو ساجد » ، فان قلت فالركوع قبل السجود بالزمان والرتبة والعادة لانه انتقال من علو الى انخفاض والعلو بالرتبة قبل الانخفاض • قلت : ليس المراد بـ « اركعي » مجرد الركوع بل مجموع الصلاة (فكأنه قيل : « صَلِّ مع المصلين » • والركوع يعبر به عن مجموع الصلاة)[٥] • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لرجل دخل المسجد (وهو يخطب)[٦] فجلس ولم يُصَلِّ : « قم فاركع ركعتين » وكذلك : « اسجدي » ولم يرد السجود وحده فصارت الآية متضمنة لصلاتين صلاتها وحدها وهي في بيتها وهي التي عبر عنها بالسجود ، فان السجود أفضل حالات العبد كما ان صلاة المرأة وحدها أفضل صلواتها ، وأما صلاتها في المسجد فعبر عنها بالركوع لانه دون السجود في الفضيلة كما أن صلاتها مع المصلين [١٢٦] دون صلاتها وحدها • ودل على هذا قرانه بالركوع مع الراكعين ولم يقل في السجود مع الساجدين •

---

(١) سورة سبأ ، الآية ٢ •
(٢) سورة الرحمن ، الآية ٦٨ •
(٣) سورة البقرة ، الآية ٩٨ •
(٤) سورة آل عمران ، الآية ٤٣ •
(٥) سقطت فى ش •
(٦) سقطت فى ش •

ومما ينتظم في سلك هذا العقد البديع قوله جل وعلا : « وَطَهِّرْ بيتي للطائفينَ والقائمينَ والرُكَّعِ السُّجودِ [1] » ، فقدم « الطائفين » بالرتبة والقرب من البيت المأمور بتطهيره من أجل الطواف وانما جمعوا لان الجمع أدلّ على العموم من المفرد ، وانما جمعوا جمع السلامة لان جمع السلامة أقرب الى لفظ الفعل ، و « طائفون » بمنزلة يطوفون فيكون اذ ذاك في لفظ « الطائفين » ما هو مشعر بعلة التطهير وهو حدوث الطواف وتجدده . ولو (كان) [2] بدل الطائفين « الطواف » لم يفد ذلك لان لفظ المصدر يخفي ذلك ولا يبينه . ثم ثنى بـ « القائمين » لانه يلي « الطائفين » في الرتبة لانه في معنى العاكفين ، فالعكوف يخص موضعاً والطواف بخلافه فكان أعم منه ، والاعم قبل الأخص رتبة وجمع العاكفين جمع السلامة لقربهم من البيت كما في الطائفين ، ثم ثلث بـ « الركوع » لانه لا يلزم ان يكون في البيت ولا عنده ، ومن ثم لم يجمع جمع السلامة اذ لا يحتاج فيه الى بيان الفعل الذي يبعث على التطهير كما احتيج فيما قبله . ثم وصف الركع بالسجود ولم يعطف بالواو ولان الركع [١٢٧] هم السجود والشيء لا يعطف على نفسه ، ولان السجود يكون عبارة عن المصدر والمراد به ههنا الجمع فلو عطف بالواو لأوهم ارادة المصدر دون اسم الفاعل ولان الراكع ان لم يسجد فليس براكع شرعاً فلو عطف بالواو لأوهم انه حكم يجري على حياله . فان قلت : هلاّ قيل السجد كما قيل الركع كما جاء في آية أخرى : « تراهم رُكَّعاً سُجَّداً [3] » ، أو الركوع كما قيل السجود ؟ قلت : السجود يطلق على وضع الجبهة على الارض وعلى الخشوع ولو قال : « السجد » لم يتناول الا المعنى الظاهر . ومنه : « تراهم ركعاً سجداً » وهو من رؤية العين ورؤية العين لا تتعلق الا بالظاهر فقصد بذلك الرمز الى السجود المعنوي والصوري بخلاف الركوع فانه ظاهر في أعمال الظاهر التي يشترط فيها البيت كما في الطواف والقيام المتقدمين دون اعمال القلب فجعل السجود

---

(١) سورة الحج ، الآية ٢٦ .
(٢) سقطت في ش .
(٣) سورة الفتح ، الآية ٢٩ .

وصفاً للركوع وتتميماً لـه ؛ لان الخشوع روح الصلاة وسرها الذي شرعت له ٠

اشـارة :

قد يعرض للتقديم جهة ليست من الجهات المذكورة وهي الخفة كقولهم : « ربيعة ومضر » ، وانما قدمت « ربيعة » مع ان « مضر » أشرف لئلا يفضي الى كثـرة الحركات المتوالية فاخرت « مضر » تتقف عليهـا بالسكون ٠ وقد يجعل تقديم [١٢٨] الجن على الانس لهذا الغرض فالانس أخف لمكان النون والسين المهموسة ، وكان تقديم الاثقل أولى لنشاط المتكلم في أول كلامه ٠

الفن الثاني عشر
في قوانين كلية يتعرف بها أحوال النظم

القانون الاول فيما يتحقق به بيان العبارات :

اعلم انه لا يكون لاحدى العبارتين مزية على الأخرى مع اتحـاد المعبّر عنه حتى يختص بتأثير لا يكون للاخرى ٠ فان قلت : اذا تمايزتا لا تكونان عبارتين عن معنى واحد ٠ قلت : المراد من كون المعبر عنه واحدا ان اصل الغرض واحد كقصد تشبيه زيد بالأسد فيعبر عنه تارة بقوله : « كأنَّ زيداً الأسدُ » وتارة بقوله : « زيدٌ كالاسد » وان افاد بالاول انه على فرط من الشجاعة بحيث لا يتميز عن الاسد وان جاء ذلك من نظم اللفظ حيث قدم الكاف وركبها مع « ان » ٠ ونظيره قول الناس : « الطبع لا يتغير » ٠ ثم ينظر الى هذا في قول المتنبي [من المتقارب] :

يُــراد من القَلْــب نسيانُكــم   وتأبى الطباعُ على الناقِـلِ [1]

فتجده قد خرج في أحسن صورة وتحول جوهرة بعدما كان خرزة لما اكتسى من المقاصد في هذا النظم ، وعرى عنها في النظم الأول مع اتحادهما في المقصد الاصلي . ونظير ذلك في اكتساء الجمال ما تراه من قولهم [١٢٩] : « أرى قوماً لهم منظر وليس[2] لهم مخبر » عندما نظمه الآخر فقال [من المنسرح] :

لا يَغْــررنك الثيــابُ والصُّــوَرُ   تِسْعَــةُ أعشارِ مَنْ ترى بَقَــرُ
في شَجَــرِ السَّرْوِ منهم شَبَــهٌ   لَــه رِواءٌ ومــا لــه ثَمَــرُ [3]

وأحسن من قولهم : « كأنَّ زيداً الاسد » : « ان لقيته ليلقينك الاسد منه » . وآنق منه قول أرطاة بن سهية : [من البسيط] :

انْ تَلْقَني لا ترى عينــي بناظــرةٍ
تَنْسَ السلاحَ وتعْرِفْ جَبْهَةَ الأسدِ [4]

القانون الثاني في دلالة الكلام :

كل كلام معناه اما مستفاد منه كـ « خرج زيد وعمرو » ، واما مستفاد من دلالة معناه . ومدار هذا الضرب على الكناية والاستعارة والتمثيل ، كما اذا قلت في المرأة : « هي نؤوم الضحى » فمقصودك انها مترفة لها من يخدمها ويكفيها امرهـا . واذا قلت : « فاني جبانُ الكلب مهزولُ الفصيل[5] » فمرادك اني مضياف ولكن ليس هذا المدلول هو الذي وضع اللفظ له حقيقة بل قولهم « نؤوم الضحى » انما يدل من جهة الحقيقة على النوم في الضحى ، و « جبان الكلب مهزول الفصيل » انما يدل حقيقة

---

(١) البيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة . (ينظر ديوانه ج ٣ ص ٢٢) .
(٢) كذا في الاصل ود والايضاح ص ٢١٥ اما في ش : وما لهم .
(٣) البيتان لابن لنكك . ينظر الايضاح ص ٢١٥ .
(٤) ينظر الايضاح ص ٣٦٤ .
(٥) البيت لابن هرمة وهو :
وما يك في من عيب فاني   جبان الكلب مهزول الفصيل

انه لا ينبح ولا يقدم على أحد وعلى ان الفصيل ضعيف • فهذا معنى والمعنى الأول معنى معنى اللفظ •

اشـــارة :

كم ممن يعدمن [١٣٠] المحصلين يعتقد ان المعنى تبع للالفاظ حيث رأى سهام المعاني تخرق قرطاس سمعه بعد قرع الالفاظ هدف اذنه منكبا عن معرفة تغير المعنى مع بقاء الالفاظ على أماكنها الا مقدار ما يعرض لها من تقدير وتقديم ، أو تأخير أو زيادة أو حذف أو غير ذلك[١] ليصح بذلك المعنى المطلوب ولو عرف ذلك لقضى بان الالفاظ هي التابعة وان المعاني هي المتبوعة من ذلك ما أنشده أبو علي في التذكرة :

نم وان لم انم كراي كراكا

ثم قال : ينبغي ان يكون « كراي » خبراً مقدماً وان يكون الأصل « كراك كراي وان لم أنم » • ونظيره [من الطويل] :

بَنـونا بنـو أبنائِنـا وبناتُنـا بنوهُنَّ ابنـاءُ الرجالِ الأباعـدِ

والتقدير : « بنو ابنائنا بنونا » وانما ارشد الى ذلك المعنى • ومن الباب قوله تعالى : « قل ادعوا اللهَ أو ادعوا الرحمن[٢] » • ليس المعنى على ادعوا مسمى هذا الاسم أو مسمى هذا الاسم ، بل على ادعوا بهذا الاسم أو بهذا كقولك : « هو يدعو زيداً أو تدعو الأمير » ومن حمل الكلام على غير حذف كاد يقع في الشرك اذ يخرجه الى اثبات مدعوين • ومما يرشد الى المحذوف انه لا يستقيم ان تعمد الى اسمين كلاهما لشيء واحد فتعطف احدهما على الآخر بـ « أو » [١٣١] فتقول : « ادع اليّ زيداً أو الامير » والامير هو زيد ، وأيضاً فان قوله : أياً ما تدعوا[٣] » محال ان يتوجه

---

(١) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : من تقديم وتقدير أو تأخير أو زيادة أو حذف أو نحو ذلك •

(٢) سورة الاسراء ، الآية ١١٠ •

(٣) سورة الاسراء ، الآية ١١٠ •

نحو شيء واحد لان من شأن « أي » أن تكون لواحد مما هو أكثر منه •

ومن المشكل قراءة من حذف التنوين من « عزير » في قوله تعالى : « وقالت اليهودُ عزيرٌ بنُ اللّه[1] » فمنهم من حمل ذلك على حذف التنوين للساكنين كما قرأ بعضهم : « قل هو اللّه أحد اللّه الصمد[2] » وكما قرأ عمارة بن عقيل[3] : « ولا الليل سابق النهارَ[4] » بنصب « النهار » وترك تنوين « سابق » • فقيل له ما تريد ؟ فقال : « سابق » • قيل له : فهلا قلته ؟ قال : لو قلته لكان ارزن • ومنهم من قال : حذف التنوين لكون الابن صفة[5] ، وعلى هذا في الكلام محذوف فقيل انه مبتدأ تقديره : « هو عزير بن اللّه » تعالى اللّه عما يشركون • وقيل انه خبر تقديره : « معبود » ، وهو قول من التحقيق على مفاوز • وبيانه انك اذا قلت حكاية عن انسان انه قال : « زيد بن عمرو سيد » ثم كذبته فيه لم تكن منكراً كونه زيداً بن عمرو ولكن ان يكون سيداً • وكذلك ان قال : « زيد الفقيه قد قدم » فقلت : « كَذبت » ، لم تكن منكراً قوله : « زيد الفقيه » بل قوله : « قد قدم » • فالتصديق والتكذيب أبداً ينصرفان الى آخر الخبر دون الصفة ، وينبئك بصحة ذلك انك تقول : « ما جاءني زيد الظريف » فتصرف النفي الى المجيء دون الظرافة بل يبقى الظريف ثابتاً في النفي ثبوته في الايجاب ، ولان من شأن الصفة ان تكون ثابتة عند المخاطب [١٣٢] ثبوتها عند المتكلم والا لما حصل بها التمييز • اذا عرفت ذلك ظهر لك ان جعل الابن صفة في الآية مؤدٍ الى أمر عظيم وهو اخراجه عن موضع الانكار الى الثبوت تعالى اللّه عن ذلك • فان قلت : جعله صفة قول مشهور فهل يمكن تصحيحه ؟ قلت : يمكن ان يقال وان كان على بعد

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٣٠ •

(٢) سورة الاخلاص ، الآيتان ١ ، ٢ •

(٣) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، شاعر مقدم فصيح من أهل اليمامة كان يسكن بادية البصرة ويزور الخلفاء من بني العباس • وكان النحويون في البصرة يأخذون اللغة عنه • ولد سنة ١٨٢هـ ومات سنة ٢٣٩هـ •

(٤) سورة يس ، الآية ٤٠ •

(٥) كذا في الاصل ود ، أما في ش : حذف التنوين من الابن صفة •

ان المقصود الدلالة على ان اليهود كان قد بلغ من جهلهم انهم يذكرون عزيراً عليه السلام هذا الذكر كما تقول في قوم قد ضلوا في أمر واحد منهم وبلغوا النهاية في تعظيمه يقولون ابداً زيد الامير ، تريد انهم كذلك ذكرهم له وانما يستقيم هذا التأويل اذا أنت لم تقدر له خبراً معيناً ولكن تريد ان ذكرهم له هذا الذكر . ومما هو من قبيل ما نحن فيه قوله تعالى : « ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم[1] » فذهبوا الى ان « ثلاثة » خبر مبتدأ والتقدير : « الهتنا ثلاثة » ، وليس بمستقيم لايهامه اثبات الالهة لان النفي انما يَرِد على المعنى المستفاد من الخبر لا على معنى المبتدأ . فاذا قلت : « ما زيد منطلقاً » لم تنفِ معنى « زيد » بل معنى « منطلق » فيلزم في الآية ان تكون قد نفيت كون الالهة ثلاثة ولم تنف كونها آلهة كما تقول « ليس امراؤنا ثلاثة » (فالوجه ان تجعل « ثلاثة » صفة لمبتدأ تقديره : ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة)[2] أو في الوجود آلهة ثلاثة . وحذف الخبر وهو « لنا » أو « في الوجود » مطرد في كل ما معناه التوحيد نحو : « لا اله الا الله » [١٣٣] .

وأما حذف الموصوف بالعدد فشائع اذا عرف كقولك : « عندي ثلاثة » وأنت تريد الدراهم ويجوز ان يكون المحذوف مميزاً ويكون التقدير ولا تقولوا ثلاثة آلهة أي لنا ثلاثة الهة فتنفي الوجود عن الالهة كما تنفيه عن الشريك في قولك : « لا اِله الا الله » وعلى تقديرهم يلزم ان يكونوا قد نفوا عدة الآلهة لا وجودهم فان قلت : فنفي الوجود عن الهة ثلاثة يجوز معه وجود الهين اذ لا ينفي ذلك كما تقول : « ليس لنا امراء ثلاثة لكن لنا اميران » . قلت : لكن قولك « الهتنا » يوجب ثبوت الهة . وقولنا : « ليس لنا الهة ثلاثة » لا يوجبه فان قلت : كما لا يوجبه لا ينفيه قلت : ان لم ينفه فقد نفاه ما بعده من قوله : « انما الله اِله واحد » . فان قلت : كما تنفي الاثنينية فكذلك تنفي الثلاثة فلم كان تقديرك أولى قلت : يلزم من تقديرهم

---

(١) سورة النساء ، الآية ١٧١ .
(٢) سقطت فى ش .

ثبوت الهة غايته انه أتى بعده ما ينقضه فيقضي ذلك الى المناقضة وليس تقديرنا يقضي الى اثبات الهين ينقضه ما بعده ، ومن ثم صح : « ولا تقولوا لنا الهة ثلاثة ولا الهان » كقولك : « ليس لنا الهة ولا الهان » ولا يصح على تقديرهم • فان قلت : انه حكاية عن الكفار فلا يلزم اثبات الهة كما تقول : « ان من دين النصارى ان يقولوا الالهة ثلاثة » قلت : صدر الآية يبطل هذا ، وهو قوله عز وجل : « يا أهل الكتاب [١٣٤] لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على اللهِ الا الحقَ انما المسيحُ عيسى بنُ مريمَ رسولُ الله وكلمته القاها الى مريم ورُوحٌ منه فآمِنوا باللهِ ورسلِهِ ولا تقولوا ثلاثةٌ انتهُوا خيراً لكم[١] » وقوله : « ولا تقولوا » في معنى « ولا تعتقدوا » والاعتقاد يتعلق بالخبر لا بالمخبر عنه كما تقول : « لا تعتقدوا ان الامراء ثلاثة » فهذا نهي عن اعتقاد كون الامراء على هذه العدة ولا يستقيم ان يكون ذلك خطابا مع المؤمنين وانهم (نهوا ان يحكوا عن النصارى مقالتهم وانهم)[٢] يقولون كيت وكيت فقد حكى الله عز وجل[٣] عن اليهود قولهم : « عزير بن الله » وعن النصارى ان المسيح بن الله وكيف يصح ان ينهى عن حكاية قول المبطل وفي ذلك ترك الاحتجاج عليه والافصاح ببطلان مذهبه •

القانون الثالث في جهة اضافة الكلام الى قائله :

كل نثر أو نظم أضيف الى قائله فليس من جهة كونه اذا وضع بل انفس الكلم بمعزل عن الاختصاص لكن من جهة توخي معاني النحو في

---

(١) سورة النساء ، الآية ١٧١ •
(٢) سقطت فى ش •
(٣) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : تعالى •

معاني (الـكلم)[1] ، وذلك لان من شأن الاضافة والاختصاص وهي تناول الشيء من الجهة التي يختص بها المضاف اليه كقولك : « غلام زيد » فان الاضافة تناولت الغلام من جهة كونه مملوكاً • وحال أنفس الكلم مـــع المؤلف[2] حال الابريسم [١٣٥] مع ناسج الديباج ، والذهب مع الصائغ • وليس قائل الشعر قائلاً له من حيث نطق بالـكلم (ولـكن من حيث ألف وصـنع في المعـاني مـا صـنع ولو كـان قـائلاً لـه)[3] لقيـل لحاكي الشعر انه شاعر وانه قائل لما حكاه • فان قلت : انما لم يقل لحاكي الشعر انه ليس بشاعر لانه ليس أول من أبتدأ فيها النسق والترتيب بخلاف الشاعر الاول ؟ قلت : لم يكن امرؤ القيس قائلا : « قفا نبك من ذكـرى حبيب ومنزل » ومرتباً هذا الترتيب الا من جهة جعله « نبكِ » جوابا للامر ومن تعديه الى « ذكرى » و « ذكرى » مضافة الى « حبيب » ، و « منزل » معطوفاً على « حبيب » • وهذا معنى قولنا انه لم يكن قائلاً للشعر الا من جهة انه يوخي معاني النحو في معاني الـكلم وليس للترتيب جهة أخرى فيضاف اليهـا الشعر والتأليف لن يعـدو حكاية الالفاظ والاجراس عـن الحروف •

القانون الرابع في معرفة الفصاحة :

الكلام الفصيح لا يعدو قسمين : قسم تعزى المزية فيه الى اللفـــظ المفرد ، وقسم تعزى المزية فيه الى النظم • فالاول الكناية والتمثيل الجاري على حد الاستعارة وكل ما كان فيه مجاز واتساع • فمتى وقع ضرب من

(١) سقطت فى ش •
(٢) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : مع المتكلم •
(٣) سقطت فى ش •

ذلك على شريطته اقتضى المزية • من ذلك قول ابن هرمة[1] [من المنسرح] :

[لا أمتع العوذ بالفصالِ] ولا ابتاع الا قريبةَ الاجل[2]

فانك اذا أنعمت النظر وجدته يريد غير ظاهر اللفظ ، وان مراده انه لا يشترى [١٣٦] ما يشتريه الا للأَضياف وانه اذا اشترى بعيراً أو شاةً (فقد)[3] اشترى ما دنا أجله • ويناظره في الاستعارة قول الآخر[4] : [من البسيط] :

فأسْبَلَتْ لؤلؤاً من نَرْجِسٍ وَسَقَتْ
وَرْداً وعَضَّتْ على العُنّاب بالبردِ[5]

وكذا قول حسن بن هانيء [من السريع] :

تبكي فتذْري الدُرّ من نَرْجِسٍ
وتنْظِمُ الوَرْدَ بعُنّابٍ[6]

تنبيه :

اذا رشحت الاستعارة بلغت بالمجاز الذروة العليا وهو أن تأتي بما هو

---

(١) هو ابراهيم بن على بن سلمة ، شاعر غزل من سكان المدينة ولد سنة ٩٠هـ • رحل الى دمشق ومدح الوليد بن يزيد ثم وفد على المنصور العباسى فى وفد من أهل المدينة فتجهم له ثم أكرمه • وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم • توفى سنة ١٧٦هـ •

(٢) العوذ : النوق الحديثة النتاج واحدتها عائذ • والفصال : جمع فصيل • والزيادة من الايضاح ص ٣٢٢ •

(٣) سقطت فى ش •

(٤) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : ويناظره قول الآخر فى الاستعارة •

(٥) البيت للوأواء الدمشقى ينظر الطراز ج ١ ص ٢٠٨ ، ٢٩٢ •

(٦) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش :

تبكى فتذرى الدمع من نرجس وتلطم الورد بعناب

وفى ديوانه ص ٢٤٢ وكتاب الصناعتين ص ٢٠١ :

يبكى فيذرى الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب

وفى الطراز ج ١ ص ٢٩١ : وتمسح الورد بعناب • وأخذه الوأواء الدمشقى فزاد عليه زيادة عجيبة وقال :

واسلبت لؤلؤا من نرجس فسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

فجاء بما لا يقدر أحد أن يزيد عليه •

من شكلة وتقضيه بما هو من توابعه ، فاذا تواخت تلك الكلمات لم تَرَ كلاماً أحسن منه ديباجة ، وحديثاً أنفذ منه سحراً ويسمى المجاز المرشح •
ومثاله قوله تعالى : « أولئك الذينَ اشتروا الضلالةَ بالهدى فما رَبِحَتْ تجارتُهم وما كانوا مهتدين[1] » • لمّا ذكر أن ثم شراء ومعارضة ثنى بذكر التجارة لتحقيق المعارضة ونفي الربح حيث اعتاضوا عن الهدى الذي كانوا في مكنة من تحصيله بظهور أدلته فصار لذلك بمنزلة الملك ورأس المال ، فلما بذلوه في مقابلة الضلالة لم يوضعوا باصابة الربح اذ فات عليهم رأس مالهم فان الضلال خسران مبين وان راجت مقاصدهم الدنيوية وقوله : « وما كانوا مهتدين » أي لطرق[2] التجارة ومن لا يكون مهتدياً لطريق الاتجار حقيق باضاعة رأس ماله •

ومن ترشيح الاستعارة قول ابن نباتة[3] : « ايها الناس ان الموت غمام طبق الخلق سحابه [١٣٧] وحسام أزهق النفوس ذبابه ، وغراب بين لا يغب نعابه ، وداعي شتات سرعة الاغماض جوابه » •

ومنه [من الطويل] :

ولما رأيت النسر غر ابن داية   وعشعش في وكريه جاش له صدري

لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر العشعشة[4] والوكر •

وكما ترشح الاستعارة فقد ترشح الحقيقة وهو ان تتبع المجاز بما هو من روادف الحقيقة ولوازمها • مثاله : « فلان أسد يكيل الابطال برمحه وبحر يأوى الى ذراه العافون وعلم يهتدى بعلمه وصارم في منثوره ومنظومه»

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٦ •
(٢) كذا في الاصل ود ، أما في ش : لطريق •
(٣) هو عبدالرحيم بن محمد بن اسماعيل صاحب الخطب المنبرية كان مقدما في علوم الادب واجمعوا على ان خطبه لم يعمل مثلها في موضوعها • ولد في ديار بكر سنة ٣٣٥هـ وسكن حلب فكان خطيبها • توفى سنة ٣٧٤هـ •
(٤) كذا في الاصل ود ، اما في ش : التعشعش •

كأنك قلت : شجاع يكر في الابطال برمحه وكريم يأوى الى داره العافون وعالم يهتدى بعلومه وبليغ في منثوره ومنظومه •

وأما ما تعزى المزية فيه الى النظم فهو الذي عقد له الركن الثاني •

الرُّكنُ الثّالِث

في مَعرِفةِ أحوالِ اللّفظِ وَأسماءِ أصنافِه

في عِلمِ البَديع

الركن الثالث
في معرفة أحوال اللفظ وأسماء أصنافه في علم البديع

وفيه مقدمة واصناف ، أما المقدمة فتشتمل على بحث كلي يتعلق بمخارج الحروف فنقول :

قد علم ان الكلم مركب من الحروف ومنها ما هو ثقيل في النطق[١] كحروف الحلق ومنها ما هو بخلافه . ثم قد تتلاءم الحروف في سهولة المخرج وفي ثقله وقد تتنافر فاذا توافقت في الثقل أو تنافرت في التركيب قيل لفظ [١٣٨] مستهجن ومعقد وثقيل نحو قولك : « غعقخق » . واذا تلاءم التركيب قيل عبارة سهلة . ومن المستهجن المتنافر [من الرجز] :

وقبر حرب بمكان قفر … وليس قرب قبر حرب قبر[٢]

حتى قيل انه لا يمكن ان ينشد على نفس ثلاث مرات الا يغلط فيه منشده ، ومن ثم قيل : انه من شعر الجن . (ويتعلق بمخارج الحروف وبيان خفيفها من ثقيلها والكيفيات التي تعرض لها وما به يقع اعتبار الثقيل من الخفيف كلام ليس هذا موضع ذكره)[٣] ولا يخفى ان سهولة اللفظ وملاءمة المفردات تبعث على حفظه وتكسوه رونقاً وجمالا وهو قرين المعنى ومساوقه ، فلذلك وجب على الناظر في هذا العلم ان يتقدم معرفته بما ذكرناه في تركيب الحروف وان يعرف اصناف البديع ويعرف ما بينها من

---

(١) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : المنطق .

(٢) البيت مجهول القائل ، ولتنافر لفظه نسبوه الى بعض الجن وصنعوا فى ذلك قصة . ينظر البيان والتبيين ج ١ ص ٦٥ والحيوان ج ٦ ص ٢٠٧ والايضاح ص ٥ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ١٢ .

(٣) سقطت فى ش .

التفاوت وما اشتمل عليه كل صنف من الخصوصية حتى يقرن كل شكل بشكله وان يعرف اسماءها في الاصطلاح فان الجاهل بالقاب فن قد يعد من جملة الجاهلين به • وهذا الركن مشتمل على بيان ستة وعشرين صنفاً وما اهمل ذكره في هذا الركن فمعلوم مما ذكر فيه او مستغنى عن ذكره لاشتمال الركنين السابقين عليه وانه ليس متعلق غرضنا في هذا العلم •

الصنف الاول

التجنيس

ومنه التّام ويسمى المستوفى [١٣٩] ، وهو ان تعيد اللفظ الاول مع اختلاف المعنى نحو : « لولا اليمين لقبّلت اليمين » و « لا ملأ الراحة من استوطن[١] الراحة » • ومنه قول أبي تمام [من الكامل] :

ما ماتَ من كرمِ الزّمانِ فانه
يحيى لدى يحيى بنِ عبدالله[٢]

ولو اتفق المعنيان لما كان جناساً •

ومنه الناقص وهو ما عدا التام ، ثم النقص ان وقع بتغير الحركات سمي المختلف نحو : « لا تنال الغُرر الا بركوب الغَرَر[٣] » • ومنه : « البدعة شركُ الشرك » و « الجاهل اما مُفرِط أو مُفرِّط » •

وان وقع اختلاف بالحروف فاما ان تتفق الكلمتان في أصل واحد من جهة الاشتقاق أولا • فان اتفقتا سمي « المطلق » نحو قول جرير [من الطويل] :

فما زال معقولاً عقالٌ عن النّدى
وما زالَ محبوساً عن المجد حابس[٤]

---

(١) كذا في الاصل ود ، اما في ش : واستوطا •
(٢) ينظر ديوانه ص ٢٦٠ •
(٣) الغرر : جمع غرة وهو معظم الشيء وأوله • والغرر : التعريض للهلاك •
(٤) ينظر ديوانه ص ٣٢٦ •

وان لم يتفقا اشتقاقاً فان كان بينهما موافقة صورة مع ان احدهما من كلمتين سمى المركب نحو [من المتقارب] :

اذا مَلِكٌ لم يَكُنْ ذا هِبَه
فَدَعْهُ فدولته ذاهِبَه[١]

ومنه « فهمنا لما فهمنا » وقد يسمى هذا « المرفو » لضمك الى القصير الحرف الفائت لتعادل نظيرتها • وان اختلفا صورة ، فان كان ذلك بزيادة الحرف الاخير مع اتفاق ما قبله لفظاً وزنة وتمام معنى احداهما دونه سمي « المذيل » نحو « يا طوبى لرجل سالٍ من احزانه ، سالم من زمانه ، حامٍ لعرضه ، حامل لفرضه » • وان كان ذلك لغيره ، فان اتفقا صورة في الحروف دون النقط واللفظ فان كان ذلك في الكتابة بفصل سمي «المفروق» نحو قول الحريري : « ازمعت الشخوص من برقعيد وقد شمت برق عيد » • ومنه : « من ظلم نملة فنم له [١٤٠] ولا تقعد تحت رق تحترق » •

(وكقول البحتري [من الطويل] :

ولم يكن المعتز بالله اذ سرى ليعجز والمعتز بالله طالبُ)[٢]

وان اختلف اللفظ دون الخط سمي « تجنيس الخط » كقوله تعالى : « وهم يَحْسَبُونَ انهم يُحْسِنونَ صُنْعًا[٣] » • ومنه قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : « قصّر ثوبك فانه اتقى وابقى وانقى »•

وان لم يتفقا خطاً فان وقع التفاوت بحرف من الحروف المتقاربة سواء وقع أولا أو آخراً أو حشواً لقب « المضارع » كقوله عليه السلام « الخير معقود بنواصي الخيل » • ومنه قولهم : « ما خصصتني ولكن خسستني » •

وان كان بغير الحروف المتقاربة فهو التجنيس اللاحق[٤] كقوله تعالى :

---

(١) البيت لابى الفتح البستى وهو كاتب الدولة الغزنية واشهر المغرمين بالتجنيس فى الشعر والنثر • ينظر الايضاح ص ٣٨٤ •

(٢) سقطت فى ش •

(٣) سورة الكهف ، الآية ١٠٤ •

(٤) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : سمى اللاحق •

« وإنّه على ذلك لشهيد" • وإنّه لحب الخير لشديد"[1] » •

ومتى ولي أحد المتجانسين الآخر من غير فصل قيل له « المزدوج » نحو من « جَدَّ وجد » و « اذا ملأ الصاع انصاع » • ومنه قوله [من المديد] :

حدق الآجال اجالُ والهوى للناسِ قتال[2]

[١٤١] فالاول جمع « اِجل » بكسر الهمزة وسكون الجيم وهو القطيع من بقر الوحش والثاني جمع « أجل » بفتحهما وهو مدة الشيء •

وان نقص احدى كلمتي التام جرفاً عن الاخرى سمي « الناقص[3] » كقول البحتري [من الخفيف] :

هل لما فات من تلاقٍ تلافِ أمْ لصبٍ من الصبابة شافِ[4]

فان عرض للمنطق ان اضيف الى احدى الكلمتين قيل له « تجنيس الاضافة » كقول البحتري [من الوافر] :

أيا قَمَرَ التَّمامِ أعَنْتَ ظلماً
عليَّ تطاولَ الليل التمام[5]

فصار بالاضافة كالمختلفين [قال الغانمي][6] وكل تجنيس تجاذبه طرفان فلا يمكن اطلاق اسم احدهما عليه فهو المسمى بالمشوش[7] مثاله

---

(١) سورة العاديات ، الآيتان ٧ ، ٨ •

(٢) كذا في الاصل ود وش ، أما في الايضاح ص ٣٨٣ : للمرء قتال •

(٣) كذا في ش ، اما في الاصل ود : احدى كلمتي حرفا عن الاخرى فهو التجنيس الناقص •

(٤) كذا في الاصل ود ، أما في ش وديوان البحتري ج ١ ص ٤١٤ والايضاح ص ٣٨٨ : أو لشاك •

(٥) ينظر ديوان البحتري ج ١ ص ٣٩٤ • والبيت من قصيدة في مدح محمد بن عبدالله بن طاهر •

(٦) سقطت في ش ، والغانمي هو أبو العلاء محمد بن غانم وهو من مداحي نظام الملك . وكان مشهورا في البلاغة •

(٧) كذا في الاصل ود ، أما في ش : سمي بالمشوش •

قولهم : « فلان مليح البلاغة ، لبيق البراعة[1] » • فلو اتحد عين الكلمتين مثلا لكان تجنيس تصحيف ولو اتفق لابهما لكان من المضارع[2] ؛

الصنف الثاني
الترصيع

وهو ان تكون الكلمتان في استواء الوزن والعجز سواء مثل قوله تعالى : « إنَّ إلينا ايابَهم • ثم إنَّ علينا حسابَهم[3] » • وكقول الخنساء [من البسيط] :

حامي الحقيقة محمود الطريقة مجبوب الخليقة نفّاعٌ وضَرّارُ
جوّابُ قاصيةٍ جزّازُ ناصية عقّادُ ألويةٍ للخيلِ جرارُ[4]

وقد يجيء مع التجنيس نحو : « اذا كلت الابصار قلت الانصار[5] » [١٤٢] •

الصنف الثالث
الاشتقاق

وهو ان تأتي بالفاظ يجمعها أصل واحد ويكون معناه مشتركاً كما ان حروفه الاصول مشتركة فتزيد على معنى الاصل تغاير اللفظين بوجه

---

(١) كذا في الاصل ود ، أما في ش : فلان لبيق البراعة ، مليح البلاغة •
(٢) حدث اضطراب في الاصل ود وفي جزء من ش ، وقد صححنا الواحد من الآخر ، مستعينين بكتب البلاغة الاخرى كالايضاح والطراز وغيرهما •
(٣) سورة الغاشية ، الآيتان ٢٥ ، ٢٦ •
(٤) ينظر ديوانها ص ٧٠ • والبيت الثاني فيه :
حمال ألوية هباط اودية شهاد أندية للجيش جرار
(٥) في د : اذا قلت الانصار كلت الابصار •

كـ « ضرب ـ ويضرب ـ واضرب ـ وضارب ـ ومضروب ـ وضروب (وضرّاب ـ ومضراب ـ ومضرب)[1] » فان ذلك كله مشتق من الضرب • ومنه قوله تعالى : « فاقم وجهك للدين القيم[2] » ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « ذو الوجهين لا يكون وجيهاً عند الله » •

ومما يشبه المشتق وليس بمشتق قوله سبحانه وتعالى[3] : « وجنى الجنتين دانٍ[4] » • وان أصل كل واحد من الكلمتين غير أصل الاخرى فـ « جنى » من « جنى الشيء يجنيه » اذا قطعه و « الجنة » من « جَنَّه الله ُ اذا ستره » •

الصنف الرابع
التطبيق

(ويسمى الطباق والتكافؤ)[5] وهو أن تأتي بالشيء وضده كقوله تعالى : « فليَضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً[6] » • ومنه قول دعبل [من الكامل] :

لا تَعْجَبي يا سَلْمُ من رَجُلٍ
ضَحِكَ المشيبُ برأسِه فبكى[7]

وقد جاء الطباق بالنفي كقول البحتري [من الطويل] :

(١) سقطت في ش •
(٢) سورة الروم ، الآية ٤٣ •
(٣) كذا في الاصل ود ، اما في ش : قوله تعالى •
(٤) سورة الرحمن ، الآية ٥٤ •
(٥) سقطت في ش •
(٦) سورة التوبة ، الآية ٨٢ •
(٧) ينظر الايضاح ص ٣٤٠ •

يقيضُ لي من حيث لا أعلم النوى
ويَسري اليّ الشّوقُ من حيْثُ أعلمُ[1]

فـ « لا أعلم » في موضع أجهل . وقد طابق أبو تمام باسمي الاشارة اذا كان احدهما للحاضر والآخر للغائب عن الحضرة فجريا لذلك [١٤٣] مجرى النقيضين في قوله [من الطويل] :

مها الوحش الا انّ هاتا اوانسٌ
قنا الخطِ الا أنّ تلك ذوابلُ[2]

ومن الطباق قول الحريري : « فلا وضع عرشك ولا رفع نعشك » .
وقد يطلق على هذا اسم « المقابلة » لكونها تقرب منه وهي ان تريد معاني فتوافق بينها وبين غيرها أو تخالف عند قصدك المخالفة أو تشترط شروطاً وتعدد أحوالاً في احد المعنيين فيجب ان تأتي فيما يوافقه بمثل ما شرطت وعددت وفيما يخالفه باضداد ذلك . مثاله قوله تعالى : « فاما من أعطى وأتقى وصدّق بالحسنى . فَسنُيَسِّرُه لليُسْرى . واما مَنْ بَخِلَ واستغنى . وكذّبَ بالحُسنى . فسنيسره للعُسْرى[3] » . ونظيره قوله تعالى « فمن يُرد اللهُ أنْ يَهديَه يَشْرَحْ صدَره للاسلامِ وَمَنْ يُرِدْ أنْ يُضِلَّه يَجْعَلْ صَدره ضيقاً حَرَجاً كانما يَصَّعدُ في السماءِ[4] » . ومنها قول الجعدي[5] [من الطويل] :

فتى تَمّ فيه ما يسر صديقَه ... على ان فيه ما يسوء الاعاديا[6]

---

(١) ينظر ديوانه ج ١ ص ١١١ والايضاح ص ٣٣٧ .
(٢) البيت لابى تمام . ينظر ديوانه ص ١٩٣ والايضاح ص ٣٣٦ .
(٣) سورة الليل ، الآيات من ٥ ـ ١٠ .
(٤) سورة الانعام ، الآية ١٢٥ .
(٥) هو قيس بن عبدالله شاعر صحابى من المعمرين اشتهر فى الجاهلية وكان ممن هجر الاوثان ونهى عن الخمر قبل ظهور الاسلام ووفد على النبى (ص) فاسلم وادرك صفين . توفى سنة ٥٠هـ .
(٦) نسبه صاحب الايضاح ص ٣٤١ الى الذبيانى .

ونحوه [من الطويل] :

أيـا عجبـاً كيـف اتفقنـا فناصـح
وفيّ ، ومطوى على الغل غادر[1]

الصنف الخامس
لزوم ما لا يلزم

ومعناه في الاصطلاح ان الناثر أو الناظم يضيق على نفسه في التزامه مؤاخاة ألفاظ التسجيع • وفي التنزيل : « فاما اليتيم فلا تقهر • [١٤٤] وأما السائلَ فلا تنهر[2] » • وكقول عثمان رضى الله عنه : « لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفا » •

الصنف السادس
التضمين المزدوج

وهو ان يقع في اثناء قرائن النثر أو النظم لفظان مسجعان مع مراعاة حدود الاسجاع الاصلية كما تراه في قوله تعالى[3] : « وجئتكَ من سبأ بنبأ يقين[4] » • وكقول بعض البلغاء : « فلان رفع دعامة الحمد والمجد باحسانه وبرز بالجد والجد على أقرانه » •ولابن نباته في هذا الصنف اليد

---

(١) ينظر الايضاح ص ٣٤١ •
(٢) سورة الضحى ، الآيتان ٩ ، ١٠ •
(٣) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : كقوله تعالى •
(٤) سورة النمل ، الآية ٢٢ •

البيضاء فمنه[1] : « ايها الناس : احضروا بصفاء الاذهان لغظات الزمان • فقد لخصها على قدمه لمستمعيها واشتروا دار الامان بتقاة الرحمن فقد أرخصها بكرمه لمبتغيها ، (وتدبروا قوارع القرآن ببصائر الايمان تكتفوا بزواجر نواهيها ، وادرأوا سوابق العصيان بلواحق الاحسان تسلموا من دوائر دواهيها)[2] •

الصنف السابع
الالتفات

وهو ان تعدل من الغيبة الى الخطاب أو من الخطاب الى الغيبة أو من الغيبة الى التكلم كما في قوله تعالى : « مالك يوم الدين • اياك نعبد واياك نستعين[3] » وكقوله تعالى : « هو الذي يُسيركم في البرِ والبحر حتى اذا كنتم في الفُلْكِ وجرينَ بهم بريحٍ طيبة[4] » • وكقوله تعالى : « وهو الذي يُرْسلُ الرياحَ بُشْراً بين يدي رحمته حتى اذا أقَلَّت سحاباً ثِقالاً سُقناه لبلد ميت[5] » [١٤٥] •

وقد جمع امرؤ القيس بين الالتفاتات الثلاثة في ثلاثة أبيات وهي قوله [من المتقارب] :

تطـــاول ليلُكَ بالاثمـــد ونـام الخَليُّ ولـــم تَرقُدِ
وباتَ وباتَتْ لــه ليلــةٌ كليلة ذي العائـر الارْمَد
وذلـك مــن نبـأ جاءني وخُبّرْتُه عن أبي الاسودِ[6]

(١) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : ولابن نباتة رضى الله عنه •
(٢) سقطت فى ش •
(٣) سورة الفاتحة ، الآيتان ٤ ، ٥ •
(٤) سورة يونس ، الآية ٢٢ •
(٥) سورة الاعراف ، الآية ٥٧ •
(٦) ينظر ديوانه ص ١٨٥ • الاثمد : اسم موضع • الخلى : الرجل الخلو من الهموم • العائر : الذى يجد وجعا فى عينه •

وهو من أساليب الافتنان في الكلام • ولانه اذا نقل الكلام من أسلوب الى اسلوب كان ذلك انشط للاصغاء وايقظ للسامع مما لو جرى الكلام على أسلوب واحد ، وتختص مواقعه بفوائد • ومما اختص به الفاتحة انه لما ذكر الخليق بالحمد وأجرى عليه الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة به في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل : « اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة على ان لا نعبد غيرك ولا نستعينه » ليكون الخطاب أَدلّ على ان العبادة له لذلك التمييز الذي لا تحقق العبادة الا به •

ومن البلاغة ان تقدم ذكر الشيء على سبيل الاجمال ثم توضحه بعد ذلك فيكون أبلغ مما لو ذكرته مبيناً من أول الامر • وقد تقدم طائفة تشهد له بالصحة ، ومنه قوله تعالى ـ وان لم يكن من باب الالتفات ـ : « هَلْ أدُلُّكُمْ على تجارةٍ تُنجيكم من عذابٍ اليم • تؤمنون بالله ورسولهِ وتُجاهِدُونَ في سبيل الله [١٤٦] باموالِكم وأنفسكم ذلكم خير لكم اِنْ كنتم تعلمون[١] » • ونظيره ان تقول : « هل أدلك على رجل عالم عامل تنتفع به في الدارين ، فلان » • وهذا أبلغ مما لو قلت « هل أدلك على فلان فانه رجل عالم[٢] عامل تنتفع به في الدارين » •

الصنف الثامن
الاعتراض

وهو ان يأتوا في حشوا الكلام بما يتم الغرض دونه • والمقصود به تحقيق ما اعترض فيه أو تكميل معنى يتعلق به وهو قوله تعالى[٣] : « فلا

---

(١) سورة الصف ، الآيتان ١٠ ، ١١ •
(٢) كذا فى ش ، اما فى الاصل ود : رجل صالح عالم •
(٣) فى د : ومنه قوله عز وجل •

أقْسِمُ بمواقع النجـوم • وإنه لقسم لو تعلمون عظيـم • انه لقـرآن كريم[١] » • فقوله تعالى : « وانه لقسم لو تعلمون عظيم » معترض بين القسم والجواب و « لو تعلمون » معترض بين الصفة والموصوف • وكذا قوله تعالى : « واضمُمْ يدكَ الى جناحِك تخرُجْ بيضاءَ من غيرِ سوءٍ آيةً أخرى • لنَريك من آياتنا الـكبرى[٢] » • فقوله تعالى : « آية كبرى » معترض • وما أحسن قوله [من السريع] :

إن الثمـانين ـ وبُلِّغْتَها ـ قد أحوجت سمعي الى ترجُمان[٣]

وقد عدوا من الاعتراض : « والله ما معك من الحجة الا (مقدار)[٤] ما يوجب الحجة عليك » وسموه الرجوع وفيه نظر • وقد أطلق الخطيب التبريزي على هذا الصنف اسم الالتفات ، وأنشد قول جرير [من الوافر] :

متى كان الخيامُ بذي طلـوح
سـقيتِ الغيثَ أيتهـا الخيـامُ[٥]

وقول الجعدي [من الوافر] :
ألا زَعَمَـتْ بنـو جعـد بانـي
ـ ألا كَذَبَوا ـ كبيرُ السن واهي[٦]

وقول كثير [من الوافر] :
لو ان الباخلـين ـ وانتِ منهـم ـ
رأوك تعلمـوا منـك المِطـالا[٧]

[١٤٧]

(١) سورة الواقعة ، الآيات ٧٥ ـ ٧٧ •
(٢) سورة طه ، الآيتان ٢٢ ، ٢٣ •
(٣) البيت لعوف بن محلم الشيبانى • ينظر الايضاح ص ٢٠٦ •
(٤) سقطت فى ش •
(٥) ينظر ديوانه ص ٥١٢ •
(٦) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : فان •
(٧) ينظر الصناعتين ص ٤٨ •

الصنف التاسع
التفسير

وهو أن تذكر شيئاً ثم تقصد تخصيصه فتعيده مع ذلك المخصص نحو قوله تعالى : « فمنهم شقي وسعيد • فأما الذين شَقُوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والارض إلاّ ما شاء ربُك ، إنّ ربكَ فعّال لما يريد • واما الذين سُعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والارض إلا ما شاء ربُك عطاءً غير مجذوذ(١) » • ونظيره قوله تعالى : « يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه ، فاما الذين اسودّت وجوهُهم أكفرتم بعْدَ ايمانكم فذوقوا العذابَ بما كنتم تكفرون • وأما الذين ابيضّتْ وجوهُهم ففي رحمة الله هم فيها خالدون(٢) » • (فجاء مبدوءاً)(٣) بحكم الثاني قبل حكم الاول (ووجهه)(٤) انه لو بدىء بحكم الاول لزم منه ان ينفصل الحكم عن كل واحد منهما • ومما يناسب هذا التقسيم الصحيح قول نصيب [من الطويل] :

فقال فريقُ القوم لما نشدتهم :
نعم ، وفريق قال : والله ما ندري(٥)

[١٤٨] فاستوفى جميع أقسام الاجابة عما يسأل عنه • ومنه قول طريح(٦) [من البسيط] :

إنْ حاربوا وضَعوا ، أو سالموا رفعوا
أو واعدوا ضَمنُوا أو حدثوا صدقوا

---

(١) سورة هود ، الآيات ١٠٥ ـ ١٠٨ •

(٢) سورة آل عمران ، الآيتان ١٠٦ ، ١٠٧ •

(٣) سقطت في ش •

(٤) سقطت في ش •

(٥) كذا في ش ، أما في الاصل ود : وفريق أيمن الله ما أدرى • وفي الايضاح ص ٣٦٢ :

فقال فريق القوم : لا ، وفريقهم نعم ، وفريق لأيمن الله ما ندرى

(٦) طريح الثقفى شاعر الوليد بن يزيد الاموى وخليله واكثر شعره في مدحه توفى سنة ١٦٥هـ •

الصنف العاشر
اللف والنشر

وهو أن تذكر شيئين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد كل تفسير الى اللائق به كقوله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله[1] » . وقوله عز من قائل : « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى[2] » . ولم تقل كل واحدة من الطائفتين ذلك بل قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هوداً ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا النصارى .

الصنف الحادي عشر
التعديد

وهو ايقاع الالفاظ المفردة على سياق واحد كقوله تعالى : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم[3] » ، وكذا : « الخالق البارىء المصور[4] » الى آخر السورة . فان اتفق معه ازدواج أو مطابقة أو مقابلة أو جناس ازداد حسناً ، مثاله « فلان اليه الحل والعقد ، والقبول والرد ، والامر والنهي ، والاثبات (والنفي ، والابرام والنقض ، والهدم والبناء ، والمنع والعطاء)[5] .

---

(١) سورة القصص ، الآية ٧٣ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ١١١ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٥٥ .
(٤) سورة الحشر ، الآية ٢٤ .
(٥) سقطت فى ش .

الصنف الثاني عشر
التخييل

وهو تصوير حقيقة الشيء حتى يتوهم انه ذو صورة تشاهد وانه مما يظهر في العيان[1] كقوله تعالى : « والارضُ جميعاً قبضَتُه يوم القيامة والسماواتُ مطويات" بيمينه[2] » . وقوله تعالى : « طلعُها كأنه رؤوسُ الشياطين[3] » .

ولا تكاد تجد باباً في علم البيان ألطف منه ولا أدق ولا أعون على تعاطي المتشابهات .

ومما يتشبث بذيل البديع المتواتر وهو :

الصنف الثالث عشر
في التسجيع

وهو ان يتفق آخر الكلمتين اللتين بهما تكمل القرينتان وزناً ولفظاً [١٤٩] في الحرف الاخير . نحو قوله تعالى : « فيها سُرُرٌ مرفوعة" . وأكواب" موضوعة[4] » . فان فات الوزن سمي المطرف كقوله تعالى : « مالكم لا ترجون لله وقارا . وقد خلقكم أطوارا[5] » فان تفاوت الحرف الاخير واتحد الوزن سمي المتوازن مثل قوله تعالى : « ونمارقُ مصفوفة" . وزرابيُّ مبثوثة[6] » . ومنه قوله تعالى : « وآتيناهم الكتابَ المستبين . وهديناهم الصراطَ المستقيم[7] » .

---

(١) ينظر الطراز ج ٣ ص ٤ .
(٢) سورة الزمر ، الآية ٦٧ .
(٣) سورة الصافات ، الآية ٦٥ .
(٤) سورة الغاشية ، الآيتان ١٣ ، ١٤ .
(٥) سورة نوح ، الآيتان ١٣ ، ١٤ .
(٦) سورة الغاشية ، الآيتان ١٥ ، ١٦ .
(٧) سورة الصافات ، الآيتان ١١٧ ، ١١٨ .

الصنف الرابع عشر
رد العجز على الصدر

وهو ان تلاقي آخر الكلام أوله بوجه[1] مثل قوله تعالى : « وتخشى النّاسَ واللهُ أحقُ أن تخشاه[2] » . ومنه : « لا تفتروا على اللهِ كَذِباً فيُسْحِتَكُمْ بعذابٍ وقد خابَ من افترى[3] » . ثم قد يتفقان صورة ومعنى كقوله [من الكامل] :

سُكْرانِ : سُكْرُ هَوى وسُكْرُ مُدامةٍ
فمتى يُفيق فتى بـه سُكْرانِ[4]

وأحسن منه ان يتفقا صورة ويختلفا معنى ، وقد يتفقان معنى ويَختلفان صورة وقد يتفقان في الاشتقاق دون الصورة كقول جرير [من الكامل] :

أخْلَبْتِنا وَصَدَدْتِ أُمَّ مُحَلّمٍ
أفتجمعين خِلابَةً وصُدودا[5]

ومنه [من المتقارب] :

ضرائبُ أبدعتها في السَّما ح فلسنا نرى لك فيها ضريبا[6]

وقد يكون أحد اللفظين في حشو النصف الاول من البيت واللفظ

---

(١) يقول العلوى فى الطراز ج ٢ ص ٣٩١ ـ ٣٩٢ : فاما رد العجز على الصدر فظاهر كلام المطرزى وعبدالكريم صاحب التبيان أن احدهما مخالف للآخر ، ولهذا افردا لكل واحد منهما بابا على حياله وكلاهما معدود فى علم البديع . والذى عندى انهما متقاربان .

(٢) سورة الاحزاب ، الآية ٣٧ .

(٣) سورة طه ، الآية ٦١ .

(٤) ينظر الايضاح ص ٣٩٠ وفيه : أنى يفيق .. ، والطراز ج ٢ ص ٣٩٢ .

(٥) ينظر ديوانه ص ١٧٠ والطراز ج ٢ ص ٣٩٤ .

(٦) نسبه صاحب الايضاح فى ص ٣٩٢ الى البحترى وليس له وانما هو للقاضى الارجانى وقد أخذه من بيت البحترى (ديوانه ج ١ ص ١٠٧) .

بلونا ضرائب من قد نرى فما ان رأينا لفتح ضريبا

ضرائب : جمع ضريبة وهى سجية .

الآخر في النصف الثاني منه[1] نحو قول أبي تمام [١٥٠] [من الوافر] :

ولم يَحْفَظْ مضاعَ المجد شيءٌ
من الأشياء كالمالِ المضاعِ[2]

وكذا قوله [من الكامل] :

لا كان انسانٌ تيَمَّمَ صائداً
صَيْدَ المها فاصابَهَ انسانُها[3]

يعني انسان عينها •

ومما اتفقا معنى واختلفا صورة قول الحريري : « ولو استقامت كانت الاحوال فيها مستقيمة » • ومن نادر هذا الصنف قول الحريري : [من السريع] :

(سم سمة تحسن آثارها واشكر لمن أعطى لو سمسمة
والمكر مَهْما اسطعت لا تأته لتقتني السؤددَ والمكرمة[4])

ومما يتردد بين الطباق ورد العجز قول الاعشى [من البسيط] :

لا يرفع الناسُ ما أوهى ولو جهدوا
طولَ الحياة ولا يوهون ما رفعا[5]

الصنف الخامس عشر
المساواة

وهو ان يكون اللفظ مساوياً للمعنى من غير زيادة ولا نقصان كقول زهير[6] [من الطويل] :

(١) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : فى آخر البيت •

(٢) كذا فى ش وديوان أبى تمام ص ١٤٦ والايضاح ص ٣٩١ ، أما فى الاصل ود : مضاع المال ••• وفى الطراز ج ٢ ص ٢٩٤ : مضاع العلم •

(٣) ينظر الطراز ج ٢ ص ٣٩٥ •

(٤) سقطت فى ش •

(٥) البيت فى ديوان الاعشى ص ١١١ كما يأتى :

لا يرقع الناس ما أوهى وان جهدوا طول الحياة ولا يوهون ما رقعا

(٦) زهير بن أبى سلمى حكيم الشعراء فى الجاهلية ومن أصحاب المعلقات • توفى سنة ١٣ قبل الهجرة •

اذا أنْتَ لم تَقْصر عن اللؤْمِ والخنا
أصبت حليماً أو أصابك جاهل

وقوله ايضاً [من الطويل] :

ومهما يَكُنْ عند امريءٍ من خليقةٍ
وإن ظنها تخفى على الناسِ تُعْلمِ[1]

الصنف السادس عشر
العكس والتبديل

كقوله [من الخفيف] :

واذا الدُّر زان حُسْنَ وجوهٍ
كان للدر حُسْنُ وَجهك زينا

وهكذا كل ما كان من قبيل ما يحمل على غيره لقصد المدح أو الذم [١٥١] فجعلت ما ينبغي ان يوصف به موصوفا وما ينبغي ان يكون موصوفاً صفة مع اجرائهما على الاصل في ذلك الكلام . نحو [من الخفيف] :

للباس الحرير فخر اناس
وله (منك)[2] ان لبست افتخار

ومنه [من الخفيف] :

ان يكن للملابس الخز حسنٌ فلها منك ان لبست جمال[3]

ونظيره [من الخفيف] :

شبهوه بالكلب وهو لعمري مزري بالكلاب لو كان منها

(١) البيت من معلقته الشهيرة وفيه روايات .
(٢) سقطت فى ش .
(٣) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : فلها ان لبست منك جمال .

الصنف السابع عشر
الاستدراك والرجوع

وهو ان يعود المتكلم على ما سبق من كلامه بالنقض والابطال (كقوله [من البسيط] :

قف بالدّيارِ التي لم يَعْفُها القدم
بلى وغيرها الارواح والديم[1])

وكقوله [من الطويل] :

أليس قليلا نظرةٌ إنْ نظرتها
اليكِ ، وكلاّ ليس منك قليل[2]

وكقول بشار [من الكامل] :

نبئت فاضح أمه يغتابني عند الامير ، وهل عليّ أميرُ

الصنف الثامن عشر
الاستطراد

كقول أبي الشمقمق[3] [من المتقارب] :

وأحببت من حبها الباخلينَ حتى وَمقْتُ ابْنَ سَلْمٍ سعيدا
اذا سيل عرفاً كسا وجهه ثياباً من اللؤم صفراً وسودا[4]

وكذا في كل كلام خرجت منه واخذت في غيره مما يلابسه ويناسبه

(١) سقطت فى ش ، والبيت لزهير • ينظر الايضاح ص ٣٥٢ •
(٢) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : وكل • كلا : حرف للتنبيه على بطلان الكلام السابق • والبيت ليزيد بن الطثرية • ينظر الايضاح ص ٣٥٢ •
(٣) هو مروان بن محمد شاعر هجاء من أهل البصرة خراسانى الاصل من موالى بنى أمية • توفى سنة ٢٠٠هـ •
(٤) وقد نسبه صاحب الصناعتين ص ٤٠٠ الى مسلم • وفيه : زرقا وسودا •

[١٥٢] مع انه دخيل فيما عقد له التصدير • ومنه ما روى جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو بمكة يقول : « ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام » • فقيل : « يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فانه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس » • فقال : « لا هو حرام » • ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قاتل الله اليهود ان الله حرم عليهم شحومها فجملوه ثم باعوه وأكلوا ثمنه » متفق عليه • فقوله : « قاتل الله اليهود » الى آخر الحديث من باب الاستطراد • وقوله « فجملوه » أي أذابوه • ومنه قولهم للشحم المذاب « جميل » •

الصنف التاسع عشر
الاستهلال

وهو ان تبتديء بما يدل على الغرض كقول الخنساء في أخيها [من الطويل] :

وما بلغت كف امريء متناول ... من المجد الا والذي نلت أطول
وما بلغ المهدون للناس مدحة ... وان أطنبوا الا الذي فيك أفضل(١)

ويقرب من هذا الضرب ضرب يسمى « التسهيم » كقول البحتري [من الخفيف] :

واذا حاربوا أذلوا عزيزاً ... واذا سالموا أعزوا ذليلا(٢)

وكقوله [من الطويل] :

فليس الذي حللته بمحلل ... وليس الذي حرمته بحرام(٣)

فالشطر الاول معرف بالشطر الثاني في البيتين • سمي بذلك [١٥٣] أخذاً من البرد المسهم الذي لا تفاوت فيه ، وقد يسمى التوشيح •

---

(١) ينظر ديوانها ص ١٤٩ وفيه : الا حيث ما نلت أطول •
(٢) ينظر ديوانه ج ٢ ص ٣٢٣ •
(٣) كذا فى الاصل ود وديوان البحترى ج ١ ص ١٥ ، أما فى ش : بمحرم •

الصنف الموفي عشرين

التخليص[1]

وهو ان تخرج من التغزل الى ذكر الممدوح مع امتزاج بين النوعين بحيث يتلاءمان تلاؤم أجزاء النوع الواحد • ومنه قول محمد بن وهيب[2] [من الكامل] :

ما زال يلثمني مراشفه ويعلني الابريق والقدحُ
حتى استرد الليل خلعته وبدا خلال سواده وضحُ
وبدا الصباح كأنَّ غرّته وَجْهُ الخليفة حين يُمتدحُ[3]

(وهذا الاسم مشهور اطلاقه في صناعة الشعر ، ولا يبعد ان يطلق ايضاً على هذا في صناعة النثر • وكذلك جميع الاصناف السابقة واللاحقة • ومما ينسحب عليه ذيل هذا الصنف ما قلته في رسالة منها : « يهني المملوك انه لما اقتحم العقبة الكؤود التي هي بالاسعاد تبخل وبالابعاد تجود فلم يقطعها حتى رجع نضواً على نضو ونقضاً على نقض • نفسه من الصعود متصاعد وشبا قيامه عن قطع المسافة متقاعد • وهو مع ذلك مفكر في مفارقة الاهل والوطن والخل والسكن يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ويستوكف الدمع فيرفض عشراً عشرا ليسقي نقع غلته ويشفي صدى علته • فبينما هو كذلك اذ أقبل غمام مسف [١٥٤] متراكم غير شف كالقاصد الى الوفاق والمحصل للاتفاق يتأوه تأوه الثكلان ، ويشير بوميضه الى ما انطوى عليه من الاحزان فحين انتظم الجمع وأخذ في استراق السمع وافى المملوك ينشد والشوق بين ضلوعه يغور وينجد [من الطويل] :

رعى الله أياماً مضت لي بجلق بأرض زملكا يا أخيَّ وفي مُقْرى

---

(١) كذا في الاصل ود ، أما في ش : التلخيص •

(٢) هو أبو جعفر الحميرى شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية أصله من البصرة • عاش في بغداد ومدح المأمون والمعتصم • توفي سنة ٢٢٥هـ •

(٣) ذكر القزويني هذا البيت في الايضاح ص ٢٤٠ في بحث التشبيه المقلوب • والابيات في مدح الخليفة المأمون •

فربوتها تربي السرور وتحتهـــ يزيد يزيد الوجد فيه وفي الشقرى
وفي بردى سلسال ماء مُصَفَّق وثورى له ثغر تبسم في ثغـــرى

وما الشيح والقيصوم في أبْرُق الحمى
اذا ســطر المنثور والود عن ســطرى
.ديـــار لهـــا وقت الربيـــع مباسم
واســحارها فيــه كسندسة خضـــرا
وآهاً لايـــام الخـــريف فانهـــا
شبيهة عشـــاق ببذلتهـــا الصـفرا[1]

فلم يستتم الانشاد الا وزفيره قد زاد فأرخي الغمام غزاليه واتعنجر[2] يصوب ما فيه فالتقى الماء على أمر قد قدرا وتعقد به الثرى وقاءت منــه الغدران وتهدمت القرى • فحين رأت الجبال ما قد هال وانه مما يضرب به الامثال استدعت قوس قزح لیندف أقطانه ولكن جعل المملوك البطانه • ولم يأل في ذلك جهدا ولا راعى قسماً وعهدا الى ان رجعت الجبال شــيبا ولبست الارض من الثلوج ثوباً قشيبا [١٥٥] وتوكلت الايدي بالنحور وجمد الماء على الثغور فانسى الهول الرذاذ ما كان بقلبه قد لاذ وعليه حاذ ، فاسترجع وفكر وأخذ لله يتشكر فنودي في سره : لا عليك والصاحب لديك يمزق أوصال الكرب ويكسر النبع بالغرب ويخلصك من براثن الدهـــر ويعود عليك بعساكر النصر ويرد سيف البرد مفلولا وفارس الثلج مكبلا مغلولا بفوائده السنية ومواهبه العلية ، فترجع حقائبك تثني وحسن حالك يصرح ولا يكني • [من الكامل] :

بحرفان غرقت ســفينة آمـــن[3] فبسيبه وبجـــوده ونوالـــه
أسد فريسته اغاثـــة مدنف أخنى عليه الدهر في تجوالـــه
جبل على الابطال عند نزالهـــم ياويح من يدعى ليوم نزالـه

(١) تنظر الابيات فى المقدمة •
(٢) كذا فى النسخ كلها •
(٣) كذا فى الاصل ، أما فى د وش : عامل •

السعد في نظراته والموت في ... سطواته والفضل من[1] افضاله
عجباً أبو الحسن الوزير عضنفر ... والخائفون أمانهم بظلاله
أبت المكارم ان تجود لدهرها ... بمثاله ولغيره بخصاله
الصاحب الندب الجواد ومن له ... شرف بمحتده وحسن فعاله
يعطي الجزيل من النوال وعنده ... ان الجزيل القل في اقلاله
فاق الانام مآثرا ومفاخراً[2] ... فلذاك لفظي باهر بجلاله
يجد الحياة تفضلاً من مجتدٍ ... ويرى له الانعام عند سؤاله

[١٥٦]

فالله كالؤك[3] الذي لا غيره ... بمحمد وبصحبه وبآله

فانت ترى التخليص في هذا النثر شبيهاً بحاله في النظم وانه من علم البديع لفي المقام الرفيع)[4] .

الصنف الحادي والعشرون
الترديد

وهو أن تعلق لفظة بمعنى ثم تردها بعينها وتعلقها بمعنى آخر كقول أبي نواس [من البسيط] :

صفراءُ لا تنزل الاحزان ساحتها
لو مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرّاءُ[5]

---

(١) كذا في الاصل ، اما في د وش : في .
(٢) كذا في الاصل ، أما في د ، وش : مفاخرا ومآثرا .
(٣) كذا في الاصل ود ، اما في ش : فالله كالؤه .
(٤) سقطت في ش .
(٥) ينظر ديوانه ص ٦ .

وكقول ابن جبلة[1] [من الجرير] :

مضطـرب يرتـــج في أقطـــاره
كالمـاء حالت فيــه ريح فاضــطرب[2]
إذا تظنينـــا بـــــه صَدّقَنا
وان تظنّى فوقــه الدّهــرُ كَذَبْ
لايبلــغ الجَهْدَ بــه راكبُهُ
ويبلغُ الريحَ به حيث طلــب

وقد يسمى هذا الصنف التعطف ايضاً .

الصنف الثاني والعشرون
التتميم

وهو أن تأخذ في بيان معنى فتورده غير مشروح فيقع لك ان السامع لا يتصوره بحقيقته فتعود اليه مؤكدا وموضحاً . مثاله قول ابن الرومـي [من الكامل] :

آراؤكــم ووجوهُكــم وسيوفُكــم
في الحادثات اذا دَجَوْنَ نُجــومُ
منها معالــمُ للهــدى ومصــابُحٌ
تجلــو الدجى والاخرياتُ رجــومُ

الصنف الثالث والعشرون
التفويف

[١٥٧] شبه بالبرد المفوف الذي يخالط وشيه شيء من بياض . وفي

(١) هو عبدالله بن جبلة بن حيان الكنانى ، فقيه امامى من أهل الكوفة . توفى سنة ٢١٩هـ .

(٢) كذا فى الاصل ود والطراز ج ٣ ص ٨٣ ، أما فى ش : فانقلب .

الاصطلاح عبارة ان يصف المذكور مما يدل على مدحه من صفات الكرم مثلا ثم بما يدل على ذمه لكن تقرن بذلك الذم ما يرشد بانه مديح كقول جرير [من الوافر] :

هم الاخيارُ مَنْسَكَةً وهَدْياً
وفي الهيجا كأنَّهم الصقورُ
بهم حَدَبُ الكرام على الموالي
وفيهم من مساءتهم فتورُ
خلائقُ بَعْضُهم فيها كبعضٍ
يؤم صغيرَهم فيها الكبيرُ
عن النكراءِ كُلُّهُمُ غبيٌّ
وبالمعروفِ كُلُّهُمُ بَصيرُ(١)

الصنف الرابع والعشرون
التجاهل

وهو أن تسأل عن شيء تعرفه موهماً انك لا تعرفه وانه مما خالجك(٢) فيه الشك لقوة شبه حصل بين المذكورين • منه قوله [من الطويل] :

أيا ظبيةَ الوَعْساءِ بينَ جُلاجِلٍ
وبينَ النقا آأنتِ أَمْ أُمُ سالم(٣)

جهل نفسه حتى لا يفرق بين ظبية الوحش وبين أم سالم في الصورة وأوهم انه أشكل عليه المسمى باسم الظبية على وجه الحقيقة ولا يدري أيستعير من الوحشية لام سالم أم من أم سالم للوحشية • ويقرب منه قول

(١) ينظر ديوانه ص ٢٣٤ ، والطراز ج ٣ ص ٨٥ •
(٢) كذا فى الاصل ود ، اما فى ش : وانه خالجك •
(٣) البيت لذى الرمة ، ينظر الايضاح ص ٣٧٩ والطراز ج ٣ ص ٨٠ •

[١٥٨] الآخر [من البسيط] :

بالله يا ظبيات القاع قُلْنَ لنا
ليلاي منكنَّ أمْ ليلى من البَشَر[١]

ونحو الاول قول زهير [من الوافر] :

وما أدري وسَوْفَ اخالُ أدري
أقَوْمٌ آلُ حصْنٍ أمْ نساءُ[٢]

الصنف الخامس والعشرون
الهزل الذي يراد به الجد

كقوله [من الطويل] :

اذا ما تميميٌّ أتاكَ مُفاخِراً
فَقُلْ : عَدِّ عن ذا كيف أكْلُكَ للضبِ ؟[٣]

الصنف السادس والعشرون
التنبيه

وهو ان تطلق كلاماً للانتقاد فيه متسع ثم تنبه بما يصلح ذلك فدل على استقامته كقوله [من الطويل] :

هو الذئبُ أو للذئبُ أوفى أمانةَ
وما منْهما الا أذل خؤونُ

كانه لما قال : « أو للذئب أوفى أمانة » تنبه على قول قائل : وأي

(١) البيت للحسين بن عبدالله . ينظر الايضاح ص ٣٧٩ والطراز ج ٣ ص ٨١ .
(٢) ينظر الايضاح ص ٣٧٩ ، والطراز ج ٣ ص ٨١ .
(٣) البيت لابى نواس . وفى الطراز ج ٣ ص ٨٢ : « ومما يلحق باذيال هذا الصنف ويجىء على أثره الهزل الذى يراد به الجد » ، وبذلك لم يفرده وانما الحقه بالتجاهل .

أمانة للذئب ؟ فقال مستدركاً : « وما منهما الا أذل خؤون » .

ومنه قول الآخر [من الوافر] :

وقد أعددت للحدثان حصنـــ لو ان المرء تنفعه العقـــول

كأنه قيل : وهل يمنع من الحدثان حصن ؟ فتلافى ذلك بقوله : « لو ان المرء تنفعه العقول » . وقال الآخر [من المتقارب] :

اذا ما ظمئت الى ريقهـــا[١] جعلت المدامة منه بديـــلا
واين المـــدامة من ريقهـــا[٢] ولكن اعلـــل قلبـــاً عليـــلا

[١٥٩]

تنبيـــه :

ينبغي ان تعلم ان مبنى القرائن على الوقف ومن ثم شاع ان يقابل المرفوع بالمجرور وبالعكس وكذلك المفتوح والمنصوب غير المنون . فمن ذلك قوله تعالى : « انّا خلقناكم من طينٍ لازِبٍ[٣] » مع تقدم قوله : عذابٌ واصِبٌ » و « شهابٌ ثاقبٌ[٤] » . ومنه : « ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت » . ولو أظهرت الحركة لفوت التسجيع . (وقد يقال المنصوب المنون غيره لكن يسقط تنوينه طلباً للموافقة وليس بذلك المرضي . وابن نباتة الخطيب مغرى كثيراً بموافقة القرائن بالحركة وانه من الصناعة لفي الثريا)[٥] .

---

(١) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : الى ريقه .
(٢) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : من ريقه .
(٣) سورة الصافات ، الآية ١١ .
(٤) قال تعالى : « دحورا ولهم عذاب واصب . الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب » . سورة الصافات الآيتان ٩ ، ١٠ .
(٥) سقطت فى ش .

اَللَّوَاحِقُ

اللواحق

وأما اللواحق ففي بيان الجهة التي تحصل بها البلاغة والاعجاز في القرآن لما تضمنت ترجمة هذا الكتاب ان علم البيان مطلع على اعجاز القرآن استدعي ذلك ان يكشف الغطاء عن الجهة التي كان القرآن بها معجزاً فنقول : الكلم اما ان يعتبر بالنسبة الى ذاته واما الى عوارضه من الحركات والتأليف أو الى مدلوله أو الى المجموع أو الى أمر خارج عن ذلك ، ولنقدم قبل البحث في ذلك مقدمة وهو انه لا يصح التحدي بشيء مع جهل المخاطب بالجهة التي وقع بها التحدي ولا يتجه قول الصائغ لمثله اني قد صنعت خاتماً لست قادراً على ان تصنع مثله [١٦٠] الا بعد أن مكنه من الجهة التي يدعي عجز المخاطب عنها ولولا اعتبار ذلك لامكن كل صانع ان يدعي عجز أهل صنعته أن يأتوا بمثل ما أتى وان قل ذكره في عداد الصناع .

اذا عرفت هذه المقدمة عدنا الى بيان الجهة التي كان بها القرآن معجزاً فنقول[١] : لا يخفى انحصار هذه الجهة في الاقسام المتقدمة .

أما القسم الاول وهو ان يكون العجز حصل من جهة ذوات الكلم المفردة فبطلانه بيّن ، فان العرب كانوا يأتون بهذه الكلمات صغيرهم وكبيرهم ، جليلهم وحقيرهم . فان قلت : من الجائز ان يكون قد حدث في حروف الكلمات واصدائها أوصاف لم تكن قبل نزول القرآن وان يكون قد تجدد في معنى « الحمد » و « الرب » و « العالمين » و « الملك » و « اليوم » و « الدين » وهلم جرا أمور عجيبة يفهمها السامع ولا يقدر على أن يأتي بمثلها كما يفهم طيب النغم الذي عرض لصدى الصوت مع عجزه ان يصنع

(١) ينظر كلام العلوى على اعجاز القرآن فى كتابه الطراز ج ٣ ص ٣٦٧ وما بعدها .

مثله ، قلت : دعوى ذلك شبيهة بدعوى القائل آنية بيتي قد حصل فيها من صفات العلم بالهندسة والحساب ودقائق المعاني ما يعجز عنه المشهورون بذلك ، ولو كان شيء أبعد من المستحيل لكان هذا •

وأما القسم الثاني وهو ان يكون الاعجاز وقع بالنسبة الى العوارض من الحركات والتأليف فقط فخرج الى ما تعاطاه مسيلمة [١٦١] من الحماقة في : « انا انطيناك الجواهر فَصَلِّ لربك وهاجر ان شانئك هو الكافر » • وكقوله : « والطاحنات طحناً » • ولو كان الاعجاز راجعاً الى الاعراب والتأليف المجرد لم يعجز صغيرهم أن يؤلف ألفاظاً معربة فضلا عن كبيرهم ولما قالوا : « ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وأن اسفله لمغدق ، وان أعلاه لمثمر » • ولما قال ابن مسعود : « اذا وقعت الـ « حم » حم وقعت في روضات دمثات أتأنق فيهن » أي اتتبع محاسنهن • لم يقل ذلك من أجل أوزان الكلمات ولا من أجل اعرابها ولا من أجل الفواصل في أواخر الآيات ولا من أجل التأليف فقط ، ولما وازنوا بين قوله تعالى : « ولكم في القِصاص حياة(١) » مع قولهم : « القتل أنفى للقتل(٢) » بل ذلك راجع الى دقة النظم وزيادة الفائدة •

وأما القسم الثالث وهو ان يقع التعجيز بالنسبة الى المعاني فقط فغير مستقيم فان المعاني ليست من صنيع البشر وليس لهم قدرة على اظهارها من غير ما يدل عليها ولو وقع الاعجاز بالنسبة الى المعاني فقط لأمكنهم ان يقولوا قد قلنا مثل ذلك ولكن لم نلفظ بما يدل عليه وادعاء ذلك ليس بممتنع على كل أحد والتكذيب لا مستند له كيف وحاصل ذلك راجع الى أمر وجداني ادعوا حصوله لانفسهم كادعائهم [١٦٢] ادراك جوعهم والمهم (ومحبتهم وبغضهم)(٣) •

وأما القسم الخامس فباطل ايضاً وان كان قد زعم قوم ان عجز العرب

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧٩ •
(٢) ينظر الايضاح ص ١٨٢ وما بعدها •
(٣) سقطت في ش •

انما كان لصرفهم عن المعارضة لا لانه معجز في نفسه وان كانوا قد سلموا ان فصاحته راجعة الى القسم الرابع على ما سنبينه وان العرب صرفت هممهم وخواطرهم عن تأليف كلام مثله • ولو كان كما زعموا لكان حالهم حال من عدم العلم بشيء قد كان يعلمه وحيل بينه وبين أمر كان في قدرته واذ ذاك ينبغي ان لا يعظم في أعينهم وان لا يكبر عندهم اذ كانوا منه على طريق مهيع بل يكون اعظامهم خليقاً بتغير حالهم وسد باب كانوا من ولوجه على اقتدار • ولا ينبغي ان يضاف الاعجاز اذ ذاك الى القرآن وقوله تعالى : « قل لئن اجتمعت الانسُ والجنُ على أنْ يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيرا[١] » • دل ذاك على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لتنزله منزلة اجتماع الموتى • وليس عجز الموتى بكبير يحتفل بذكره (هذا)[٢] مع ان الاجماع (منعقد)[٣] على اضافة الاعجاز الى القرآن فكيف يكون معجزاً غيره وليس فيه صفة اعجاز بل المعجز هو الله عز وجل[٤] حيث سلب قدرتهم عن الاتيان بسورة من مثله [١٦٣] ولله تعالى في تجهيل بعض الناس اسرار غامضة يقصر عنها الادراك •

واذا بان بطلان هذه الاقسام تعين القسم الرابع وهو ان يكون الاعجاز راجعاً الى ما قدمناه من توخي معاني النحو واحكامه في النظم بان يوقع كل فن في رتبته العليا في اللفظ والمعنى الافرادي والتركيبي على ما قدمت من التفصيل • ولو كان الاتيان بمسمى اللفظ العربي ومسمى الاعراب والتركيب كافياً في الفصاحة لما عرى عنها قوله [من السريع] :

كأننّا والمـــاءُ مِــن حَـوْلِنا

قَـوْمٌ جلوسٌ حَـوْلَهم مــاءُ

---

(١) سورة الاسراء ، الآية ٨٨ •

(٢) سقطت في ش •

(٣) سقطت في ش •

(٤) كذا في الاصل ود ، أما في ش : تعالى •

ولم يقع فرق بين هذا التشبيه وبين قوله (من الطويل) :

كأنّ الثُرّيا والصباحُ يكدها
قناديلُ رهبانٍ دنَتْ لخمودِ[1]

وقوله [من الوافر] :

وليل في كواكبه حِرانٌ
فليس لطول مُدّته انتهاءُ
عُدِمْتُ تبلجَ الاصباح فيه
كأنّ الصبحَ جُودٌ أو وفاءُ

وقول ابن المعتز [من الكامل] :

في ليلةٍ أكل المحاقُ هلالَها
حتى تبدى مِثْلَ وقفِ العاج
والصبحُ يتلو المشترى وكأنّه
عُرْيانُ يَمْشي في الدجى بسراج[2]

ولما عرف فضل لبيد في قوله [١٦٤] [من الطويل] :

وما المرء الا كالشهاب وضوؤه
يعود رماداً بعد اذ هو ساطع
وما المال والاهلون الا ودائع[3]
ولا بد يوماً ان ترد الودائع

ولما استحسن قول المتنبي [من الطويل] :

أُحبُّكَ ياشمسَ الزمان وبدرَه
وانْ لامني فيك السُّها والفراقِدُ[4]

(١) ينظر الطراز ج ١ ص ٢٨٨ ·
(٢) كذا فى الاصل ود ، وش ، أما فى الطراز ج ١ ص ٢٨٨ : يمشى خلفه بسراج ·
(٣) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : وديعة ·
(٤) ينظر ديوانه ج ١ ص ٢٨٠ ·

ولما استغرق ابو عمرو بن العلاء في قوله [من السريع] :

لا تَحْسَبَنَّ الموتَ موتَ البلى
وانّما الموتُ سؤالُ الرجال
كلاهما مَوْتٌ ولكنّ ذا
أشدُّ من ذاك على كل حال[1]

(الى ان قدم كتابتها على القيام الى الصلاة بعدما أقيم لها وادخلها في جملة محفوظاته)[2] .

ولولا ان للمعنى تأثيرا في اعطاء الفصاحة (لما حسن قوله [من السريع] :

فقاقع ليس لها حاصلٌ كأنّها شِعْرُ أبيوردي

لكونها الفاظا خلت عن المعاني الدقيقة)[3] . ولما عظم اطلاق اسم الاسد على الانسان (اذا لم يكسبه معنى)[4] ولما فرق بين اطلاق اسم الاسد عليه واسم الحمار الا من جهة ان حروف هذا الاسم غير حروف الاسم الآخر وان الزنة غير الزنة ، ولا يخفي فساد هذا القول .

وأما وصف الكلمة بالحسن من جهة لفظها[5] فقد قدمت بيانه .

تنبيـــه :

قد توصف الكلمة بالفصاحة بالنظر [١٦٥] الى كونها أكثر استعمالا من غيرها كما قالوا في « نمى المال ينمى » أفصح من « نما ينمو » . وكذلك : « جاءني أبوك» أفصح من « جاءني اباك » وان كانت الثاني ادخل في القياس لكنه أقل في الاستعمال . ومن ثم عد قوله [من الرجز] :

إنّ أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها[6]

---

(١) البيتان لمطرف بن عبدالله بن الشخير البصرى . وقد قال الجاحظ فى الحيوان ج ٣ ص ١٣١ : « قد سمعت أبا عمرو أى الشيبانى وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ونحن فى المسجد يوم الجمعة ان كلف رجلا حتى احضر دواة وقرطاسا حتى كتبهما له ، وأنا ازعم ان صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا ابدا ولولا ان ادخل فى بعض القيل لزعمت ان ابنه لا يقول شعرا أيضا » . ونقدهما فى البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧١ بما يقرب من هذا . وينظر أسرار البلاغة ص ٨٩ .

(٢) سقطت فى ش .

(٣) سقطت فى ش .

(٤) سقطت فى ش .

(٥) كذا فى الاصل ود ، أما فى ش : وأما وصف القول من جهة حسنها .

(٦) البيت من الشواهد النحوية وهو فى شرح ابن عقيل وابن هشام وغيرهما .

من الشواذ وان كان على القياس • ومن هذا الوادي : « استحوذ عليهم » (وان كان القياس استحاذ)[1] وليس هذا متعلق غرضنا في هذا العلم بل المراد هنا بالفصاحة مراعاة أحوال المفردات ومعانى النحو (في التأليف)[2] على ما سبق • ومن ذلك قوله تعالى : «يَحْسَبُونَ كُلَّ صيحةٍ عليهم ، هم العدو فاحذرهم[3] » • وسبب الفصاحة فيه ان علق على محذوف هو المفعول الثاني لـ « حسب » وان عرّى « هم العدو » عن العاطف وان عرف « العدو » • ولو قلت : « يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وهم عدو لرأيت الفصاحة عن هذا النظم على فراسخ ، ولو علقت عليهم » بـ « صيحة » لاختلت •

ومما يوقظك ان الفصاحة لو كانت صفة للفظ فقط لادركها كل سامع لادراكه اللفظ بل لا يدرك ما في بيت بشار من الصنعة وهو قوله [من الطويل] :

كأنّ مثارَ النقع فوق رؤوسنا
واسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُه[4]

الا كل من أدرك معاني النحو التي يراها فيه وذاك ان أوقع « كأنّ » على مشبّه ومشبّه به وان أضاف « مثار » الى « النقع » و « فوق » الى « رؤوس » وان عطف « الاسياف » [١٦٦] على « مثار » بالواو ، وان جعل « الليل » خبراً لـ « كأنّ » و « تهاوى » فعلا للكواكب ، ثم أجرى الجملة على « الليل » صفة ليتم غرضه من التشبيه • واذا فكرت في هذا البيت وجدته كالحلقة المفرغة التي لا تقبل الانقسام •

وهم وتنبيه :

لعلك تتخيل ان النظم الفصيح لو كان مقصوراً على معاني النحو لكان من لا يعرف النحو وما فيه من المبتدأ والخبر والحال والتميز الى غير ذلك من عبارات النحاة كالبدوى يجب ان يكون جاهلا بمعاني الكلام •

---

(١) سقطت فى ش •
(٢) سقطت فى ش •
(٣) سورة المنافقون ، الآية ٤ •
(٤) ينظر ديوانه ج ١ ص ٣١٨ • وقد مر ذكره •

قلت[1] : جوابه ان المطلوب معرفته مدلول العبارات لا نفس العبارات وان البدوى ليفرق بين « جاءني زيد راكباً » و « جاءني زيد الراكب » وان خفي عليه ان « راكباً » يسمى حالا و « الراكب » يسمى صفة • ويفرق أيضاً بين قوله : « أدبته تأديباً » و « ضربته تأديبا » وان (كان لا)[2] يسمى الاول مصدراً أو الثاني مفعولا له • ويفرق بين المفعولات وان كان لا يسمى هذا ظرفاً وذا مفعول به (وذا مفعولا له)[3] • ويفرق بين الصفة والخبر في قولك : « زيد ظريف » و « زيد الظريف » • ومن ثم انكر اعرابي سمع مؤذناً ينصب الرسول في قوله « اشهد ان محمداً رسول الله » وقال : صنع ماذا ؟ لان النصب أفهمه قصد الصفة وحينئذ تبقى « ان » بلا خبر فلا تتم الفائدة فتعين ان يرفعه ليصيب عين الصواب •

قال المصنف رحمة الله عليه : ولقد انتهينا الى كل غاية من التحقيق وأدرنا من التدقيق كاسات الرحيق [١٦٧] وحللنا من البيان شعاف النيق واضربنا عن التلخيص الممل والايجاز المخل وابحناك ايها الطالب المتشوف والسائل المتلطف الوقوف على جهة اعجاز كلام الله المنزل على خير البشر[4] محمد صلى الله عليه وسلم والحقنا مرأى البصيرة بمرأى البصر وفككنا عن لسانك زائد[5] اللكنة والحصر حتى ورى زندك وعظم في المعرفة جدك وأفقت من غشيتك وهببت من رقدتك وكان نهاية قولك ان تنال الظواهر من أوعية الجواهر ودأبك ان تعرض عن رموز الكنوز كل الاعراض ولا تبالي أيعد قلبك في جملة الموتى أم يعاد في جملة الامراض[6] • وقد اطلعتك بهذا الكتاب على رياض كنت عنها في عمياء وعن طلابها في خبط عشواء ، فان جذبتك نفسك الى مراجعته واخذت في محاورته

---

(١) كذا في ش ، اما في الاصل ود : وجوابه •
(٢) سقطت في ش •
(٣) سقطت في ش •
(٤) في الاصل ود وش : على جهة اعجاز خير البشر المنزل على خير البشر •
(٥) كذا في الاصل ود ، اما في ش : قيد •
(٦) كذا في الاصل ود ، اما في ش : المراض •

ومحاضرته أراك الحق جلياً بعد ما كان عنك خفيا ، وأراك[1] عوارف المعارف ، وان كنت من قبلها في المهد صبيا وانجلى عن قلبك صدأ الشك والارتياب ، وعلمت من اين يتجنب الخطأ وكيف يقتبس الصواب . والى الله الكريم ابتهل ان يجعل جملته ناطقاً بخاتمته في سره وعلانيته ، وان يمنحه القبول بفضله ، وان يعصمه من التحامل حتى لا يقذفه جاهل بجهله أو متجاهل لجمود فضله ، وان لا يظفر به الا طبعاً [١٦٨] سليما وخاطراً مستقيماً ، انه سميع النداء مجيب الدعاء بمحمد وآله الاصفياء البررة الاتقياء. حشرنا الله في زمرتهم وأماتنا على محبتهم ، انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

فرغ من نسخه لنفسه ومن هيأ الله من بعده ابراهيم بن
اسحاق بن ابراهيم الغزي الشافعي في
العشر الاخير من شهر جمادى
الآخرة سنة اثنتين وعشرين
وسبعمائة . أحسن الله
خاتمتها وعقباها ، وصلى
الله على محمد وآله
وصحبه . والحمد لله
رب العالمين[2]

---

(١) كذا في ش ، اما في الاصل ود : عرفك .

(٢) هذا ما جاء في خاتمة الاصل ، وفى خاتمة د : « حسبنا ونعم الوكيل . فرغ من نسخه الفقير لربه ابراهيم بن حسين بن مصطفى بن أبى الشوارب رضوان بمصر المعزية نقلا من مكتبة السيد أحمد تيمور بك العلامة عماد آل تيمور الى مكتبة الحكومة المصرية بخط ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم الغزى الشافعي . نقلت هذه منها في أوائل جمادى الاولى سنة ١٣٢٨ هجرية والحمد لله أولا وآخرا » .

وفى خاتمة ش : « والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم . هذا ما علقه لنفسه ثم لمن ينتقل اليه أقل العبيد واحقرهم على بن الياس ابن محمد الحموى بلدا الشافعى مذهبا الرفاعى قدوة والزولى تربية والقادرى والشاذلى طريقة ومحبة ، غفر الله له ولوالديه ولمن دعا له بالمغفرة والرحمة ولجميع المسسلمين .

وكان الفراغ من نسخه صبيحة يوم الاثنين تاسع شوال الحرام بمدينة تعز المحروسة بالمؤيدية سنة تسع وثمانين وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحيات والاكرام والحمد لله رب العالمين » .

مراجع التحقيق

١ – ابن أبي الاصبع المصري بين علماء البلاغة – الدكتور حفني محمد شرف • الطبعة الاولى بالقاهرة •

٢ – الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائية – ضياءالدين بن الاثير • تحقيق حفني محمد شرف ، القاهرة ١٩٥٨ •

٣ – أسرار البلاغة – عبدالقاهر الجرجاني • طبعة المراغي بالقاهرة •

٤ – الاشباه والنظائر – السيوطي • طبعة الدكن •

٥ – الاعلام – خيرالدين الزركلي • الطبعة الثانية •

٦ – الاقصى القريب في علم البيان – التنوخي • القاهرة •

٧ – أمالي القالي • طبعة دار الكتب بالقاهرة •

٨ – انباه الرواة على انباه النحاة • جمال‌الدين القفطي • دار الكتب بالقاهرة ١٩٥٠ – ١٣٦٩هـ •

٩ – أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك – ابن هشام الانصاري • تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد • القاهرة ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م •

١٠ – الايضاح – القزويني • طبعة محمد محيي‌الدين عبدالحميد • القاهرة •

١١ – الإيضاح في شرح مقامات الحريري – المطرزي • طبعة حجرية في ايران •

١٢ – البحر المحيط – أبو حيان النحوي الاندلسي • الطبعة الاولى بالقاهرة •

١٣ – البداية والنهاية – ابن كثير • الطبعة الاولى بالقاهرة •

١٤ – البديع في نقد الشعر – اسامة بن منقذ • تحقيق أحمد أحمد بدوي القاهرة •

١٥ – بديع القرآن • ابن أبي الاصبع المصري • تحقيق حفني محمد شرف القاهرة ١٩٥٧ •

١٦ – بغية الوعاة – السيوطي • الطبعة الاولى بالقاهرة •

١٧ – البلاغة عند السكاكي – الدكتور أحمد مطلوب (مخطوط) •

١٨ – البيان والتبيين – الجاحظ • طبعة محمد عبدالسلام هارون • القاهرة •

١٩ – تأريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها – أحمد مصطفى المراغي • القاهرة •

٢٠ – تراجم رجال القرنين السادس والسابع – شهاب‌الدين أبو محمد عبدالله بن اسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي الدمشقي الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م •

٢١ – الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور – ضياءالدين ابن الاثير • تحقيق الدكتورين – مصطفى جواد وجميل سعيد • مطبوعات المجمع العلمي العراقي ببغداد • ١٩٥٦م – ١٣٧٥هـ •

٢٢ ـ جولة في دور الـكتب الامريكية ـ كوركيس عواد · بغداد ١٩٥١م ·
٢٣ ـ الحيوان ـ الجاحظ · طبعة محمد عبدالسلام هارون · القاهرة ·
٢٤ ـ ذيل الامالي ـ القالي · طبعة دار الـكتب بالقاهرة ·
٢٥ ـ الدارس في تأريخ المدارس ـ عبدالقادر بن محمد النعيمي الدمشقي ·
٢٦ ـ الدرر الـكامنة في اعيان المائة الثامنة ـ ابن حجر العسقلاني · الطبعة الاولى بالدكن ١٣٥٠هـ ·
٢٧ ـ دلائل الاعجاز · عبدالقاهر الجرجاني · القاهرة ·
٢٨ ـ ديوان ابن الرومي · طبعة القاهرة ·
٢٩ ـ ديوان ابن المعتز · طبعة دمشق ·
٣٠ ـ ديوان أبي تمام ـ تحقيق عبدالحميد يونس وعبدالفتاح مصطفى · القاهرة ·
٣١ ـ ديوان أبي نواس ـ تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي · القاهرة ·
٣٢ ـ ديوان الاعشى ـ تحقيق الدكتور م محمد حسين · القاهرة ·
٣٣ ـ ديوان امريء القيس ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم · دار المعارف القاهرة ·
٣٤ ـ ديوان البحتري ـ طبعة صادر بيروت ·
٣٥ ـ ديوان بشار بن برد ـ طبعة القاهرة ·
٣٦ ـ ديوان جرير · الطبعة الاولى · القاهرة ·
٣٧ ـ ديوان جميل بثينة ـ طبعة صادر بيروت ·
٣٨ ـ ديوان الخنساء ـ طبعة صادر بيروت ·
٣٩ ـ ديوان ذي الرمة ـ طبعة كمبريج ١٣٣٧هـ ـ ١٩١٩م ·
٤٠ ـ ديوان طرفة بن العبد ـ تحقيق الدكتور علي الجندي · القاهرة ·
٤١ ـ ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ـ تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم · بيروت ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م ·
٤٢ ـ ديوان الفرزدق ـ طبعة عبدالله اسماعيل الصاوي · القاهرة ·
٤٣ ـ ديوان المتنبي ـ تحقيق مصطفى السقا وجماعته · القاهرة ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م ·
٤٤ ـ ديوان مجنون ليلى · طبعة الدكتور زكي مبارك بالقاهرة ·
٤٥ ـ ديوان النابغة الذبياني ـ طبعة صادر بيروت ·
٤٦ ـ زهر الآداب وثمر الالباب ـ الحصري القيرواني · الطبعة الثالثة القاهرة ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م ·
٤٧ ـ سر الفصاحة ـ ابن سنان الخفاجي · طبعة عبدالمتعال الصعيدي · القاهرة ·
٤٨ ـ شذور الذهب في اخبار من ذهب ـ ابن عماد الحنبلي · القاهرة ١٣٥١هـ ·
٤٩ ـ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ـ تحقيق أحمد أمين وعبدالسلام هارون القاهرة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م ·
٥٠ ـ شرح المعلقات السبع ـ الزوزني · القاهرة ·

٥١ ـ شروح التلخيص • الطبعة الثانية بالقاهرة •
٥٢ ـ الشعر والشعراء • ابن قتيبة • طبعة ليدن •
٥٣ ـ صحيح البخاري • طبعة القاهرة •
٥٤ ـ صحيح مسلم • طبعة القاهرة •
٥٥ ـ ضياءالدين بن الاثير وجهوده في النقد ـ الدكتور محمد زغلول سلام • القاهرة •
٥٦ ـ طبقات الشافعية الكبرى ـ السبكي • الطبعة الاولى بالقاهرة •
٥٧ ـ الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ـ يحيى العلوي • القاهرة ١٩١٤م •
٥٨ ـ فهارس الخزانة التيمورية ـ القاهرة • دار الكتب ١٩٤٨م •
٥٩ ـ فهارس دار الكتب بالقاهرة •
٦٠ ـ فهرس المخطوطات المصورة بجامعة الدول العربية • القاهرة •
٦١ ـ فهرس مكتبة المشهد الرضوي بايران •
٦٢ ـ الكامل ـ المبرد • طبعة الدكتور زكي مبارك • القاهرة •
٦٣ ـ كتاب الصناعتين ـ أبو هلال العسكري • الطبعة الاولى • القاهرة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م •
٦٤ ـ الكشاف ـ الزمخشري • القاهرة •
٦٥ ـ كشف الظنون ـ الحاج خليفة • ١٩٤١م ـ ١٣٦٠هـ •
٦٦ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ ضياءالدين بن الاثير • تحقيق محمد محيىالدين عبدالحميد • القاهرة •
٦٧ ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق •
٦٨ ـ معاهد التنصيص ـ العباسي • تحقيق محمد محيىالدين عبدالحميد • القاهرة •
٦٩ ـ معجم الادباء ـ ياقوت الحموي • طبعة القاهرة •
٧٠ ـ معجم البلدان • ياقوت الحموي •
٧١ ـ مفتاح العلوم ـ السكاكي • الطبعة الاولى • القاهرة ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م •
٧٢ ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ـ المقري • طبعة محمد محيىالدين عبدالحميد •
٧٣ ـ هدية العارفين ـ اسماعيل باشا البغدادي • استانبول ١٩٥١م •
٧٤ ـ همع الهوامع ـ السيوطي • الطبعة الاولى بالقاهرة •
٧٥ ـ وفيات الاعيان ـ ابن خلكان • طبعة محمد محيىالدين عبدالحميد • القاهرة •
٧٦ ـ يتيمة الدهر ـ الثعالبي • طبعة محمد محيىالدين عبدالحميد • القاهرة •

77— Geschichte der Arabischen Litteratur. von Carl Brockelmann. Leiden. E.J. Brill 1943.

فهارس الكتاب

١ ـ فهرس الموضوعات

الركن الثاني

في مراعاة احوال التأليف

٨٧ – ١٦٢

الركن الثالث

في معرفة احوال اللفظ واسماء اصنافه

في علم البـديع

١٦٣ ـ ١٩٠

٢ ـ فهرس الأعلام[1]

الهمزة

---

(١) قام الاديب الاستاذ عبدالله الجبورى بوضع هذه الفهارس فجزاه الله خيرا .

الباء

التاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الراء

الزاء

السين

الشين

الصاد

الضاد

الطاء

العين

الغين

الفاء

القاف

الـكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

٣ ـ فهرس الآيات

الآيـــــــة	رقمها	السورة	الصفحة

الهمزة

القاف

الـكاف

الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة

اللام

الميم

النون

الهاء

الواو

الياء

٤ ـ فهرس القوافي

الدال

الراء

السين

٥ ــ فهرس الكتب

الهمزة

الباء

التاء

الجيم

الحاء

الدال

الذال

الراء

السين

الشين

الصاد

الضاد

الطاء

العين

الفاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الواو

الياء

٦ ــ فهرس الأماكن

الهمزة

الباء

التاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الراء

الزاء

القاف

الـكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الياء

٧ ـ فهرس الملل والنحل

الباء

التاء

الراء

العين

القاف

الميم

النون

الياء

استدراكات

١ – ورد في ص ٥٧ ان ديوان دعبل الخزاعي طبع في بغداد وبيروت . والصحيح في النجف وبيروت .

٢ – يقصد بالنابغة في هامش ٤ ص ٩٣ : النابغة الذبياني .

٣ – جاء في هامش ٣ ص ١٦١ ان ابن نباتة ولد سنة ٣٥ هـ والصواب سنة ٣٥٠ هـ .

٤ – في ص ١٨١ : اذا انت لم تَقْصَر ، والصواب تُقْصِر .

٥ – في ص ١٨٧ : من الجرير ، والصواب من الرجز .

٦ – نسب البيت في ص ١٨٩ : بالله يا ظبيات القاع ... الى الحسين بن عبدالله وينسب الى العرجي (ديوانه ص ١٨٢) .